الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: الإسراء والكهف ومريم

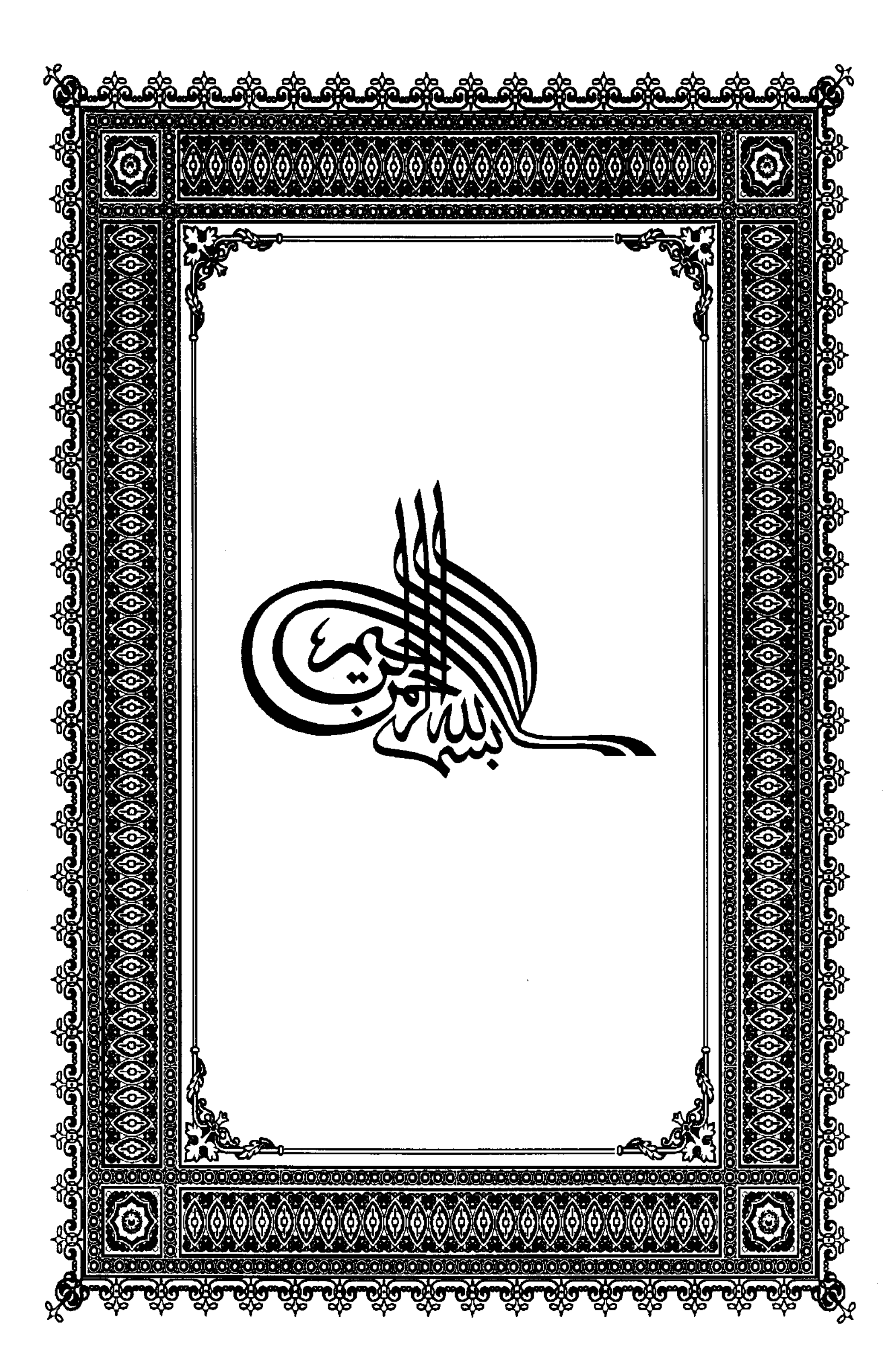
إعداد الباحثة
آمال خميس حماد

إشراف
د. عبدالرحمن الجمل

ضبط ومراجعة
د. مروان محمد أبوراس

الجزء السادس

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن
ربيع الأول ١٤٢٧ هـ - إبريل ٢٠٠٦ م


بسم الله الرحمن الرحيم



﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].



الفصل الأول

تفسير سورة الإسراء من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الإسراء.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الإسراء المتضمنة للقراءات.



الفصل الأول
سورة الإسراء

مقدمة:

تعتبر سورة الإسراء من السور المكية التي تعنى بأمور العقيدة، وهي إحدى خمس سور متتالية (الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء) تشترك - بالإضافة إلى مكيتها - في قِدَم النزول، واشتمالها على القصص القرآني[1]، كما أنها إحدى ثلاث سور ستكون إن شاء الله موضوع بحثنا هذا، وهي من السور التي كانت موضع بحث كثير من العلماء لاحتوائها على ذكر معجزة من معجزات الرسول الكريم ﷺ ألا وهي معجزة الإسراء.

والموضوعات التي تحدثت عنها السورة كثيرة ومتنوعة، خاض فيها كثير من العلماء وهي ليست مجال البحث هنا، إنما مجال البحث سيكون: بيان القراءات المتواترة في السورة، وتفسير الآيات المتضمنة لها، وبيان وجه الإعجاز في اختلاف هذه القراءات، ولكن قبل البدء في ذلك لا بد من تعريف عام بالسورة ليكون هناك تصور عام في الأذهان حول السورة عند الخوض في تفسير آيات القراءات مما يُشعر القارىء بالترابط بين الآيات مواضع القراءات، وبالتالي تصور عام لتفسير السورة.

(١) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطي (ص٩٨).



المبحث الأول
تعريف عام بسورة الإسراء

ويشتمل على:

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- مناسبتها لسورة النحل.
- فضل السورة.
- المحور الأساس للسورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.



المبحث الأول
تعريف عام بالسورة

سورة الإسراء من السور المكية عند جمهور العلماء فقد اشتملت على خصائص السورة المكية، ومن ناحية أخرى ظهرت فيها صفات من خصائص السور المدنية وذلك لأنها من أواخر ما نزل بمكة، لذلك اعتبر بعض العلماء أنها تحتوي على آيات مدنية(٢)، واختلفوا في عدد هذه الآيات(٣).

فعدد آيها مائة وعشر في المصحف المدني والمكي والشامي والبصري، ومائة وإحدى عشرة في المصحف الكوفي(٤)، وعدد حروفها ٦٤٦٠ حرفا، وعدد كلمها ١٥٣٣ كلمة(٥).

وقد تميزت آياتها بالطول النسبي، وذكرت فيها أحكام تشريعية متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكية غيرها عدا سورة الأنعام، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ

---

(٢) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: د.عبدالله شحادة (١/١٩١).

(٣) انظر هذه الآيات واختلاف العلماء فيها في: تفسير التحرير والتنوير (مجلد٧ (٦/١٥))، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي (٢/١٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (مجلد٧ (٧/١٥)).

(٥) انظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للقمي النيسابوري (مجلد٨ (٢/١٥)) هامش تفسير الطبري.

﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾ لذلك تعتبر هذه السورة ممهدة للعهد المدني أو هي مما يشبه المدني وهو مكي[٦].

أسماء السورة ووجه التسمية:

١ . سميت في عهد الصحابة (سورة بني إسرائيل)، أما وجه تسميتها به فهو أنه ذكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها؛ وهو استيلاء قوم أولي بأس شديد (الآشوريين) عليهم ثم استيلاء قوم آخرين وهم (الروم) عليهم، وقد ترجم لهذه التسمية البخاري في صحيحه في كتاب التفسير[٧]، والترمذي في سننه في أبواب التفسير[٨][٩].

٢ . وتسمى أيضاً (سورة سبحان)، وذلك لأنها افتتحت بقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾.

٣ . وسميت (سورة الإسراء) لأنها تصدرت الحديث عن حادثة الإسراء.

سبب نزولها:

لم تذكر كتب التفسير سبباً لنزول هذه السورة وإن ذكرت سبباً لنزول بعض الآيات فيها، ولا يعني افتتاحها بذكر الإسراء اقتضاء أنها نزلت عقب وقوع حادثة الإسراء حيث رجح العلماء وقوع الحادثة قبل الهجرة بنحو سنة

---

(٦) انظر: التحرير والتنوير (مجلد٧ (٦/١٥))، أهداف كل سورة ومقاصدها (١٩١/١).

(٧) انظر: فتح الباري (٣٨٨/٨)، كتاب التفسير، الباب السابع عشر؛ فقد عنونه بقوله: سورة بني إسرائيل، ثم أورد الأحاديث الخاصة بالسورة.

(٨) فقد عَنْوَنَ الترمذي الباب الثامن عشر من أبواب كتاب التفسير بقوله: باب (ومن سورة بني إسرائيل) ثم أورد الأحاديث الواردة في تفسير السورة. (انظر: سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي (٣٠٠/٥)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل).

(٩) انظر: التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص٥).

وخمسة أشهر، بل يجوز أنها نزلت بعد الإسراء بمدة، ونزولها كان بعد نزول سورة القصص وقبل سورة يونس، وعُدت السورة الخمسين في تعداد نزول سور القرآن(١٠)، أما في ترتيب المصحف؛ فقد تقدمتها سورة النحل وتلتها سورة الكهف.

مناسبتها لسورة النحل:

أما مناسبتها لما قبلها من سور القرآن فيذكر السيوطي وجه اتصال سورة الإسراء بسورة النحل التي تسبقها؛ وهو أنه سبحانه لما قال في آخرها ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ ذكر في هذه شريعة أهل السبت التي شرعها سبحانه لهم في التوراة، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: «إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل»(١١).

وذكر في سورة النحل من النعم ما سميت لأجله سورة النعم، فقد ذكر في سورة الإسراء نعماً خاصة ونعماً عامة، وذكر سبحانه في النحل ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ﴾ وذكر في الإسراء ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذكر سبحانه في النحل أمره بإيتاء ذي القربى، وأمر في الإسراء بذلك مع زيادة في قوله سبحانه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾(١٢).

فضل السورة:

لقد وردت في فضل سورة الإسراء أحاديث كثيرة نذكر منها:

حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول

(١٠) انظر: التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص٧).

(١١) انظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ص١٢٦) فقد أخرج الحديث عند تفسيره للآية (١١١) من سورة الإسراء. ولم أجد الحديث ولا الحكم عليه في أيٍّ من كتب الحديث.

(١٢) انظر: روح المعاني (١٥/٢ ـ ٣).

ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر»[١٣].

وما روي عن ابنِ مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنهن من العِتَاق[١٤] الأُوَل وهنَّ من تِلادي[١٥]»[١٦].

المحور الأساس للسورة:

كان المحور الأساس لهذه السورة هو إثبات نبوة محمد ﷺ، وإثبات أن القرآن وحي من الله وإثبات فضله وفضل من أنزل عليه، وذكر أنه معجز، ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به.

أغراض السورة:

تعددت أغراض السورة على النحو التالي:

١. إثبات معجزة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس.
٢. بيان تاريخ بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض وعقوبة الله لهم.
٣. الآداب التي يجب على المسلمين أن يتحلوا بها حتى تظل رابطتهم قوية متماسكة.

(١٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٩/٦) حديث رقم (٢٥٥٩٧)، وأورده في «مجمع الزوائد» وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات. (انظر: مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (٢٧٢/٢)).

(١٤) العتاق: جمع عتيق، والعتيق: القديم، وأراد بالعتاق الأول: أنها من أول ما تعلمه من القرآن. (انظر: اللسان (٢٧٩/٤)) مادة: عتق.

(١٥) تلادي: التالد: هوالقديم. أي: من قديم ما أخذت من القرآن. (انظر: اللسان (٤٣٩/١)) مادة: تلد.

(١٦) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب سورة بني إسرائيل، حديث رقم (٤٧٠٨). (انظر: فتح الباري (٣٨٨/٨)).

٤. إثبات دلائل تفرد الله بالألوهية.

٥. التذكير بنعم الله على الناس وما تقتضيه من شكر المنعم وتنزيهه عن اتخاذ بنات له.

٦. إظهار فضائل من شريعة الإسلام وحكمته وما علمه الله للمسلمين من آداب المعاملة نحو ربهم سبحانه ونحو بعضهم البعض ومراقبة الله لهم في سرهم وجهرهم.

٧. إثبات البعث والجزاء.

٨. التحذير من الشيطان وعداوته لآدم وذريته.

٩. تخويف البشر من عذاب الله وتذكيرهم بنعمة الله عليهم في تكريم الإنسان وما ينتظر الطائعين والعصاة يوم القيامة.

١٠. ذكر ما عرض للأمم من أسباب الاستئصال والهلاك من باب تهديد المشركين بحلول الهلاك بهم الذي حل بالقرى من قبلهم حين أخرجت رسلها أو قتلتهم.

١١. بيان إعجاز القرآن واستحالة أن يأتي البشر بمثله.

١٢. بيان أن الرسول مبلغ عن ربه ولا يملك من الأمر شيئاً إلا بقدرة الله وإرادته.

١٣. بيان الحكمة من إنزال القرآن منجماً[١٧].

الموضوعات التي تناولتها السورة:

الآيات من (١ ـ ٢٣): بدأت السورة بالحديث عن الإسراء، مع الكشف عن حكمة الإسراء بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا

(١٧) انظر في محور السورة وأغراضها: أهداف كل سورة ومقاصدها (١/١٩٧ ـ ١٩٨)، في ظلال القرآن: سيد قطب (مجلد٤ (١٥/٢٢٠٩ ـ ٢٢١٠))، التحرير والتنوير (١٥/٧ ـ ٩).

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾، وفي خلال هذا الحديث تستطرد إلى ذكر بني إسرائيل، والحديث عن ماضيهم وفسادهم في الأرض وعقوبة الله لهم، وفي هذا تهديد لكفار مكة ولكل خارج عن نطاق الإيمان.

الآيات من (٢٤ ـ ٣٩): تحدثت عن مكارم الأخلاق المرتبطة بقاعدة التوحيد.

الآيات من(٤٠ ـ ٥٩): تحدثت عن أوهام المشركين حول نسبة البنات والشركاء إلى الله، وتحدثت عن البعث واستبعاد الكافرين لوقوعه، وعن استقبالهم للقرآن وتقولاتهم على الرسول ﷺ.

الآيات من (٦٠ ـ ٧٢): تبيّن لماذا لم يرسل الله محمداً ﷺ بالخوارق؛ فقد كذب بها الأولون فحق عليهم الهلاك اتباعاً لسنة الله، كما تناولت الحديث عن الإسراء وأن الله جعله امتحاناً للناس. ويجيء في هذا السياق: قصة إبليس وإعلانه الحرب على ذرية آدم، ويعقب عليه بتخويف البشر من عذاب الله وتذكيرهم بنعمة الله عليهم في تكريم الإنسان وتمييزه على جميع المخلوقات وتسخير الكون له، وما ينتظر الطائعين والعصاة يوم القيامة.

الآيات من (٧٣ ـ ٨٨): تستعرض كيد المشركين للرسول ﷺ، ومحاولتهم فتنته، وأمر للرسول بأن يمضي في طريقه ولا يعبأ بهم فإن في القرآن الذي أرادوا فتنة الرسول عن بعضه شفاء ورحمة للمؤمنين.

الآيات من (٨٩ ـ ١١١): تتحدث عن القرآن وإعجازه، وطلبات الكفار من الرسول بالإتيان بالخوارق المادية ليؤمنوا به ويصدقوه، وتبيّن الآيات أنه طلب معاندة ومكابرة لا طلب من أجل هدى أو اقتناع، ويرد الله على هذا كله بأنه خارج عن وظيفة الرسول وطبيعة الرسالة، فالرسول بشر يوحى إليه وهو مبلغ عن ربه وليس إلهاً يتحكم في الكون، ويذكرهم بجحد فرعون لموسى رغم معجزاته المادية فكانت العاقبة بغرق فرعون ومن معه.

وكما بدأت السورة بتنزيه الله وتسبيحه بقوله سبحانه ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ

أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾، اختتمت بحمد الله وتنزيهه عن الولد والشريك في الملك بقوله سبحانه ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾[(١٨)].

فيلخص هذا الختام محور السورة الذي دارت عليه والذي بدأت ثم ختمت به[(١٩)].

---

(١٨) انظر: الظلال (٢٢٠٨/١٥ ـ ٢٢١٠)، أهداف كل سورة ومقاصدها (١٩١/١ ـ ١٩٧)، صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني (١٣٢/٢).

(١٩) الظلال (٢٢٥٤/١٥).



المبحث الثاني

عرض وتفسير لآيات سورة الإسراء المتضمنة للقراءات

في هذا المبحث من سورة الإسراء، وفي المبحث الثاني من سورتي: الكهف ومريم، سيتم تناول تفسير الآيات مواضع القراءات والتي لها علاقة بالمعاني فقط بالقراءات القرآنية العشر. وفق المنهج التالي:

- كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة برواية حفص عن عاصم.
- بيان القراءات في الآية.
- بيان المعنى اللغوي للقراءات.
- تفسير الآية كاملة.
- بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات والجمع بين القراءات إن أمكن الجمع.



المبحث الثاني
تفسير الآيات مواضع القراءات

١ - قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ [الإسراء: ٢].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو (**أَلاَّ يَتَّخِذُواْ**) بالغيب.

٢. قرأ الباقون (**أَلاَّ تَتَّخِذُواْ**) بالخطاب. على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب[٢٠].

البيان:

من قرأ (**أَلاَّ يَتَّخِذُواْ**) على الغيب؛ على اعتبار أن الفعل قرب من الخبر عن بني إسرائيل، فجعل الفعل مسنداً إليهم، إذ قال ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، والمعنى: جعلناه هدى لبني إسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا[٢١].

---

(٢٠) انظر: النشر (٢/٢٢٩).
والالتفات هو: التعبير عن معنى بأسلوب التكلم أو الخطاب أو الغيبة، وذلك بعد التعبير عن المعنى بأسلوب آخر. (الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني (ص١٥٧)).

(٢١) انظر: حجة القراءات: أبو زرعة ابن زنجلة (ص ٣٩٦)

أما من قرأ (أَلاَّ تَتَّخِذُواْ) على الخطاب فعلى اعتبار:

١. أن تكون (أَنْ) ناصبة للفعل، فيكون المعنى: وجعلناه هدى كراهة أن تتخذوا من دوني وكيلاً، أو لئلا تتخذوا من دوني وكيلاً.

٢. أن تكون بمعنى (أي)، لأنه بعد كلام ناهٍ، فيكون التقدير: أي لا تتخذوا.

٣. أن تكون (أنْ) زائدة[٢٢] وتضمر القول فيكون التقدير: وجعلناه هدى لبني إسرائيل فقلنا لا تتخذوا من دوني وكيلا[٢٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن كتاب موسى عليه السلام الذي أرسله رب العالمين هداية لبني إسرائيل؛ بما احتوى عليه هذا الكتاب من التحذير الشديد لهم من اتخاذ شريك لله يلجئون إليه ويكلون إليه أمورهم.

يقول ابن كثير: «لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبده محمد ﷺ، عطف بذكر موسى عبده ورسوله وكليمه أيضاً؛ فإنه تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما السلام، وبين ذكر التوراة والقرآن، ولهذا قال بعد ذكر الإسراء: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعني: التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى﴾ أي: هادياً ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾ أي: لئلا تتخذوا، ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ أي: ولياً ولا نصيراً ولا معبوداً دوني؛ لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبده وحده لا شريك له»[٢٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت القراءة على الغيب أن التوراة التي أنزلها الله على موسى

(٢٢) الأصل ألا تُستعمل كلمة (زائدة) بل تُستعمل كلمة (صلة)؛ لأنه لا زيادة في القرآن.

(٢٣) انظر: الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي (٨٤/٥).

(٢٤) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): الحافظ ابن كثير (٤٧/٥).

عليه السلام هداية لبني إسرائيل لئلا يتخذوا رباً من دون الله يفوضون إليه أمورهم.

قال أبو السعود: «وقرئ بالياء على أن (أن) مصدرية والمعنى: آتينا موسى الكتاب لهداية بني إسرائيل لئلا يتخذوا ﴿مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ أي رباً تكلون إليه أموركم»(٢٥).

وأفادت القراءة على الخطاب: أن الله سبحانه أنزل التوراة على موسى عليه السلام ليكون هداية لهم كراهة أن يتخذوا من دونه وكيلاً، فنهاهم عن ذلك بالنواهي التي وردت في الكتاب فقال لهم لا تتخذوا من دوني وكيلاً.

يقول ابن عاشور: «وقرأ الجمهور ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ ـ بتاء الخطاب ـ على الأصل حكاية ما يحكى من الأقوال المتضمنة نهياً، فتكون (أن) تفسيرية لما تضمنه لفظ (الكتاب) من معنى الأقوال، ويكون التفسير لبعض ما تضمنه الكتاب اقتصاراً على الأهم منه وهو التوحيد»(٢٦).

يقول د. محمد سالم محيسن: قوله تعالى ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يقتضي الغيبة، ولكنه التفت إلى الخطاب لنكتة بلاغية، وهي نهي المخاطبين عن اتخاذ وكيل أو معين من دون الله تعالى... والمعنى: وقلنا لهم: لا تتخذوا وكيلاً من دوني(٢٧).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من الجمع بين القراءتين أن الله سبحانه قد نص على القصد من إيتاء موسى الكتاب وهو الهداية، فنهى بني إسرائيل من خلال نصوص التوراة أن يتخذوا رباً يعتمدون عليه ويكلون إليه أمورهم من دونه قائلاً لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلاً لئلا يفعلوا ذلك.

---

(٢٥) تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود محمد بن محمد العمادي (٢٠٤/٣).

(٢٦) التحرير والتنوير: مجلد٧ (٢٥/١٥).

(٢٧) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن (١١٥/٢).

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء: ٧].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وأبو بكر (**لِيَسُوْءَ**) بالياء ونصب الهمزة على لفظ الواحد.

٢. قرأ الكسائي (**لِنَسُوْءَ**) بالنون ونصب الهمزة على لفظ الجمع للمتكلمين.

٣. قرأ الباقون (**لِيَسُوْءُوا**) بالياء وضم الهمزة وبعدها واو الجمع[٢٨].

اللغة والبيان:

السُّوء: كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية، والأخروية، ومن الأحوال النفسية، والبدنية، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم[٢٩]. وليسوءوا وجوهكم: ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها[٣٠]. وخصَّ الوجه؛ لأن الوجه هو السمة المعبرة عن نوازع النفس الإنسانية، وعليه تبدو الانفعالات والمشاعر، وهو أشرف ما في المرء، وإساءته أبلغ أنواع الإساءة[٣١].

التفسير:

الآية الكريمة تُذَكِّر بني إسرائيل بأثر الإحسان والإساءة عليهم.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في

(٢٨) انظر: النشر (٢/٢٢٩).

(٢٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني (ص٢٧٦)، مادة: سوأ.

(٣٠) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم الزمخشري (٣/٤).

(٣١) تفسير الشعراوي (١٤/٨٣٦٣).

التوراة: إن أحسنتم يا بني إسرائيل فأطعتم الله وأصلحتم أمركم والتزمتم أمره ونهيه ﴿أَحْسَنتُمْ﴾ وفعلتم ما فعلتم من ذلك لأنفسكم؛ لأنكم إنما تنفعون بفعلكم ما تفعلون من ذلك ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءاً، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلى قوتكم.

وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جناته، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ فإلى أنفسكم تسيئون؛ لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوكم ويُمَكِّن منكم من بغاكم سوءاً، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين، وقال جل ثناؤه ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، والمعنى فإليها»[٣٢].

واستكمالاً لهذه القاعدة تحدث عن الوعد المفعول الذي قضاه في التوراة من إفسادهم الثاني في الأرض؛ وذلك بقتلهم يحيى وزكريا عليهما السلام وأثر هذا الإفساد عليهم، بأن سلط الله عليهم من نكل بهم، واستباح مقدساتهم، وأصاب ديارهم بالدمار الشامل.

يقول النسفي: «﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ وعد المرة الآخرة بعثناهم ﴿ليسؤوا﴾ أي هؤلاء ﴿وُجُوهَكُمْ﴾، وحذف لدلالة ذكره أولاً عليه، أي ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها، كقوله ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وأبو بكر (لِيَسُوءَ)، الضمير لله ﷻ، أو للوعد، أو للبعث، وقرأ الكسائي (لِنَسُوءَ)، ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ ما علواْ مفعول ليتبروا، أي: ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه، أو بمعنى مدة علوهم»[٣٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ليسوءوا) أن الذين يسوءون وجوه بني إسرائيل هم العباد

(٣٢) تفسير الطبري (مجلد٨ج١٥ص٢٤).

(٣٣) انظر: تفسير النسفي: أبو البركات النسفي (٢/٢٣٧).

أولي البأس الشديد، وهذا تحقيق لقول الله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قال الطبري: «فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ بمعنى: ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم، واستشهد قارئو ذلك لصحة قراءتهم كذلك بقوله: ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾، وقالوا: ذلك خبر عن الجميع، فكذلك الواجب أن يكون قوله ليسوءوا»[(٣٤)].

وأفادت قراءة (ليسوء) أن الفاعل هو الله، أي: ليسوء الله وجوهكم، وعليه يكون هناك التفات من التكلم إلى الغيبة، أو أن يكون للوعد، أي: ليسوء الوعد وجوهكم. وعليه لا يكون في الآية التفات[(٣٥)].

قال القرطبي: «وقرأ أبو بكر[(٣٦)] والأعمش[(٣٧)] وابن وثاب[(٣٨)] وحمزة وابن عامر (ليسوء) بالياء على التوحيد وفتح الهمزة، ولها وجهان: **أحدهما**: ليسوء الله وجوهكم، **والثاني**: ليسوء الوعد وجوهكم»[(٣٩)].

وأفادت قراءة (لنسوء) على وجه إخبار الله عن نفسه وما في ذلك من بيان لشدة العذاب الواقع على بني إسرائيل مقابل شدة العصيان لله تعالى،

---

(٣٤) تفسير الطبري: (مجلد٨ (١٥/٢٤ ـ ٢٥)).

(٣٥) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٢/٨٧٥).

(٣٦) هو: شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحنّاط الأسدي النهشلي الكوفي الإمام العلم، ولد سنة ٩٥هـ، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، كان سيداً إماماً حجة، كثير العلم والعمل، منقطع القرين وكان من أئمة السنة. توفي رحمه الله سنة ١٩٣هـ.

(٣٧) هو: سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، إمام علم، أقرأ الناس ونشر العلم دهراً طويلاً، سُمي بالمصحف من صدقه، ثقة ثبت، توفي سنة ١٤٨هـ، انظر: معرفة القرآء الكبار (١/٩٤، ٩٦) باختصار.

(٣٨) هو: يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي القارىء العابد، أحد الأعلام، مولى بني أسد، روى عن ابن عباس وابن عمر ـ رضي الله عنهم ـ وعن أبي عبدالرحمن السلمي، وأبي عمرو الشيباني، وغيرهم، وقرأ على بعضهم، قال أحمد بن عبدالله العجلي: تابعي ثقة مقريء الكوفة، توفي سنة ثلاث ومائة. (انظر: معرفة القراء الكبار ص (٣٣)).

(٣٩) تفسير القرطبي (مجلده (١٥/٥٦٢)).

لذلك جاء بنون العظمة التي تدل على الغلبة والعزة.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الفاعل لذلك في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، وأن إساءة وجوه بني إسرائيل بالوعد هو إنفاذ لهذا الوعد، وأن العباد أُولي البأس هم المنفذون لهذا الوعد وفعلوه بقوة الله ﷻ وتمكينه لهم تحقيقاً لعزته وغلبته سبحانه.

ويمكن حمل القراءات على معنى واحد؛ وذلك أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، والعباد هم ستار لقدرة الله تعالى يعذب بهم من شاء من عباده، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

٣ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي **(ويَبْشُر)** بفتح الياء وضم الشين من البشْر وهو البشرى والبشارة.

٢. قرأ الباقون **(ويُبَشِّر)** بضم الياء وتشديد الشين مكسورة من (بشَّرَ) المضعف على التكثير[٤٠].

اللغة والبيان:

قال الزجاج[٤١]: «معنى (يَبْشُرُكَ) يسرك، ويفرحك، وبَشَرْتُ الرجل

---

(٤٠) انظر: النشر (١٨٠/٢).

(٤١) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين، صنف كتاباً في معاني القرآن، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه توفي سنة ٣١١هـ. (انظر: طبقات المفسرين للداوودي (١ /٧ ـ ١٠) / وفيات الأعيان (١ /٤٩ ـ ٥٠) / البلغة (٤٩/١) / أبجد العلوم (٣ / ٤٣)).

أَبْشُرُهُ إذا أفرحته وبَشِرَ يُبْشَرُ إذا فرح. قال: ومعنى يَبْشُرُكَ ويُبَشِّرُكَ من البشارة[42].

قال الفراء[43]: «كأن المشدد منه على بشارات البُشراء، وكأن المخفف من وجه الإفراح والسرور»[44].

التخفيف لغة تهامة، وهو فعل مضارع من (بَشَرَ) بتخفيف العين، يقال: (بشره يبشره بشراً)، والتشديد لغة أهل الحجاز، وهو فعل مضارع من (بَشَّرَ) مضعف العين، يقال: (بشَّره يبشِّره تبشيراً).

جاء في المفردات: (أبشرت الرجل) وبَشَّرْتُه وبَشَرْتُه: أخبرته بسارّ بسط بشرة وجهه، وذلك أن النفس إذا سُرَّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر. وبين هذه الألفاظ فروق، فإن (بشَرته) بتخفيف الشين: «عام»، و(أبشرته) نحو: (أحمدته) و(بشّرته) بتشديد الشين: على التكثير[45].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أن القرآن الكريم هو مصدر الهداية للناس جميعاً.

يقول الشنقيطي: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً برب العالمين - جل وعلا - يهدي للتي هي أقوم. أي الطريقة التي هي أَسَدَ وأعدل وأصوب.

---

(٤٢) لسان العرب (٢٨٨/١) مادة: بشر.

(٤٣) هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي من أجلّ أصحاب الكسائي، كان رأسا في النحو واللغة قيل لولاه لما كانت عربيه لأنه هذبها وضبطها. توفي ٢٠٧هـ. (انظر: شذرات الذهب (١/ ١٩)).

(٤٤) اللسان (٢٨٧/١).

(٤٥) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: د. محمد سالم محيسن (٣٣٢/١ - ٣٣٣).

وقال الزجاج والكلبي[٤٦] والفراء: للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله»[٤٧].

كما تحدثت الآية الكريمة عن أن القرآن هو مصدر التبشير للمؤمنين الذين يتبعون منهجه بالخير عاجلاً وآجلاً. يقول القاسمي: «أي يبشر المخلصين في إيمانهم، وهم الذين يعملون الصالحات كلها، ويجتنبون السيئات؛ أن لهم في الدنيا والآخرة ثواباً وافراً»[٤٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة التخفيف أن القرآن بشر المؤمنين الذين استجابوا لأوامر الله وعملوا بها بالثواب في الدنيا والآخرة، وقد ظهرت آثار هذه البشرى على وجوههم فبان السرور عليها، فكانت لإدخال الفرح والسرور عليهم، ولم يبيّن عظم هذه البشارة.

وأفادت قراءة التشديد أن هذه البشرى ثواب عظيم في الدنيا والآخرة، مستمر ومتجدد ويزداد بزيادة العمل الصالح.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن القرآن يبشر المؤمنين بالثواب ليدخل السرور عليهم؛ فتنفعل نفوسهم تجاه هذه البشارة، فتنبسط بشرة وجوههم، ومن جانب آخر يحثهم على مزيد من العمل الصالح حتى يزداد هذا الثواب بزيادة العمل، فيحصلوا في النهاية على ثواب كثير وافر من فضل الله وكرمه.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(٤٦) هو: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة، ألف الكثير من الكتب في فنون شتى، منها كتاب التسهيل لعلوم التنزيل. توفي شهيداً ٧٤١هـ. (انظر: الديباج المذهب (١/٢٩٥ ـ ٢٩٦)).

(٤٧) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي (٢/٢١٨).

(٤٨) تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل): محمد جمال الدين القاسمي (١٠/٣٩٠٧).

كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ [الإسراء: ١٣].

القراءات في (وَنُخْرِجُ لَهُ):

١. قرأ أبو جعفر (**ويُخْرَجُ**) بالياء وضمها وفتح الراء.

٢. قرأ يعقوب (**ويَخْرُجُ**) بالياء وفتحها وضم الراء.

٣. قرأ الباقون (**وَنُخْرِجُ**) بالنون وضمها وكسر الراء.

القراءات في (يَلْقَاهُ):

١. قرأ أبو جعفر وابن عامر (**يُلَقّاهُ**) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف.

٢. قرأ الباقون (**يَلْقَاهُ**) بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف(٤٩).

البيان:

ويَخْرُجُ: بفتح الياء وضم الراء على معنى ويخرج له الطائر كتاباً فكتاباً منصوب على الحال، ويحتمل أن يكون المعنى: ويخرج الطائر فيصير كتاباً.

ويُخْرَجُ: بضم الياء وفتح الراء، على الفعل المجهول، ومعناه، ويُخرج له الطائر كتاباً.

وَنُخْرِجُ: بنون مضمومة وكسر الراء، أي ونحن نخرج، احتج أبو عمرو في هذه القراءة بقوله (ألزمناه).

يُلَقّاهُ: بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، بمعنى يؤتاه، الباقون بفتح الياء خفيفة أي يراه منشوراً(٥٠).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما قدر الله على ابن آدم أنه عامله، وما هو صائر إليه من شقاء أو سعادة، وإحصائه لهذا العمل، وأنه محفوظ عليه

---

(٤٩) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

(٥٠) انظر: تفسير القرطبي (مجلده ج١٠/٥٦٧ ـ ٥٦٨) باختصار.

قليله وكثيره، ويكتب عليه في ليله ونهاره من أول عمره إلى آخره، وأن هذا العمل يجمع له في كتاب يُعطاه يوم القيامة مفتوحاً فيه حسناته وسيئاته، فيرى عمله مكشوفاً لا يملك إخفاءه أو تجاهله.

قال الطبري: «وكل إنسان منكم يا معشر بني آدم ألزمناه نحسه وسعده وشقاءه وسعادته بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه وعامل من الخير والشر في عنقه فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتاباً يصادفه منشوراً بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصى عليه ربه فيه كل ما سلف في الدنيا»[٥١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُخرَج ويَخرج) أن العمل الذي عمله الإنسان في الدنيا يخرج على هيئة كتاب في الآخرة.

يقول الطبري: «وكان من قرأ هذه القراءة وجه تأويل الكلام إلى: ويخرج له الطائر الذي ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة فيصير كتاباً يقرؤه منشوراً، وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ويخرج له) بضم الياء على مذهب ما لم يسم فاعله وكأنه وجه معنى الكلام إلى: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً، يريد ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتاباً إلا أنه نحاه نحو ما لم يسم فاعله»[٥٢].

وأفادت قراءة (نخرج) أن الله سبحانه هو الذي يخرج عمل الإنسان على هيئة كتاب منشور يقرؤه الإنسان يوم القيامة.

يقول القرطبي: «﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ يعني كتاب طائره الذي في عنقه»[٥٣].

(٥١) و(٥٢) تفسير الطبري (مجلد٨ج١٥ص٤٠).

(٥٣) تفسير القرطبي (مجلد٥ج١٠ص٥٦٧).

وأفادت قراءة (يُلقّاه) أن الملائكة تتلقى الإنسان بكتابه الذي فيه عمله.

يقول الشنقيطي: «وعلى قراءة من قرأ (يُلَقّاه) بضم الياء وتشديد القاف مبنياً للمفعول فالمعنى: «أن الله يلقيه ذلك الكتاب يوم القيامة»[٥٤].

ويقول ابن زنجلة[٥٥]: «جعل الفعل لغير الإنسان أي: الملائكة تتلقاه بكتابه الذي فيه نسخة عمله، وهو من قولك (لِقيتُ الكتاب)، فإذا ضعّفت قلت: (لقّانيه زيد)، ويقوي ذلك قوله: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾[٥٦].

أما قراءة (يلقاه) فأفادت أن الإنسان هو الذي يلقى كتابه.

يقول ابن عاشور: «ومعنى (يلقاه) يجده، استعير فعل (يلقى) لمعنى يجد، تشبيهاً لوجدان النسبية بلقاء الشخص، والنشر كناية عن سرعة اطلاعه على جميع ما عمله بحيث إن الكتاب يحضر من قبل وصول صاحبه مفتوحاً للمطالعة[٥٧].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أن الله سبحانه يقدر على ابن آدم عمله ويحصيه عليه في كتاب له يخرجه له يوم القيامة، فتحمله الملائكة، وتستقبل ابن آدم به، فيجده الإنسان أمامه مفتوحاً وقد أحصى عليه جميع أعماله التي عملها في الدنيا، فيقرؤه أمام الخلائق.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦].

(٥٤) تفسير أضواء البيان (٢/٢٤٧).

(٥٥) هو: عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة المقرىء، أبو زرعة فقيه مالكي، ترك مؤلفات عدة أشهرها: حجة القراءات. (انظر: مقدمة تحقيق كتاب الحجة - تحقيق: سعيد الأفغاني (ص٢٥)).

(٥٦) حجة القراءات (ص٣٩٨).

(٥٧) تفسير التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص٤٨).

القراءات:

١. قرأ يعقوب (**آمَرْنَا**) بمد الهمزة.

٢. قرأ الباقون (**أَمَرْنَا**) بقصرها[٥٨].

المعنى اللغوي للقراءتين:

أمرنا: من الأمر الذي هو ضد النهي: وله وجهان:

١. أمرناهم بالطاعة ففسقوا فحق عليهم العذاب، وهو كقولك: أمرتك فعصيتني، ومنه يعلم أن المعصية مخالفة الأمر، وكذلك الفسق: الخروج عن أمر الله.

٢. بمعنى كثّرنا: يقال آمرهم الله وأمرهم، أي: كثّرهم، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «خيرُ المال، مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ[٥٩]، أو سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ[٦٠]»[٦١].

ويقال: أَمِرَ بنو فلان يأمُرُون، إذا كثروا، **آمَرْنَا** بالمد فلا معنى له إلا أكثرنا، **آمَرَ** الله ماله فأمَر يأمُرُ. وقوله: «آمَرْنا مترفيها» يصلح أن يكون في شيئين: **أحدهما:** كثرة عدد المترفين، **والآخر:** كثير حُرُوثهم وأموالهم[٦٢].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن سبب وجوب هلاك الأقوام، وكيفية خلق الله للأسباب التي توجب هذا الإهلاك؛ من أمر لأكابر القوم بالطاعة بعد

---

(٥٨) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

(٥٩) أي: نَتوجٌ وَلوُدٌ. (انظر: اللسان (١/١٢٦)).

(٦٠) السكة: الطريقة المصطفة من النخل، والمأبورة: المُلَقَّحَة. (انظر: (اللسان (١/٥)) أراد خير المال نتاج أو زرع.

(٦١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٤٦٨) عن سويد بن هبيرة. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات. (انظر: مجمع الزوائد (٥/٢٥٨)).

(٦٢) انظر: معاني القراءات: أبو منصور الأزهري (٢٥٤).

إترافهم، فيقابلوا ذلك بالخروج عن الطاعة.

يقول الصابوني: «﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ أي: وإذا أردنا هلاك قوم من الأقوام، أمرنا المتنعمين فيها والقادة والرؤساء بالطاعة على لسان رسلنا، فعصوا أمرنا وخرجوا عن طاعتنا، وفسقوا وفجروا ﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ أي: فوجب عليهم العذاب بالفسق والطغيان، فأهلكناهم إهلاكاً مريعاً»(٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الجمهور (أمرنا) أن الله أمر أكابر القوم بالطاعة بعد أن صب عليهم ما أبطرهم، فكثَّر أموالهم وأولادهم، فخرجوا عن أمره فحق عليهم الإهلاك والاستئصال.

يقول أبو السعود: «إذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بيّنا أنه لا يصح منا قبل البعثة، أو بنوع مما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب؛ أعني عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنواً تقتضيه الحكمة من غير أن يكون له حد معين، **﴿أمرنا﴾** بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها **﴿مترفيها﴾** متنعميها وجباريها وملوكها، خصهم بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل؛ لأنهم الأصول في الخطاب والباقي أتباع لهم، ولأن توجه الأمر إليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به، إما لظهور أن المراد به الحق والخير لأن الله لا يأمر بالفحشاء ولا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي إليه، وإما لأن المراد وجد منا الأمر كما يقال: فلان يعطي ويمنع ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ أي: خرجوا عن الطاعة وتمردوا ﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي ثبت وتحقق موجبه بحلول العذاب أثر ما ظهر منهم من الفسق والطغيان ﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا﴾ بتدمير أهلها ﴿تَدۡمِيرٗا﴾ لا يكتنه كنهه ولا يوصف، هذا هو المناسب لما سبق، وقيل الأمر مجاز عن الحمل على الفسق والتسبب له بأن صب عليهم ما أبطرهم، وأفضى بهم إلى

(٦٣) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/١٣٦).

الفسوق، وقيل هو بمعنى التكثير يقال أمرت الشيء فأمر، أي كثرته فكثر، وفي الحديث (خير المال سكة مأبورة، أو مهرة مأمورة) أي كثيرة النتاج، ويعضده قراءة آمرنا»[٦٤].

وأفادت قراءة يعقوب (آمرنا) بأن الله تعالى كثر عدد المترفين وزاد في إترافهم استدراجاً للإهلاك بسبب فسوقهم وخروجهم عن طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

يقول الفخر الرازي: «وروي برواية غير مشهورة عن نافع وابن عباس: (آمرنا) بالمد، وعن أبي عمرو (أمّرنا) بالتشديد، فالمد على التكثير، يقال أمر القوم بكسر الميم إذا كثروا، وآمرهم الله بالمد، أي كثرهم الله»[٦٥].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أنه إذا جاء وقت إهلاك قرية فلا بد من استحقاقها للإهلاك، وذلك بسبب الفسق والخروج عن طاعة الله، لذلك يأمر الله من في القرية وساداتها بالطاعة ليكون في ذلك حجة عليهم، وبسبب استمرارهم في الفسق يكثر عددهم، ويزيد في نعمتهم استدراجاً لهم حتى يحق عليها العذاب.

٦ ـ قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**يَبْلُغانِّ**) بألف مطولة بعد الغين وكسر النون على التثنية.

(٦٤) تفسير أبي السعود (٢٠٩/٣)

(٦٥) التفسير الكبير، المعروف بـ (مفاتيح الغيب): فخر الدين الرازي (مجلد٩ج٢٠ص١٧٨).

٢. قرأ الباقون (يَبْلُغَنَّ) بغير ألف وفتح النون على التوحيد.

٣. قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (أُفَّ) بفتح الفاء من غير تنوين.

٤. قرأ نافع وحفص وأبو جعفر (أُفٍّ) بكسر الفاء مع التنوين.

٥. قرأ الباقون (أُفِّ) بكسر الفاء من غير تنوين[٦٦].

اللغة والبيان:

(إما يبلغان) على الاثنين لتقدم ذكر الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ فيكون (أحدهما) بدلاً من الضمير في (يبلغان) أو يرتفع بفعل مجدد تقديره: إما يبلغان عندك الكبر يبلغه أحدهما أو كلاهما.

(إما يبلغن) على واحد لأن الفعل إذا تقدم لم يثن ولم يجمع، ويرتفع (أحدهما) بفعله وهو (يبلغن).

(أف) كلمة تضجر، «قال الزجاج: (أف) غير متمكن بمنزلة الأصوات، فإذا لم ينون فهو معرفة، وإذا نوّن فهو نكرة بمنزلة (غاقٍ وعاقٍ) في الصوت، وهذه الكلمة يكنى بها عن الكلام القبيح لأن الأف وسخ الأظفار، والتف الشيء الحقير»[٦٧].

قال القتبي[٦٨]: «أصل هذه الكلمة أنه إذا سقط عليك تراب أو رماد نفخت فيه لتزيله، والصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قولك أف، ثم إنهم توسعوا فذكروا هذه اللفظة عند كل مكروه يصل إليهم»[٦٩].

---

(٦٦) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

(٦٧) انظر: حجة القراءات (٣٩٩ ـ ٤٠٠).

(٦٨) هو: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب اللغوي، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة تزيد على ستين مصنفاً في أنواع العلوم منها: غريب القرآن، ومشكل القرآن، وغريب الحديث. توفي سنة ٢٧٦هـ. (انظر: ميزان الإعتدال (٤ /١٩٨ ـ ١٩٩)، المؤتلف والمختلف (١ /١١٣)، تهذيب الأسماء (٢ / ٥٥٥ ـ ٥٥٦)، الرسالة المستطرفة (١/١٥٤)).

(٦٩) التفسير الكبير (مجلد١٠ ج٢٠ ص١٩٠).

قال ابن الأثير[٧٠]: «معناه الاستقذار لما شُم، وقيل معناه الاحتقار والاستقلال، وهو صوت إذا صوت به الإنسان عُلم أنه مُتضجر مُتكره»[٧١].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن القاعدة الأساسية التي يتأصل منها التشريع؛ وهي: النهي عن عبادة غير الله، لأن ذلك هو أصل الإصلاح، ثم يتبعه بالأصل الثاني من أصول الشريعة، وهو: بر الوالدين، فأمر سبحانه بالإحسان إليهما وبخاصة إذا كبرا، أو كبر أحدهما في كنفه، ومن ذلك البر ألا يقول أو يفعل ما يظهر ضجره منهما، وأن يكون في غاية الأدب في القول والفعل تجاههما.

يقول الصابوني: «﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي: حكم تعالى وأمر بأن لا تعبدوا إلهاً غيره وقال مجاهد: ﴿وَقَضَىٰ﴾ يعني وصى بعبادته وتوحيده ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: وأمر بأن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً، قال المفسرون: قرن تعالى بعبادته بر الوالدين لبيان حقهما العظيم على الولد؛ لأنهما السبب الظاهر لوجوده وعيشه، ولما كان إحسانهما إلى الولد قد بلغ الغاية العظيمة، وجب أن يكون إحسان الولد إليهما كذلك، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ أي: قد أوصيناك بهما وبخاصة إذا كبرا أو كبر أحدهما، وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما، ومعنى ﴿عِندَكَ﴾ أي: في كنفك وكفالتك ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أي: لا تقل للوالدين أقل كلمة تُظهر الضجر ككلمة (أف) ولا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولو بكلمة التأفف ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا

(٧٠) هو: المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني العلامة مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، الفقيه المحدث اللغوي البارع ولد سنة ٥٤٤هـ. وتوفي سنة ٦٠٦هـ، ومن تصانيفه: كتاب جامع الأصول، وكتاب شرح مسند الشافعي. (انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨ / ٣٦٦ ـ ٣٦٧)، وفيات الأعيان (٤ /١٤١)، طبقات الشافعية: ابن قاضي شهبة (٢ /٦٠ ـ ٦٢)).

(٧١) اللسان (١/٩٥) مادة: أفف.

تزجرهما بإغلاظٍ فيما لا يعجبك منهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ أي: قل لهما قولاً حسناً ليناً طيباً بأدب ووقار وتعظيم»[٧٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يبلغان) أن حكم الإحسان إلى الوالدين وحسن الأدب في القول والفعل معهما ليس باجتماعهما فقط، بل باجتماعهما وافتراقهما على السواء، وذلك بأن يدرك أحدهما دون الآخر.

يقول ابن عاشور: «وقرأ حمزة والكسائي وخلف (يبلغانّ) بألف التثنية ونون مشددة، والضمير فاعل عائد على الوالدين في قوله (وبالوالدين إحساناً)، فيكون (أحدهما أو كلاهما) بدلاً من ألف المثنى تنبيهاً على أنه ليس الحكم لاجتماعهما فقط؛ بل هو للحالتين على التوزيع»[٧٣].

ويقول أبو السعود: «وقرىء (يبلغان) فأحدهما بدل من ضمير التثنية، و(كلاهما) عطف عليه، ولا سبيل إلى جعل (كلاهما) تأكيداً للضمير، وتوحيد ضمير الخطاب في (عندك) وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد، فإن المقصود نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما، ولو قوبل الجمع بالجمع أو التثنية لم يحصل هذا المرام»[٧٤].

وأفادت قراءة (إما يبلغن) أنه إن يبلغ أحد الوالدين عندك الكبر فأحسن إليه.

قال الطبري: «قراءة من قرأ (إما يبلغن) على التوحيد؛ على أنه خبر عن أحدهما؛ لأن الخبر عن الأمر بالإحسان في الوالدين قد تناهى عند قوله ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ ثم ابتدأ قوله ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا﴾»[٧٥].

---

(٧٢) صفوة التفاسير (١٣٩/٢).
(٧٣) التحرير والتنوير (مجلد ٧ ج١٥ ص٦٩).
(٧٤) تفسير أبي السعود (٢١٢/٣).
(٧٥) تفسير الطبري (مجلد٨ ج١٥ ص٤٧).

وأفادت قراءة (أفًّ) بالفتح: أن أي تضجر معروف ولو بسيط منهي عنه كذلك. وأفادت قراءة (أفِّ) خفضاً بدون تنوين: أن مجرد إطلاق أي قدر ولو بسيط جداً من التذمر غير المتعارف عليه منهي عنه، ومخالف لبر الوالدين.

وأفادت قراءة (أفٍّ): أن أي تذمر غير متعارف عليه وأقل سهولة في التلفظ به منهي عنه كذلك.

قال القرطبي: «وقرىء (أفٍّ) منون مخفوض كما تخفض الأصوات وتنون تقول: صه ومه»[٧٦].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات في الآية أن الله سبحانه وتعالى قد أمر ببر الوالدين سواء أدرك الإنسان أحدهما أو كليهما، وذلك بألا يصدر منه ما يدل على التضايق بأوجز حركة أو لفظة، متعارف عليها أو غير متعارف، بصوت أو بدون صوت فما كان كذلك فمن باب أولى الانصراف عما هو أشد أذى من ذلك.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير (خِطَاءً) بكسر الخاء وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها.

٢. قرأ أبو جعفر وابن ذكوان وهشام بخلف عنه (خَطَأً) بفتح الخاء والطاء من غير ألف ولا مد.

٣. قرأ الباقون ﴿خِطْـًٔا﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء، وهو الوجه الثاني لهشام[٧٧].

---

(٧٦) تفسير القرطبي (مجلد٥ج١٠ص٥٧٩).
(٧٧) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

البيان:

(خَطَأً): على وجهين: أحدهما: أن يكون اسم مصدر من: أَخْطَأَ، يُخْطِىء، خَطَأً، أي: إِخْطَاءً، إذا لم يُصب، فإن الخطأ ما لم يُتعمد. والثاني: أن يكون خَطِىءَ يَخْطَأُ خِطْأً، إذا لم يُصِبْ أيضاً.

(خِطَاءً): مصدر خَاطَأَ يُخَاطِىء خِطَاءً وتَخاطَأً، وهو مطاوع خَاطَأَ. فكأن هؤلاء الذين قتلوا أولادهم يخاطئون الحق والعدل.

(خِطْأً): من قولهم خَطِىءَ، يَخْطَأُ، خِطْأً؛ كأثم إثماً، إذا تعمد الكذب، والفاعل منه (خاطىء). وقد جاء في الوعيد ﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ [الحاقة: ٣٧] أي: الآثمون[٧٨].

يقول الشعراوي: «الخاء والطاء والهمزة تدل على عدم موافقة الصواب، لكن مرة يكون عدم موافقة الصواب لأنك لم تعرف الصواب، ومرة أخرى لم توافق الصواب لأنك عرفت الصواب ولكنك تجاوزته[٧٩]».

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن النهي عن قتل البنات بوأدهن، وذلك لأن العرب في الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة بالإنفاق عليهن إذا كبرن، فنهاهم الله عن ذلك، وبين لهم أن خوفهم من أن يصيبهم الفقر لا داعي له؛ لأن الله متكفل برزق المولود والوالد جميعاً كرامة لهذا المولود، وإن القتل من أجل خوف الفقر خطيئة، وإثمٌ كبيرٌ.

يقول القاسمي: «نهي لهم عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قتلهم أولادهم، وهو وأدهم بناتهم، أي: دفنهن في الحياة، كانوا يئدوهن خشية الفاقة وهي الإملاق والفقر، بالإنفاق عليهن إذا كبرن، فنهاهم الله وضمن

(٧٨) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي (٣٨٨/٤)، معاني القراءات (٢٥٥)، الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي (٩٧/٥ ـ ٩٨)، حجة القراءات (٤٠٠ ـ ٤٠١).

(٧٩) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (٨٤٩٤/١٤).

لهم أرزاقهم بقوله ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ أي: نحن المختصون بإعطاء رزقهم في الصغر والكبر، وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أي الآن بإغنائكم، وقوله تعالى ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ﴾ أي: للإملاق الحاضر والخشية في المستقبل ﴿كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ أي: لإفضائه إلى تخريب العالم، وأي خطء أكبر من ذلك؟»[٨٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**خَطَأً**) أن قتل البنات خشية الإملاق غير صواب، حيث لن يصيب فيه الفاعل القصد؛ لأنه لن يصل به إلى المقصود؛ وهو عدم الوقوع في الإملاق.

يقول ابن عاشور: «والخطأ ضد الصواب، أي: إن قتلهم محض خطأ ليس فيه ما يعذر عليه فاعله»[٨١].

وأفادت قراءة (**خِطَاءً**) أن أولئك الذين يقتلون بناتهم خشية الإملاق؛ يخاطئون الحق والعدل.

يقول الألوسي: «والمعنى على هذا: إن قتلهم كان عدولاً عن الحق والصواب»[٨٢].

وأفادت قراءة (**خِطْأً**) أن قتل البنات خشية الإملاق إثم عظيم، والفاعلون آثمون إثماً كبيراً.

يقول الفخر الرازي: «الجمهور قرءوا ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ أي: إثماً كبيراً، يقال: خطىء يخطأ خطأ، مثل: أثم يأثم إثماً، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ أي: آثمين»[٨٣].

---

(٨٠) محاسن التأويل (١٠/٣٩٢٤).

(٨١) التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص٨٩).

(٨٢) روح المعاني (١٥/٦٧).

(٨٣) التفسير الكبير (مجلد١٠ج١٩ص١٩٨).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الذين يقتلون بناتهم خشية الفقر إنما يجانبون الصواب، ولن يحققوا فيه القصد؛ لأن فعلهم غير صائب، ويوقعهم في إثم عظيم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (تُسْرِفْ) بالخطاب.

٢. قرأ الباقون (يُسْرِفْ) بالغيب[٨٤].

المعنى اللغوي:

السرف والإسراف: مجاوزة القصد، وأسرف في الكلام وفي القتل: أَفْرَطَ[٨٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن النهي عن قتل النفس بغير حق شرعي، كما حددت الضوابط في القصاص من القاتل والتي على ولي القاتل والسلطان الالتزام بها.

يقول الصابوني: «أي لا تقتلوا نفساً حرم الله قتلها بغير حق شرعي موجب للقتل كالمرتد، والقاتل عمداً، والزاني المحصن، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي ومن قُتل ظُلماً بغير حق يوجب قتله فقد جعلنا لوارثه سلطة على القاتل بالقصاص منه، أو أخذ الدية أو العفو ﴿فَلَا يُسْرِف

(٨٤) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

(٨٥) لسان العرب (٣/١٩٩٦).

﴿فِي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ أي فلا يتجاوز الحد المشروع بأن يقتل غير القاتل أو يمثل به أو يقتل اثنين بواحد كما كان أهل الجاهلية يفعلون، فحسبه أن الله قد نصره على خصمه فليكن عادلاً في قصاصه»[٨٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الخطاب (فلا تُسرف) أن الكلام موجه للنبي وللأئمة من بعده بألا يقتل بالمقتول غير قاتله أو يمثل به أو يقتل به أكثر من واحد؛ وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب حيث إن صدر الآية وهو قوله تعالى ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يقتضي الغيبة، ولكنه التفت إلى الخطاب ليكون الخطاب موجهاً مباشرة إلى الولي.

يقول الطبري: «(فلا تسرف) بمعنى الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد به هو والأئمة من بعده، يقول فلا تقتل بالمقتول غير قاتله وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك إذا قتل رجل رجلاً؛ عَمَدَ ولي القتيل إلى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه وترك القاتل فنهى الله ﷻ عن ذلك عباده وقال لرسوله عليه السلام: قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف، فلا تقتل به غير قاتله، وإن قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثل به»[٨٧].

وأفادت قراءة الغيبة (فلا يسرف) أن ضمير يسرف عائد على الولي أي فلا يسرف الولي في القتل أو الضمير للقاتل، والمعنى على ذلك: فلا يسرف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والآجل بذلك القتل.

يقول النسفي: «الضمير للولي، أي: فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين، والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية، أو الإسراف: المثلة، والضمير للقاتل الأول»[٨٨].

يقول الفخر الرازي: «(فلا يسرف) بالياء وفيه وجهان: **الأول:**

(٨٦) صفوة التفاسير (١٤٠/٢).

(٨٧) تفسير الطبري (مجلد٨ج١٥ص٥٩).

(٨٨) تفسير النسفي (٢٤٢/٢).

التقدير: فلا ينبغي أن يسرف الولي في القتل .**الثاني**: أن الضمير للقاتل الظالم ابتداءً، أي فلا ينبغي أن يسرف ذلك الظالم وإسرافه عبارة عن إقدامه على ذلك القتل الظلم»[٨٩].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أنهما متقاربتا المعنى حيث إن الأمر بالنهي موجه للجميع سواء للولي أو القاتل، وأمر الله قضاء لا بد من تنفيذه.

يقول الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بأمر أو نهي في أحكام الدين قضاء منه بذلك على جميع عباده وكذلك أمره ونهيه بعضهم أمر منه ونهي جميعهم إلا فيما دل فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض، فإذا كان ذلك كذلك بما قد بيّنا في كتابنا البيان عن أصول الأحكام فمعلوم أن خطابه تعالى بقوله ﴿فلا تسرف في القتل﴾ نبيه ﷺ وإن كان موجهاً إليه أنه معني به جميع عباده فكذلك نهيه ولي المقتول أو القاتل عن الإسراف في القتل والتعدي فيه نهي لجميعهم فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك»[٩٠].

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء: ٣٥].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (**بالقِسْطَاسِ**) بكسر القاف.

٢. قرأ الباقون (**بالقُسْطَاسِ**) بضم القاف[٩١].

---

(٨٩) التفسير الكبير (مجلد١٠ج٢٠ص٢٠٤).

(٩٠) تفسير الطبري (مجلد٨ج١٥ص٥٩).

(٩١) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

اللغة والبيان:

(القِسطاس) بكسر القاف و(القُسطاس) بضم القاف، لغتان فصيحتان، والضم أكثر؛ لأنه لغة الحجاز. ومعناه: الميزان، وأصله: رومي[٩٢].

والأصح أنه لغة العرب، وقيل أيضاً القرطسون. وقيل: هو كل ميزان، صغر أم كبر[٩٣].

وجاء في التصريح: «وأقوى الحركات الضم، ويليه الكسر، ثم الفتح»[٩٤]. لأن الفتح هو أقرب الحركات إلى السكون لحصوله بأدنى فتح الفم، بخلاف الضم والكسر، فإن الأول إنما يحصل بإعمال العضلتين معاً الواصلتين إلى طرفي الشفة، والثاني إنما يحصل بالعضلة الواحدة الجاذبة إلى أسفل»[٩٥].

التفسير:

مضمون الآية استكمالاً لجملة من الأوامر التي أمر الله بها، فهذه الآية فيها أمران يدلان على كمال الأمانة؛ **أولهما**: إيفاء الكيل، **وثانيهما**: إتمام الوزن؛ لأن في ذلك الفلاح في الدنيا والآخرة.

يقول البقاعي: «ولما كان التقدير بالكيل أو الوزن من جملة الأمانات الخفية كالتصرف لليتيم، وكان الائتمان عليه كالمعهود فيه، أتبعه قوله: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ أي نفسه فإنه أمر محسوس لا يقع فيه إلباس واشتباه؛ ولما كان صالحاً لمن أعطى ومن أخذ، قال: ﴿وإذا كلتم﴾ أي لغيركم، فإن اكتلتم لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حقكم ولم توفوا الكيل، ﴿وَزِنُواْ﴾ أي متلبساً ﴿بِٱلۡقِسۡطَاسِ﴾ أي ميزان العدل الذي هو أقوم الموازين، وزاد في تأكيد معناه فقال تعالى: ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾ دون شيء من الحيف على ما

---

(٩٢) انظر: الحجة في القراءات (ص١٢٦).
(٩٣) اللباب (٢٧٩/١٢).
(٩٤) التصريح (٥٩/١). بواسطة: شرح التصريح على التوضيح: خالد بن عبدالله الأزهري.
(٩٥) المرجع السابق (٥٨/١ ـ ٥٩).

مضى في الكيل سواء ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر العالي الرتبة الذي أمرناكم به ﴿خَيۡرٞ﴾ لكم في الدنيا والآخرة، وإن تراءى لكم أن غيره خير ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ أي عاقبة في الدارين»[٩٦].

وقال ابن عاشور: «ومعنى كون ذلك أحسن تأويلاً: أن النظر إذا جال في منافع التطفيف في الكيل والوزن، وفي مضار الإيفاء فيهما، ثم عاد فجال في مضار التطفيف، ومنافع الإيفاء، استقر وآل إلى أن الإيفاء بهما خير من التطفيف؛ لأن التطفيف يعود على المطفف باقتناء جزء قليل من المال، ويكسبه الكراهية، والذم عند الناس، وغضب الله، والسحت في ماله، مع احتقار نفسه في نفسه، والإيفاء بعكس ذلك يكسبه ميل الناس إليه، ورضى الله عنه، ورضاه عن نفسه والبركة في ماله»[٩٧].

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة (القِسطاس) بالكسر أن الله أمر بالدقة في الوزن، والعدل فيه.

وأفادت قراءة (القُسطاس) بالضم التحري في الدقة في الوزن، للوصول إلى غاية العدل مع الناس، وخاصة في الموازين الصغيرة، وهي غالب الأوزان عند الناس، والتي تحتاج إلى دقة كبيرة في الوزن.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن الله تعالى قد أمر بتحري الدقة في الوزن؛ بحيث يحرص الإنسان على تجنب تخسير الميزان ولو بأقل القليل، لأن القليل يجر إلى الكثير.

يقول الألوسي: «ثم إن إيفاء الكيل والوزن واجب إجماعاً، ونقص ذلك من الكبائر مطلقاً على ما يقتضيه الوعيد الشديد لفاعله الوارد في

(٩٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (٤/٣٧٩ ـ ٣٨٠).

(٩٧) التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص٩٩).

الآيات والأحاديث الصحيحة، ولا فرق بين القليل والكثير، نعم قال بعضهم: إن التطفيف بالشيء التافه الذي يسامح به أكثر الناس ينبغي أن يكون صغيرة، فإن قلت: ذكروا في الغصب أن غصب ما دون ربع دينار لا يكون كبيرة؛ وقضيته أن يكون التطفيف كذلك، قلت: قيل ذلك مشكل فلا يقاس عليه بل حكى الإجماع على خلافه»(٩٨).

١٠ ـ قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٨].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف (سَيِّئُهُ) بضم الهمزة والهاء وإلحاقها واوًا في اللفظ على الإضافة والتذكير.

٢. قرأ الباقون (سَيِّئَةً) بفتح الهمزة ونصب تاء التأنيث مع التنوين على التوحيد(٩٩).

البيان:

السيء: «هو المكروه، وهو الذي لا يرضاه الله ﷻ، ولا يأمر به»(١٠٠).

(سيئه): اسم كان، و(مكروهاً) خبرها.

والمعنى: كل ما ذُكر مما أمرتم به، ونُهيتم عنه من قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى هنا، كان سيئه وهو: ما نُهيتم عنه خاصة مكروهاً، وذَكَّر (مكروهاً) على لفظ (كل).

(سيئة): خبر (كان) وأُنِّث حملاً على معنى (كل)، واسمها ضمير يعود على (كل)، واسم الإشارة: (ذلك) عائد على ما ذُكر من النواهي

(٩٨) روح المعاني (١٥/٧٢).

(٩٩) انظر: النشر (٢/٢٣٠)

(١٠٠) تفسير القرطبي (مجلده ج١٠ص٥٩٦).

السابقة، و(عند ربك) متعلق بمكروهاً و(مكروهاً) خبر بعد خبر، وقال (مكروهاً) ولم يقل (مكروهة) لأنه عائد على لفظ (كل)[(١٠١)].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن حكم ما تقدم ذكره من الأوامر والنواهي.

يقول المنصوري: «﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الأوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ أي: كان عمله القبيح الذي نهي عنه؛ وهي اثنتا عشرة خصلة ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ مُبغضاً غير مرضي عند الله تعالى»[(١٠٢)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (سيئة) أن كل ما سبق النهي عنه في هذه السورة هو سيئة مؤاخذ عليها وهي مكروهة عند الله تعالى.

وأفادت قراءة (سيئهُ) أن ما سبق ذكره بعضه معصية منهي عنها، وبعضه طاعة مأمور بها.

يقول ابن كثير: «أما من قرأ (سيئةً) أي: فاحشة، فمعناه عنده: كل هذا الذي نُهينا عنه من قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ إلى ها هنا، فهو سيئة مؤاخذ عليها ﴿مَكْرُوهًا﴾ عند الله، لا يحبه ولا يرضاه.

وأما من قرأ (سيئهُ) على الإضافة، فمعناه عنده: كل هذا الذي ذكرناه من قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى ها هنا فسيئهُ أي: فقبيحهُ مكروه عند الله، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله»[(١٠٣)].

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن الله سبحانه وتعالى يذكر الحسن،

---

(١٠١) المغني (٣٤٥/٢) باختصار.

(١٠٢) المقتطف من عيون التفاسير: مصطفى الخيري المنصوري (١٩٧/٣).

(١٠٣) تفسير ابن كثير (٨١/٥).

والقبيح من باب الاهتمام بشأن الحسن والتنفير من القبيح وهي: الأمور المنهي عنها، وأن كل ما كان منهياً عنه فهو سيئة يبغضها الله ويؤاخذ عليها.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء: ٤١].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**ليذْكُروا**) بإسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها.

٢. قرأ الباقون (**لِيَذَّكَّرُواْ**) بفتح الذال والكاف مع تشديدهما[١٠٤].

البيان:

(**ليذَّكروا**): مضارع (تذكر) وأصلها (يتذكر) فأدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما، والتذكّر هو التدبر كأنه بمعنى تذكُّر بعد تذكُّر وهو بمعنى التفكُّر أي ليتدبروه بعقولهم.

(**ليذكروا**): فيها وجهان:

الأول: أنه مضارع (ذكر) من الذكر باللسان أو التذكر بعد النسيان.

الثاني: أن الذكر قد جاء بمعنى التأمل والتدبر كقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ والمعنى: وافهموا ما فيه[١٠٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نفور أولئك الذين عادوا الملائكة وزعموا أنهم بنات الله عن الحق رغم مجيء البيان القرآني وتكراره بأساليب ووجوه

---

(١٠٤) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

(١٠٥) انظر: التفسير الكبير (مجلد١٠ج٢٠ص٢١٧)، حجة القراءات ص٤٠٤، الحجة للقراء السبعة (٥/١٠٤)، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها: مكي بن أبي طالب (٢/٤٧)، المستنير في تخريج القراءات المتواترة: محمد سالم محيسن (١/٣٠٥).

مختلفة لهم ليتعظوا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره ولقد صرفنا لهؤلاء المشركين المفترين على الله في هذا القرآن العبر والآيات والحجج وضربنا لهم فيه الأمثال وحذرناهم فيه وأنذرناهم ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ يقول ليتذكروا تلك الحجج فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون ويعتبروا بالعبر فيتعظوا بها وينيبوا من جهالتهم فما يعتبرون بها ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنذر، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تذكيرنا إياهم ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ يقول إلا ذهاباً عن الحق وبعداً منه وهرباً، والنفور في هذا الموضع مصدر من قولهم نفر فلان من هذا الأمر منه نفراً ونفوراً»(١٠٦).

يقول القاسمي: «﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ أي كرّرنا للناس البيان بوجوه كثيرة، وبيّنا فيه من كل مثل ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي يتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي التصريف المذكور ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ أي عن الحق وبعداً عنه، الذي يقربه وجوه البيان»(١٠٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ليذّكروا) مشدداً أن الله قد كرر البيان في القرآن بوجوه مختلفة من الأمثال وغيرها ليتفكروا فيها ويعملوا عقولهم مرة بعد أخرى ليتوصلوا بذلك إلى بطلان اعتقادهم.

يقول الألوسي: «﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي ليتذكروا ويتعظوا ويطمئنوا له فإن التكرار يقتضي الإذعان واطمئنان النفس»(١٠٨).

يقول مكي بن أبي طالب: «(ليذّكروا) خففه حمزة والكسائي، جعلاه من الذكر، وشدد الباقون، جعلوه من التذكّر وهو التدبر، كأنه بمعنى تذكّر بعد تذكّر، وهو أولى لأن التذكّر فيما أنزل الله من كتابه، والتذكُّر أولى بنا

(١٠٦) تفسير الطبري (مجلد٨ج١٥ص٦٤)

(١٠٧) انظر: محاسن التأويل (٣٩٣١/١٠)

(١٠٨) روح المعاني (٨١/١٥ ـ ٨٢)

من الذكر له بعد النسيان. وقوله ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص: ٥١] يدل على التشديد في (ليذّكّروا). وقد قال تعالى ذكره: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ فالتشديد لـ(التدبر) والتخفيف لـ(الذكر) بعد النسيان»[١٠٩].

يقول الشوكاني: «قرأ يحيى بن وثاب[١١٠] والأعمش[١١١] وحمزة والكسائي (ليذكروا) مخففاً والباقون بالتشديد، واختارها أبو عبيد لما تفيده من معنى التكثير»[١١٢].

وأفادت قراءة (ليذْكروا) مخففاً أن الله سبحانه كرر البيان في القرآن بوجوه مختلفة لِيَذْكُرَ أولئك المشركون ما جاء في القرآن من دلائل بألسنتهم فيؤدي إلى تدبرهم في المعاني، فيفهموها، فتتأثر قلوبهم لما في القرآن من أثر على القلوب.

يقول ابن عادل الحنبلي[١١٣]: «قال الواحدي: والتذكر هنا أشبه من الذِّكْر، لأن المراد منه التدبر والتفكر، وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد النسيان.

ثم قال: وأما قراءة حمزة والكسائي، ففيها وجهان:

الأول: أن الذكر قد جاء بمعنى التأمل والتدبر كقوله سبحانه جل ذكره: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]. والمعنى: وافهموا ما فيه.

والثاني: أن يكون المعنى: صرفنا هذه الدلائل في هذا القرآن؛

(١٠٩) الكشف (٤٧/٢).

(١١٠) سبقت ترجمته. انظر ص٢٦.

(١١١) سبقت ترجمته. انظر ص٢٦

(١١٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (٢٨٨/٣).

(١١٣) هو: سراج الدين بن عادل أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، توفي ٨٨٠هـ. (انظر: كشف الظنون (١٥٤٣/٢)).

لتذكروه بألسنتكم فإن الذكر بألسنتكم قد يؤدي إلى تأثر القلب بمعناه»(١١٤).

جاء في حاشية زادة(١١٥) على تفسير البيضاوي: «قوله: (من الذكر الذي هو بمعنى التذكر) وهو التفكر والتأمل فإن الذكر قد يجيء بهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]. والتذكر: الاعتبار والاتعاظ... ثم إن المقصود من التذكر والاتعاظ أن تطمئن قلوبهم إلى هذا المعنى الذي كرر تقريره بوجوه مختلفة بقرينة قوله: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ فإن النفور مقابل للطمأنينة كأنه قيل: كررنا القول في هذا المعنى أو كررنا هذا المعنى في القرآن المنزل ليتعظوا، ويطمئنوا إليه؛ فما يزيدهم إلا نفوراً. وفيه تعكيس بما ينبغي من حيث إن حق هذا التكرير أن يزيدهم اتعاظاً، وطمأنينة قلب، ومع هذا قد زادهم نفوراً وعناداً»(١١٦).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أن الله قد صرف دلائل مختلفة ومتنوعة في القرآن ليذكرها المدعوون إلى الله على ألسنتهم، لعلها تخالط شغاف قلوبهم فيتدبروها، ويُعملوا عقولهم فيها مرة بعد أخرى، فيفهموها؛ فتكون موضع اتعاظ واعتبار لهم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وحفص **(كما يقولون)** بالغيب.

٢. قرأ الباقون **(كما تقولون)** بالخطاب(١١٧).

---

(١١٤) اللباب في علوم الكتاب (٢٩٤/١٢).

(١١٥) الحاشية لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي الحنفي، المشهور بمحيي الدين شيخ زادة. توفي سنة ٩٥١هـ.

(١١٦) حاشية زاده على تفسير البيضاوي (٣٨٧/٥ ـ ٣٨٨).

(١١٧) انظر: النشر (٢٣١/٢)

البيان:

من قرأ (كما تقولون) بالتاء: على مخاطبة النبي ﷺ للمشركين، ومن قرأ (كما يقولون) بالياء: يكون على خطاب النبي ﷺ للمؤمنين يخاطبهم بما يقول المشركون(١١٨).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى بالقياس المنطقي.

يقول الشنقيطي: «وفي معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير، كلاهما حق ويشهد له قرآن، فنذكر الجميع لأنه كله حق.

الأول من الوجهين المذكورين:

أن معنى الآية الكريمة: لو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعم الكفار ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾ أي الآلهة المزعومة، أي لطلبوا ﴿إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي إلى الله ﴿سَبِيلٗا﴾ أي إلى مغالبته وإزالة ملكه، لأنهم إذاً يكونون شركاءه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض.

الوجه الثاني في معنى الآية الكريمة:

أن المعنى ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ أي طريقاً ووسيلة تقربهم إليه لاعترافهم بفضله، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ولا شك أن المعنى الظاهر المتبادر من الآية بحسب اللغة العربية هو القول الأول» اهـ(١١٩).

يقول القاسمي: «وحاصله: أن السبيل بمعنى الوسيلة الموصلة إليه،

---

(١١٨) انظر: حجة القراءات (ص٤٠٥).

(١١٩) تفسير أضواء البيان (٢/٣١٠ ـ ٣١١) باختصار.

وفيه إشارة إلى قياس اقتران تقريره هكذا: لو كان كما زعمتم معه آلهة لتقربوا إليه. وكل من كان كذلك ليس إلها، فهم ليسوا بآلهة.

وقيل: معنى ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ أي لطلبوا إليه سبيلاً بالمغالبة والممانعة، كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض، على طريقة قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وهذا الوجه قدمه الزمخشري على الأول وقال أبو السعود: إنه الأظهر الأنسب لقوله»[١٢٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الخطاب (كما تقولون) أن الله قد أمر محمداً ﷺ أن يخاطب المشركين بالحجة ليبطل حجتهم التي احتجوا بها من اتخاذ شركاء من دون الله ليقربوهم إلى الله زلفى.

يقول ابن كثير: «يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكاً في خلقه، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى: لو كان الأمر كما تقولون وأن معه آلهة تُعبد لتقرب إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه. وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه»[١٢١].

وأفادت قراءة الغيب (كما يقولون) أن الله قد أمر محمداً ﷺ أن يوجه الخطاب إلى المؤمنين فيخبرهم بما يقوله الكافرون، وحجتهم في اتخاذهم آلهة من دون الله، وكيفية إبطال حجتهم بالمنطق.

يقول ابن عاشور: «قرأ الجمهور (كما تقولون) بتاء الخطاب على

(١٢٠) محاسن التأويل (٣٩٣١/١٠).
(١٢١) تفسير ابن كثير (٨٢/٥).

الغالب في حكاية القول المأمور بتبليغه أن يحكى كما يقول المبلِّغ حين إبلاغه. وقرأه ابن كثير وحفص بياء الغيبة على الوجه الآخر في حكاية القول المأمور بإبلاغه للغير أن يحكى بالمعنى، لأنه في حال خطاب الآمر المأمور بالتبليغ يكون المبلَّغ له غائباً، وإنما يصير مخاطباً عند التبليغ، فإذا لوحظ حاله هذا عبّر عنه بطريق الغيبة»[١٢٢].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن الله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله الكريم ﷺ بالرد على المشركين الذين اتخذوا من دون الله شركاء بحجة اعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، أمرهم أن يردوا على الحجة بالحجة، ويُعْلِم المسلمين بحجة الكافرين وكيفية الرد عليها وإبطالها، وفي هذه الآية أيضاً إشارة إلى المسلمين في كل عصر بإبطال حجج الكافرين وإثبات لوحدانية الله بالقياس المنطقي.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤٣].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف ورويس بخلف عنه **(عما تقولون)** بالخطاب.

٢. قرأ الباقون **(عما يقولون)** بالغيب، وهو الوجه الثاني لرويس[١٢٣].

البيان:

قراءة الغيب (عما يقولون) على تنزيه الله لنفسه، ويجوز حمله على القول كأنه يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ قل أنت يا محمد: سبحانه وتعالى عما يقولون.

---

(١٢٢) التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص١١٢)

(١٢٣) انظر: النشر (٢/٢٣١).

وقراءة الخطاب (عما تقولون) على مخاطبة النبي ﷺ للمشركين[١٢٤].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تنزيه الله تنزيهاً حقيقاً به متباعداً عن قولهم؛ بأن يكون معه آلهة، وأن يكون له بنات.

قال المنصوري: «﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي تنزه ذاته تنزهاً حقيقياً، ﴿وَتَعَالَىٰ﴾ تباعد وتقدس، ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من العظيمة أن معه آلهة، وأن يكون له بنات، ﴿عُلُوًّا﴾ تعالياً ﴿كَبِيرًا﴾ لا غاية وراءه، كيف لا وأنه ﷻ في أقصى غاية الوجود الذاتي، وما يقولونه من أن له شريكاً وأولاداً، في أبعد مراتب العدم؛ أعني الامتناع!!»[١٢٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الغيب (عما يقولون) أن الله سبحانه قد نزه نفسه عن مقولة المشركين، وطلب من النبي ﷺ أن ينزهه عن مقولتهم تنزيهاً يليق بعلوه على خلقه علواً لا غاية وراءه يليق بجلاله.

يقول الطبري: «وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات»[١٢٦].

يقول ابن زنجلة: «قال جل وعز مستأنفا بتنزيه نفسه لا على مخاطبتهم ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾. ويجوز أن تحمله على القول، كأنه يقول الله جل وعز لنبيه ﷺ قل أنت يا محمد: سبحانه وتعالى عما يقولون»[١٢٧].

وأفادت قراءة الخطاب (عما تقولون) أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه

---

(١٢٤) انظر: حجة القراءات (ص٤٠٤ ـ ٤٠٥).

(١٢٥) المقتطف من عيون التفاسير (١٩٨/٣).

(١٢٦) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٦٥) .

(١٢٧) حجة القراءات (ص٤٠٤).

بخطاب المشركين منزهاً إياه تنزيهاً يليق بجلاله عن قولهم باتخاذ الله للشركاء.

يقول ابن عاشور: «قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاء الخطاب على أنه التفات، أو هو من جملة المقول من قوله ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾ على هذه القراءة»(١٢٨).

يقول ابن زنجلة: «قرأ حمزة والكسائي (كما تقولون) بالتاء، (عما تقولون) بالتاء أيضاً. قيل للنبي ﷺ قل للذين أشركوا: ﴿لو كان معه آلهة كما تقولون﴾، ثم عطف عليه قوله ﴿سبحانه وتعالى عما تقولون﴾ على مخاطبة النبي ﷺ إياهم»(١٢٩).

يقول الطبري: «فقال تنزيهاً لله وعلواً له عما تقولون أيها القوم من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة»(١٣٠).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الله سبحانه ينزه نفسه عن قول المشركين ويأمر الرسول ﷺ بتنزيهه مواجهاً به المشركين راداً بهذا التنزيه على افتراءاتهم على الله.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

القراءات:

١. قرأ نافع وحمزة وابن كثير وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ورويس بخلف عنه (يُسَبِّح) بالياء على التذكير.

---

(١٢٨) التحرير والتنوير (مجلد ٧ ج١٥ ص١١٣).

(١٢٩) حجة القراءات (ص٤٠٥).

(١٣٠) تفسير الطبري (مجلد ٨ ج١٥ ص٦٥).

٢. قرأ الباقون بالتاء على التأنيث (تُسَبِّح)، وهو الوجه الثاني لرويس[١٣١].

البيان:

قراءة (تسبح) بالتاء: على تأنيث لفظ السموات، كما في قراءة أُبي (سبحت له السموات).

وقراءة (يسبح) بالياء: لأن السموات جمع قليل، والعرب تذكِّره، ودليله قوله تعالى ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥]، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠]، والعلة في ذلك: أن الجمع القليل قبل الكثير، والتذكير قبل التأنيث، يحمل الأول على الأول[١٣٢].

ومن قرأ بالياء ذكَّر، لأنه قد حال بينه وبين المؤنث بالظرف (له)، ولأنه تأنيث غير حقيقي[١٣٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تنزيه كل ما في الكون من أحياء وجمادات لله سبحانه وتعالى وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته، وعدم فهم الإنسان للغة تسبيح كثير من المخلوقات من كائنات وغيرها لا يعني عدم تسبيحها له.

يقول ابن كثير: «يقول الله تعالى: تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه، وتجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلاهيته، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٩٠ ـ ٩١].

---

(١٣١) انظر: النشر (٢/٢٣١).
(١٣٢) انظر الحجة في القراءات السبع: أبو عبدالله ابن خالويه (ص١٢٧).
(١٣٣) الكشف (٢/٤٨).

وقوله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي: لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس، لأنها بخلاف لغتكم. وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد، وقوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي: أنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، بل يؤجله وينظره، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر»(١٣٤).

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة التذكير (يسبح) أن عظيم مخلوقات الله غير العاقلة؛ وهي السموات والأرض دائمة التسبيح لله.

يقول ابن عاشور: «ولما أسند التسبيح إلى كثير من الأشياء التي لا تنطق دل على أنه مستعمل في الدلالة على التنزيه بدلالة الحال، وهو معنى قوله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ حيث أعرضوا عن النظر فيها فلم يهتدوا إلى ما يحف بها من الدلالة على تنزيهه عن كل ما نسبوه من الأحوال المنافية للإلهية»(١٣٥).

وأفادت قراءة التأنيث (تسبح) أن السموات بمجموعها وبما فيها من عاقل وغير عاقل تسبح لله تسبيحا كثيراً يليق بجلاله.

يقول الطبري: «قوله ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ يقول: تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاماً وإجلالاً ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ من المؤمنين به من الملائكة، والإنس والجن، وأنتم مع إنعامه عليكم وجميل أياديه عندكم تفترون عليه بما تفترون»(١٣٦).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن السموات والأرض بما احتوته من العاقل وغير العاقل من مخلوقات الله تسبح لله، كل بحسب حاله ومقاله، وأن

---

(١٣٤) تفسير ابن كثير (٨٢/٥ ـ ٨٦) باختصار.

(١٣٥) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١١٤).

(١٣٦) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٦٥).

السموات والأرض رغم عظمتها وعدم عقلانيتها؛ إلا أنها تسبح لله تسبيحاً يليق بجلاله، وأنتم أيها المشركون بالله المتقولون على الله لا يقارن عظماؤكم بعظمة سماء واحدة تشركون بالله، وتدعون عليه بالباطل!.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٨].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وأبو جعفر (إذا) بالإخبار، (أئنا) بالاستفهام.

٢. قرأ نافع والكسائي ويعقوب (أئذا) بالاستفهام، (إنا) بالإخبار.

٣. قرأ الباقون (أئذا)، (أئنا) بالاستفهام فيهما[١٣٧].

اللغة والبيان:

الرفات: «ما تكسر وَبَلِيَ من كل شيء، ويكثر بناء فُعال في كل ما يحطم ويرضض، يُقال: حُطام ودُقاق وتُراب، وقال المبرد: كل شيء مدقوق مبالغ في دقه حتى انسحق فهو رفات.

وقال الفراء: لا واحد له من لفظه، يُقال: رفت الشيء رفتاً فهو مرفوت إذا صير كالحطام»[١٣٨].

قال السمين الحلبي[١٣٩]: «الوجه في قراءة من استفهم في الأول والثاني تأكيداً، والوجه في قراءة من أتى به مرة واحدة حصول المقصود به؛

---

(١٣٧) انظر: النشر (١/٢٩٠).

(١٣٨) مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الطبرسي (٦/٢٤٢).

(١٣٩) هو: أحمد بن يوسف بن محمد شهاب الدين أبو العباس الحلبي المصري، النحوي المقرىء، الفقيه، المعروف بالسمين الحلبي، كان فقيهاً بارعاً في النحو والتصريف وعلم القراءة، خيراً ديناً، توفي سنة ٧٥٦هـ. (انظر: طبقات الشافعية (٣/١٨ ـ ١٩)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني (١/٣٣٩ ـ ٣٤٠)).

لأن كل جملة مرتبطة بالأخرى، فإذا أنكر في إحداها حصل الإنكار في الأخرى»[١٤٠].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قول مشركي مكة وإنكارهم لقضية البعث وعلى رأسهم الوليد ابن المغيرة؛ حيث أنكروا أن يُبعث الإنسان يوم القيامة بعد أن كان عظاماً بالية.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش، وقالوا بِعَنَتِهِمْ: أئذا كنا عظاماً لم نتحطم، ولم نتكسر بعد مماتنا وبلانا، ﴿وَرُفَٰتًا﴾ يعني تراباً في قبورنا، وقوله ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ قالوا إنكاراً منهم للبعث بعد الموت: إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاماً غير منحطمة، ورفاتاً منحطمة، وقد بلينا فصرنا فيها تراباً ﴿خَلۡقٗا﴾ منشأ كما كنا قبل الممات ﴿جَدِيدٗا﴾ نُعاد كما بُدئنا»[١٤١].

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة الإخبار في الأول والاستفهام في الثاني أن المشركين ذكروا المُشاهد من أحوال أجساد الموتى في الدنيا ثم أنكروا عن طريق الاستفهام قضية البعث في الآخرة لهذه الأجساد البالية.

يقول الطبرسي: «لما تقدم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في إنكاره فقال ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا﴾ أي: غباراً عن ابن عباس. وقيل تراباً عن مجاهد ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ والمعنى: قال المنكرون للبعث: إنا إذا متنا وانتثرت لحومنا وصرنا عظاماً وتراباً أنبعث بعد ذلك خلقاً جديداً، أي متجدداً، وهو إنكار في صورة الاستفهام»[١٤٢].

(١٤٠) الدر (٢٢٨/٤).

(١٤١) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٦٨).

(١٤٢) مجمع البيان (٢٤٣/٦).

وأفادت قراءة الاستفهام في الأول والإخبار في الثاني: قوة إنكار المشركين لقضية البعث انطلاقاً من عدم تصور تحول العظام والرفات إلى أجساد يوم القيامة.

يقول ابن عاشور: «والاستفهام إنكاري، وتقديم الظرف من قوله ﴿إذا كنا عظاما﴾ للاهتمام به لأن مضمونه هو دليل الاستحالة في ظنهم، فالإنكار متسلط على جملة ﴿إنا لمبعوثون﴾. وقوة إنكار ذلك مقيد بحالة الكون عظاماً ورفاتاً، وأصل تركيب الجملة: أإنا لمبعوثون إذا كنا عظاماً ورفاتاً؟، وليس المقصود من الظرف التقييد، لأن الكون عظاماً ورفاتاً ثابت لكل من يموت فيُبعث»[(١٤٣)].

أما قراءة الاستفهام فيهما فقد أفادت تأكيد كل من الاستفهام للآخر، وبالتالي شدة تأكيد إنكار المشركين للبعث.

يقول أبو السعود: «﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ استفهام إنكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال إلى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي، كأن استحالة الأمر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به، وتكرير الهمزة في قولهم ﴿أَءِنَّا﴾ لتأكيد النكير، وتحلية الجملة بإن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى أن يُتوهم من ظاهر النظم»[(١٤٤)].

ويقول الشوكاني: «﴿ءإنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ كرر الاستفهام الدال على الاستنكار، والاستبعاد تأكيداً وتقريراً، والعامل في إذا هو ما دل عليه لمبعوثون، لا هو نفسه، لأن ما بعد إن والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها، والتقدير: أإذا كنا عظاماً ورفاتاً نبعث ءإنا لمبعوثون»[(١٤٥)].

---

(١٤٣) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٢٤).
(١٤٤) تفسير أبي السعود (٢١٩/٣ ـ ٢٢٠) باختصار.
(١٤٥) فتح القدير (٢٩٤/٣).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن المشركين ينكرون الآخرة وما يحدث فيها من بعث بعد الموت للأجساد، كما ينكرون أشد النكران قدرة الله على إعادة تركيب الجسد وبث الحياة فيه بعد أن كان عظاماً ورفاتاً بالية، وفي ذلك دلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

القراءات:

١. قرأ نافع (النبيئين) بالهمز على الأصل.

٢. قرأ الباقون (النبيّين) بغير همز[١٤٦].

١. قرأ حمزة وخلف (زُبُورًا) بضم الزاي.

٢. قرأ الباقون (زَبُورًا) بفتح الزاي[١٤٧].

اللغة والبيان:

(**النبيئين**) بالهمز: من النبأ، ومن أنبأ عن الله، أي: أخبر، على وزن (فَعِيل) بمعنى (مُفْعِل).

فالنبي: هو الذي ينبىء؛ أي يخبر عن الله.

و(**النبيين**) بغير همز: من نبا الشيء يَنْبُو إذا ارتفع، ويقال للمكان المرتفع: نَبِيٌّ، وكذلك النبوة والنّباوة. وإنما قيل للنبيِّ نبيٌّ: لارتفاع منزلته وشرفه تشبيهاً له بالمكان المرتفع على ما حوله[١٤٨].

(١٤٦) انظر حجة القراءات (ص٩٩)، وانظر: الإتحاف (ص١٨٠) في موضع الآية ١٦٤ من سورة البقرة.

(١٤٧) انظر: النشر (٢/١٩٠).

(١٤٨) انظر: معاني القراءات (ص٥٢)، حجة القراءات (١/٩٩) في موضع الآية ١٦٤ من سورة البقرة.

وقد تطرق الباحث عبدالله الملاحي لهذا الموضع في رسالته، لذلك ستكتفي الباحثة ببيان موضع (زبوراً) فقط.

يقول الأستاذ عبدالله الملاحي في بيان العلاقة التفسيرية بين القراءتين (النبيئين) و(النبيّين): «تبيّن القراءتان صفات الأنبياء عليهم السلام، ومكانتهم عند الله ﷻ؛ حيث أفادت قراءة (النبيئين) أن النبي هو المخبر عن ربه الوحي. في حين أفادت قراءة (النبيّين) أن النبي هو صاحب المكانة العالية المترفع عن أي خبر كاذب، الهادي إلى الطريق المستقيم. قال تعالى في وصف محمد ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤]، وقال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٢]. **قال القرطبي**: فأما من همز فهو عنده من أنبأ إذا أخبر؛ واسم فاعله منبىء، ويجمع نبىء أنبياء، وقد جاء في جمع نبيّ نبآء... واختلف القائلون بترك الهمز؛ فمنهم من اشتقه من نبا ينبو، إذا ظهر. فالنبيّ من النبوة، وهو الارتفاع؛ فمنزل النبي رفيع. والنبي بترك الهمز أيضاً الطريق فسمي الرسول نبياً لاهتداء الخلق به كالطريق(١٤٩). وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ من صفات النبيّ أنه المخبر عن الله ﷻ صاحب المكانة العالية الهادي إلى الطريق المستقيم». اهـ(١٥٠).

(زبوراً): زبرت الكتاب: كتبته كتابة غليظة، وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له: زَبور، وخص الزَبور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام، وقرىء (زُبوراً) جمع زَبور، كقولهم في جمع ظريف: ظروف، أو يكون جمع زِبْرٍ، وزِبْرٌ مصدر سُمّي به كالكتاب، ثم جمع على زُبُر، كما جمع كتاب على كُتب، وقال بعضهم: الزَبور: اسم للكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية(١٥١).

(١٤٩) تفسير القرطبي (مجلد ١ج١ ص٣٩٠) في موضع الآية ٦١ من سورة البقرة.
(١٥٠) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الفاتحة والبقرة وآل عمران - رسالة ماجستير (صفحة ٨٠ - ٨١).
(١٥١) انظر: مفردات الراغب (صفحة٢٣٦)، مادة: زبر.

والحجة لمن قرأ (زَبوراً) أنه أراد: واحداً مفرداً. والحجة لمن قرأ (زُبوراً) أنه أراد الجمع[152].

والزبور في الأصل وصف للمفعول كالحلوب، أو مصدر كالقبول، وهذا الوزن في المصادر قليل، والأكثر ضم الفاء[153].

التفسير:

يقول ابن عاشور: «﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مشيراً إلى أن تفاضل الأنبياء ناشىء على ما أودعه الله فيهم من موجبات التفاضل. وهذا إيجاز تضمن إثبات النبوءة وتقررها فيما مضى مما لا قبل لهم بإنكاره. وتعدد الأنبياء مما يجعل محمداً ﷺ ليس بدعاً من الرسل.. فعلم أن طعنهم في نبوءة محمد ﷺ طعن مكابرة وحسد ... وتخصيص داود عليه السلام بالذكر عقب هذه القضية العامة؛ وجهه صاحب الكشاف ومن تبعه: بأن فائدة التلميح إلى أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء، وأمته أفضل الأمم؛ لأن في الزبور أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون. وهذا حسن. وأنا أرى أن يكون وجه هذا التخصيص الإيماء إلى أن كثيراً من الأحوال المرموقة في نظر الجاهلين وقاصري الأنظار؛ بنظر الغضاضة هي أحوال لا تعوق أصحابها عن الصعود في مدارج الكمال التي اصطفاها الله لها، وأن التفضيل بالنبوة والرسالة لا ينشأ عن عظمة سابقة، فإن داود عليه السلام كان راعياً من رعاة الغنم في بني إسرائيل.. فهو النبي الذي تجلى فيه اصطفاء الله تعالى لمن لم يكن ذا عظمة وسيادة. وذكر إيتائه الزبور هو محل التعريض للمشركين؛ بأن المسلمين سيرثون أرضهم وينتصرون عليهم؛ لأن ذلك مكتوب في الزبور كما تقدم آنفاً»[154].

---

(١٥٢) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص٦٦).

(١٥٣) انظر: روح المعاني (١٥/٩٥).

(١٥٤) انظر: التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٣٦ ـ ١٣٧) باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الفتح (زَبوراً) أنه اسم للكتاب المنزل على سيدنا داود عليه السلام.

وأفادت قراءة الضم (زُبوراً) أن هذا الكتاب مقسم إلى كتب أو مزامير - كما يقال عنه مزامير داود - وكل مزمور يُقال عنه زبور، وأن إنزاله على داود عليه السلام كان منجماً.

يقول الطبري: «وأما قوله ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ فإن القراء اختلفت في قراءته، فقرأته عامة قراء أمصار الإسلام غير نفر من قراء الكوفة: (وآتينا داود زَبوراً) بفتح الزاي على التوحيد، بمعنى وآتينا داود الكتاب المسمى زَبوراً، وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين: (وآتينا داود زُبوراً) بضم الزاي، جمع زبر، كأنهم وجهوا تأويله: وآتينا داود كتباً وصحفاً مزبورة، من قولهم: زبرت الكتاب أزبره زبراً، وذبرته أذبره ذبراً؛ إذا كتبته، قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ: (وآتينا داود زَبوراً) بفتح الزاي[١٥٥]، على أنه اسم الكتاب الذي أُوتيه داود، كما سُمي الكتاب الذي أوتيه موسى التوراة، والذي أُوتيه عيسى الإنجيل، والذي أُوتيه محمد الفرقان، لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتي داود، وإنما تقول العرب زبور داود وبذلك يعرف كتابه سائر الأمم»[١٥٦].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن الله تعالى قد أنزل الزبور على سيدنا داود عليه السلام، وأن هذا الكتاب نزل عليه منجماً كما نزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ منجماً، يحتوي على كتب وصحف، وهي ما يطلق عليه أهل الكتاب: مزامير داود.

---

(١٥٥) قول الطبري غير مقبول ولا نسلم له به لأن كلاً من تينك القراءتين متواترتين فلا يجوز تفضيل إحدى القراءتين المتواترتين على حساب الأخرى بما يفضي إلى تضعيف الأخرى أو التشكيك بها أو ردها لأن كلاً منهما قرآناً.

(١٥٦) تفسير الطبري (مجلد ٤ج٦ ص٢٠). في موضع الآية ١٦٣ من سورة النساء.

وقد ذكر في بعض تلك الصحف أوصاف النبي ﷺ وأوصاف أمته، وأنهم سيرثون أرض بني إسرائيل، وسينتصرون عليهم. وهذه بشارة للرسول والمسلمين، ورد على الكافرين وبني إسرائيل الذين أنكروا رسالة محمد ﷺ.

ومما يؤيد ما تم التوصل إليه من كون الزبور نزل منجماً على سيدنا داود عليه السلام ما ذكره الألوسي والشوكاني.

قال الألوسي: «وقيل إنه جمع زبور على حذف الزوائد، وعلى العلّات جُعل اسماً للكتاب المنزل على داود عليه السلام، وكان إنزاله عليه منجماً وبذلك يحصل الإلزام، وكان فيه كما قال القرطبي مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام، وإنما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله تعالى»(١٥٧).

وقال الشوكاني عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]: «واختلف في قائل هذه المقالة، فقيل: كفار قريش، وقيل: اليهود قالوا هلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل والزبور، وهذا زعم باطل ودعوى داحضة؛ فإن هذه الكتب نزلت مفرقة كما نزل القرآن، ولكنهم معاندون أو جاهلون لا يدرون بكيفية نزول كتب الله سبحانه على أنبيائه، ثم رد الله سبحانه عليهم فقال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: نزلنا القرآن كذلك مفرقاً، والكاف في محل نصب على أنها نعت مصدر محذوف، وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم، أي: مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه؛ لنقوي بهذا التنزيل على هذه الصفة فؤادك، فإن إنزاله مفرقاً منجماً على حسب الحوادث أقرب إلى حفظك له وفهمك لمعانيه، وذلك من أعظم أسباب التثبيت»(١٥٨).

١٧ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ

(١٥٧) روح المعاني (١٧/٦) في موضع الآية (١٦٣) من سورة النساء.
(١٥٨) فتح القدير (٩٣/٤).

قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ [الإسراء: ٦١].

القراءات:

١. قرأ ابن وردان بخلف عن أبي جعفر بضم التاء حالة وصل الملائكة باسجدوا، أما الوجه الثاني لابن وردان فهو الإشمام في كسرة التاء بضمها.

٢. قرأ الباقون (للملائكةِ) بكسر التاء كسرة خالصة حين وصلها بـ(اسجدوا)[(١٥٩)].

اللغة والبيان:

(الملائكة) من الألُوك. وهي الرسالة. وهي من المألُكة والمألَكَة، ومنه قالت الشعراء: أَلِكْنِي؛ أي: أرسلني، وبمعنى كن رسولي، واحدهم ملك ـ بترك الهمزة ـ لكثرة ما يجري في الكلام، والملائكة تقع على الواحد والجمع، والهمزة في الجمع مؤخرة لأنهم رسل الله[(١٦٠)].

قرأ بعض القراء التاء في الملائكة هنا بالكسر، وبعضهم بالضم ـ كما سبق بيانه ـ حين الوصل. وتعتبر الضمة من أقوى الحركات وأثقلها، ثم تليها الكسرة، ثم تليها الفتحة، وهي من أخف الحركات، وذلك لأن النطق بالضمة يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسرة والفتحة؛ وذلك لأنها لا تُنطق إلا بانضمام الشفتين وارتفاعهما، ولا تحتاج الكسرة ولا الفتحة إلى هذا الجهد[(١٦١)].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ وامتثال الملائكة للأمر فوراً، وعصيان إبليس واستكباره عن الأمر؛ محتجاً

---

(١٥٩) انظر: النشر (١٥٨/٢).

(١٦٠) انظر: مفردات الراغب (ص٢٨)، تفسير غريب القرآن (ص٢٣)، اللسان (١١٠/١ ـ ١١١).

(١٦١) انظر: بلاغة الكلمة (ص١١٤ ـ ١١٥). وانظر: التصريح (٥٨/١ ـ ٥٩).

بخيريته على آدم لأنه خلق من نار وآدم من طين، وفي مفهومه أن النار أفضل من الطين.

يقول أبو حيان: «مناسبة هذه الآية لما قبلها من وجهين: **أحدهما**: أنه لما نازعوا الرسول عليه السلام في النبوّة، واقترحوا عليه الآيات، كان ذلك لكبرهم وحسدهم للرسول ﷺ على ما آتاه الله من النبوّة، والدرجة الرفيعة، فناسب ذكر قصة آدم عليه السلام، وإبليس حيث حمله الكبر والحسد على الامتناع من السجود. **والثاني**: أنه لما قال ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ بيّن ما سبب هذا الطغيان وهو قول إبليس ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾»(١٦٢).

ويقول أبو السعود: «واذكر وقت قولنا لهم ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ تحيةً وتكريماً لما له من الفضائل المستوجبة لذلك، ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ له من غير تلعثم امتثالاً للأمر، وأداء لحقه ﷺ ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وكان داخلا في زمرتهم مندرجاً تحت الأمر بالسجود ﴿قَالَ﴾ أي عندما وبخ بقوله عز سلطانه: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، وقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ كما أشير إليه في سورة الحجر .﴿ءَأَسْجُدُ﴾ وأنا مخلوق من العنصر العالي ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ نصب على نزع الخافض، أي من طين، أو حال من الراجع إلى الموصول، أي خلقته وهو طين، أو من نفس الموصول أي: أأسجد له وأصله طين، والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بالموصول لتعليل إنكاره بما في حيز الصلة»(١٦٣).

يقول ابن عطية: «وكفر إبليس في أن جَهِلَ صفة العدل من الله تعالى حين لحقته الأنفة، والكبر، وكان أصل ذلك الحسد، ولذلك قيل إن أول ما عصى الله بالحسد»(١٦٤).

(١٦٢) البحر المحيط (٦/٥٤).

(١٦٣) تفسير أبي السعود (٣/٢٢٤).

(١٦٤) المحرر الوجيز (٣/٣٦٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الضم (للملائكةُ اسجدوا) أن أمر الله للملائكة بالسجود هو أمر عظيم وثقيل؛ لأنهم أُمِروا بالسجود لمخلوق من مخلوقات الله، ورغم ذلك استجابت الملائكة لهذا الأمر فوراً، ولكن إبليس ثَقُلَ عليه الأمر واستكبر، وتملكه الحسد والكبر فلم يستجب لأمر الله، واحتج بأنه خير من آدم من الناحية التكوينية، فناسب قراءة (الملائكة) بالضم ذكر الأمر الثقيل.

يقول الألوسي: «وذكر الخلق مع أنه يكفي في المقصود أن يقال: لمن كان من طين أدخل في المقصود؛ مع أنه فيه على ما قيل إيماء إلى علة أخرى وهي أنه مخلوق، والسجود إنما هو للخالق تعالى مجده»(١٦٥).

وأفادت قراءة (للملائكةِ اسجدوا) سهولة انقياد الملائكة لأوامر الله دون سؤال أو استفسار، فناسب قراءة الكسر الطاعة المباشرة والفورية للملائكة دون أدنى تردد؛ ومما دل على ذلك قوله: (فسجدوا) فالفاء تفيد السرعة مع التعقيب والترتيب.

يقول أبو السعود: «واذكر وقت قولنا لهم ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ تحية وتكريماً لما له من الفضائل المستوجبة لذلك، ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ له من غير تلعثم امتثالاً للأمر، وأداء لحقه ﷺ»(١٦٦).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أنه رغم عظم وثقل الأمر بالسجود إلا أن الملائكة امتثلوا فوراً لأمر الله طاعة له، وكان في هذا الأمر اختباراً وتمحيصاً لما في الصدور.

يقول مصطفى المنصوري: «فامتثلوا للأمر وسجدوا له إلا إبليس اللعين تكبر وتجبر وعصى أمر ربه، والآية تحقيق لمضمون ما سبق من قوله

(١٦٥) روح المعاني (١٥/١٠٩).

(١٦٦) تفسير أبو السعود (٣/٢٢٤).

تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويُعلم من حال الملائكة حال غيرهم، من عيسى وعزير عليهما السلام، ومن حال إبليس حال من يعاند الحق لأنهم إنما عاندوه لأمرين: الكبر، والحسد، وهذه بلية للخلق»[١٦٧].

١٨ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير ويعقوب (**أَخَّرْتَنِي**) بإثبات الياء في الوصل والوقف.

٢. وقرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو (**أَخَّرْتَنِي**) بإثبات الياء في الوصل دون الوقف.

٣. وقرأ الباقون (**أَخَّرْتَنِ**) بالحذف[١٦٨].

اللغة:

التأخير: ضد التقديم[١٦٩]. **أخرتن**: أي: أخرت أجل موتي[١٧٠].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تكرار إنكار إبليس لتفضيل آدم وتكريمه عليه، وبيان لشدة حسده وغيظه من آدم عليه السلام حتى طلب من الله عز وجل أن يمهله ليضل ذرية آدم عليه السلام انتقاماً من آدم.

يقول د. وهبة الزحيلي: «وقال هنا جرأة وكفراً: ﴿قال أرأيت هذا الذي كرمت علي﴾ أي: أخبرني عن هذا الذي فضلته: لِمَ كرَّمته عليَّ، وأنا خير منه؟ فإنه نسب الجور إلى ربه في زعمه أنه أفضل من آدم بسبب عنصر

(١٦٧) المقتطف (٢٠٨/٣).

(١٦٨) انظر: النشر (٢٣٢/٢).

(١٦٩) انظر: اللسان (٣٨/١) مادة: أخر.

(١٧٠) انظر: مجمع البيان (٢٥٢/٦).

الخلق، فإن عنصر النار أسمى وأرفع، وعنصر الطين أدنى وأقرب للخمول، والحقيقة أن العناصر كلها من جنس واحد، أوجدها الله، بل إن الطين أنفع من النار، فبالأول البناء والعمران، وبالثاني الخراب والهدم والدمار. ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: قسماً لئن أبقيتني إلى يوم القيامة لأستأصلن ذريته بالإغواء، ولأستولينَّ عليهم بالإضلال جميعاً، أو لأُضلنَّ ذريته إلا قليلاً منهم، وهم العباد المخلصون الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] أي: إن عبادي الصالحين لا تقدر أن تغويهم».اهـ(١٧١).

يقول ابن عاشور: «وهذا الكلام صدر من إبليس إعراباً عما في ضميره، وإنما شرط التأخير إلى يوم القيامة؛ ليعمَّ بإغوائه جميع أجيال ذرية آدم فلا يكون جيل آمناً من إغوائه»(١٧٢).

ويقول القرطبي في قول إبليس ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: «وإنما قال إبليس ذلك ظناً، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أو علم من طبع البشر تركُّب الشهوة فيهم، أو بنى على قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، وقال الحسن: ظن ذلك لأنه وسوس إلى آدم عليه السلام فلم يجد له عزماً»(١٧٣).

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة (أخرتن) بحذف الياء؛ أن إبليس طلب من الله ضمنياً أن يؤخر في أَجَلِه لإغواء بني آدم، وهو يعلم أن ذلك لا يعود عليه بالنفع وإنما هو حقد وحسد.

يقول د. فاضل السامرائي(١٧٤): «ولما كان طلب إبليس ليس من أجل

---

(١٧١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة الزحيلي (١٥/١١٦).
(١٧٢) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٥١).
(١٧٣) تفسير القرطبي (مجلد ٥ج١٠ ص٦١٩).
(١٧٤) هو: أبو محمد فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري من عشيرة «البدري» إحدى عشائر سامراء، ولد في سامراء عام ١٩٣٣م في عائلة عريقة متدينة متوسطة=

نفسه ولا يعود عليها بالنفع، حذف منه الضمير واجتزأ بالكسرة، ثم في الحقيقة إن كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم، فقال: (لَئِنْ أَخَّرْتَنِ) فهو من باب الطلب الضمني، وليس من باب الطلب الصريح»[١٧٥].

وأفادت قراءة (أخرتني) بثبوت الياء؛ دعاء من إبليس لله أن يستجيب لطلبه بإمهاله لإغواء بني آدم ليدلل على عدم أفضلية آدم وذريته، وأنه يستطيع أن يتسلط عليهم إلا قليلاً منهم.

يقول ابن عاشور: «﴿لئن أخرتني إلى يوم القيامة﴾ : الجملة قَسَمِيَّة، واللام موطئة للقسم المحذوف مع الشرط، والخبر مستعمل في الدعاء، فهو في معنى قوله ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾»[١٧٦].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أن إبليس عليه لعنة الله أراد أن يدلل على عدم أفضلية آدم وذريته عليه، وأنه يستطيع أن يتسلط عليهم؛ وذلك بدعاء الله أن يمد في عمره؛ وهو يعلم أن هذا الأمر لن يفيده بعد أن طرد من رحمة الله، وإنما هو حقد وحسد.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا

= الحالة الاقتصادية، حاد الذكاء تعلم القرآن الكريم منذ الصغر، تفوق في جميع مراحله الدراسية، حاصل على درجة الدكتوراة في اللغة العربية، عمل مدرساً في المدارس، وقضى ما يقارب أربعين عاماً أستاذاً للنحو في جامعة بغداد، تولى مناصب علمية عليا، ويعمل حالياً أستاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني في جامعة الشارقة. (انظر: شبكة المعلومات الدولية ـ موقع جوجل http://www.lamasaat.8m.com/). وانظر أيضاً: معجم الأدباء لكامل الجبوري (٤١٤/٤).

(١٧٥) بلاغة الكلمة (ص٢٨).

(١٧٦) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٥١).

﴿٦٤﴾ [الإسراء: ٦٤].

القراءات:

١. قرأ حفص (**وَرَجِلِكَ**) بكسر الجيم.

٢. قرأ الباقون (**ورَجْلِكَ**) بإسكان الجيم[١٧٧].

اللغة والبيان:

(**الرَّجْل**) بسكون الجيم؛ جمع راجل، كتاجر وتَجْر، وصاحب وصَحْب.

(**الرَّجِل**) بكسر الجيم؛ صفة، يُقال: فلان يمشي راجلاً إذا كان غير راكب، ويُقال: رَجِل يَرْجِل: إذا صار راجلاً، مثل: نَدِس ونَدْس وحَذِر وحَذْر، ورَجِلك واحد يراد به الكثرة. فيكون معناه: وجمعك الرجل[١٧٨]. ويجوز أن تكون قراءة من أسكن مثل قراءة من كسر الجيم، فتتفق القراءتان.[١٧٩]

التفسير:

هذه الآية استكمالٌ لقصة إبليس اللعين؛ فحينما رفض إبليس السجود لآدم استكباراً وغيرةً وطلب من الله أن يمهله إلى يوم القيامة لأجل أن يستأصل ذرية آدم بالإغواء، استجاب الله تعالى لطلبه بالإمهال، وتوعده سبحانه بأن كل أساليبه في الإغواء لا سبيل لها إلا الفشل والخذلان، وأن وعوده ما هي إلا من أجل الإضلال.

يقول د. وهبة الزحيلي في تفسيره للآية: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ أي: استخف واستنفر بدعوتك إلى معصية الله، ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي: بكل ما أوتيت من قوة وإغراء ووسوسة، واجمع عليهم

(١٧٧) انظر: النشر (٢/٢٣١).

(١٧٨) انظر: تفسير غرائب القرآن (مجلد ٨ج١٥ ص٦١)، اللباب (١٢/٣٣١).

(١٧٩) انظر: الكشف (٢/٤٨ ـ ٤٩).

جندك فرساناً ومشاةً، وهذا تمثيل، والمراد به: تسلَّط عليهم بكل ما تقدر عليه، واجمع لهم كل مكايدك، ولا تدَّخر وسعاً في إغوائهم، مستخدماً كل الأتباع والأعوان، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: بتحريضهم على كسب الأموال، وإنفاقها في معاصي الله من ربا وسرقة... وغير ذلك من تسميات غير شرعية، وتجاوز حدود الشرع في الزواج والطلاق والرضاع والنسب والنفقة وغيرها، ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: عدهم المواعيد الكاذبة الباطلة من شفاعة الآلهة المزعومة، والكرامة على الله بالأنساب الشريفة، أو بالتسويف في التوبة ومغفرة الذنوب بدونه ... ونحو ذلك مما سيظهر بطلانه حينما يقول إبليس يوم القضاء بالحق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقوله تعالى هنا: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: لا يعدهم الشيطان إلا كذباً وباطلاً، وإظهاراً للباطل في صورة الحق، فمواعيده كلها خُدعة وتزيين كاذب، وهذه الأوامر للشيطان واردة على سبيل التهديد والخذلان والتَّخلية، كما يُقال للعصاة: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]. اهـ[١٨٠].

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة (رَجِلِكَ) بكسر الجيم؛ أن الله تعالى أمر إبليس مهدداً ومُخَذِّلاً إياه بأن يجمع كل ما يقدر عليه من راكبٍ وماشٍ في معصية الله من الجن والإنس، ليغوي ذرية آدم عليه السلام.

يقول الطبرسي: أي اجمع عليهم ما قدرت عليه من مكايدك، وأتباعك وذريتك وأعوانك، وعلى هذا فتكون الباء مزيدة في بخيلك[١٨١]،

---

(١٨٠) التفسير المنير (١٦/١١٧ ـ ١١٨) باختصار.

(١٨١) لا زيادة في القرآن؛ والباء في (بخيلك) إما لتأكيد لصوق الفعل لمفعوله، فهي لمجرد التأكيد. ومجرورها مفعول في المعنى لفعل (أجلب) مثل (وامسحوا برؤوسكم)؛ وإما لتضمين فعل (أجلب) معنى (اغزهم) فيكون الفعل مضمناً معنى الفعل اللازم، وتكون الباء للمصاحبة. التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٥٤).

وكل راكب أو ماش في معصية الله من الإنس والجن فهو من خيل إبليس ورجله[(١٨٢)].

وأفادت قراءة (رَجْلِك) بسكون الجيم؛ أن الله تعالى قد أمر إبليس على وجه التخلية والتهديد أن يستعين بكل ما يقدر عليه من الراكبين والراجلين من الإنس والجن لإغواء بني آدم إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

يقول الطبري: «واجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليهم بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي»[(١٨٣)].

يقول ابن عطية: «قيل هذا مجاز واستعارة، بمعنى: اسع سعيك، وابلغ جهدك، وقيل معناه: أن له من الجن خيلاً ورجلاً، قاله قتادة، وقيل المراد: فرسان الناس ورجالتهم، المتصرفون في الباطل، فإنهم كلهم أعوان لإبليس على غيرهم»[(١٨٤)].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أنهما أفادتا معنىً واحداً وهو: دعوة إبليس أن يجمع كل ما يقدر عليه من أعوان وجنود وبكل الوسائل والأشكال من المكائد، من أجل محاولة إغواء ذرية آدم عليه السلام وهذا الأمر على سبيل التهديد والوعيد والخذلان لإبليس وأعوانه.

٢٠، ٢١ ـ قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء: ٦٨، ٦٩].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (نخسف. نرسلَ. نعيدَكم. فنرسلَ. فنغرقَكم)

---

(١٨٢) مجمع البيان (٢٥٣/٦).

(١٨٣) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٨١).

(١٨٤) المحرر الوجيز (٤٧٠/٣).

بنون العظمة.

٢. قرأ أبو جعفر ورُويس (فتغرقَكم) بتاء التأنيث، وبقية الأفعال بياء الغيبة.

٣. قرأ الباقون (يخسفَ. يرسلَ. يعيدَكم. فيرسلَ. فيغرقَكم) بالياء[١٨٥].

١. قرأ أبو جعفر (الرياح) بالجمع.

٢. قرأ الباقون (الريح) بالإفراد[١٨٦].

البيان:

قراءة الأفعال الخمسة بالنون؛ على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩] كأنه لما أتى الكلام عقيبه بلفظ الجمع جُعل ما قبله على لفظه ليأتلف نظام الكلام على لفظ واحد.

وقراءة الأفعال الخمسة بالياء؛ إخباراً من النبي ﷺ عن ربه ﷻ؛ وذلك لأن الكلام ابتدىء به بالخبر عن الله بلفظ التوحيد فقال: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ...﴾ [الإسراء: ٦٦] وقال: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] فما أتى عقيبه من الكلام جارياً على معناه، لأن القصة واحدة والكلام يتبع بعضه بعضاً[١٨٧].

ومن قرأ (فتغرقكم) بالتاء فالفعل للريح[١٨٨]. والريح هي: الهواء المتحرك، وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة[١٨٩].

(١٨٥) انظر: النشر (٢/٢٣١).

(١٨٦) انظر: النشر (٢/١٦٨).

(١٨٧) انظر: حجة القراءات (ص٤٠٦)، الحجة في القراءات السبع (ص١٢٨).

(١٨٨) معاني القراءات (ص٢٥٨).

(١٨٩) مفردات الراغب (ص٢٣٢) مادة: روح.

التفسير:

بعد أن تحدثت الآية السابقة عن إعراض الكافرين عن التوحيد حين شعورهم بالأمن ونجاتهم من أخطار البحر، وكفرهم لنعم الله عليهم، أنكر الله ﷻ على الكافرين كفرهم به، وشعورهم بالأمن من مكر الله بهم، وتقليب الأحوال عليهم، وبين ﷻ أن قدرته وسعت كل شيء؛ وذلك أن جانب البحر ليس هو وحده المختص بالإهلاك، وإنما في جانب البر جوانب أخرى من الإهلاك.

يقول الطبري: «أفأمنتم أيها الناس من ربكم وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك، فلما نجاكم وصرتم إلى البر كفرتم، وأشركتم في عبادته غيره، ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ يعني ناحية البر ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ يقول: أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم كما فعل بقوم لوط، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم من يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه، وما يمنعكم منه...أم أمنتم أيها القوم من ربكم وقد كفرتم به بعد إنعامه عليكم النعمة التي قد علمتم أن يعيدكم في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ يقول: مرة أخرى، ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ وهي التي تقصف ما مرت به فتحطمه وتدقه، ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ يقول: فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ يقول: بكفركم به، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم علينا تابعاً يتبعنا بما فعلنا بكم، ولا ثائراً يثأرنا بإهلاكنا بكم»(١٩٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الأفعال الخمسة (نخسفَ. نرسلَ. نعيدَكم. فنرسلَ. فنغرقَكم) بالنون أن الله ﷻ هو الفاعل لهذه الأمور والمخبر عنها، فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب، حيث أنَّ سياق الآية من قبل في قوله تعالى

(١٩٠) انظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٨٤ ـ ٨٥).

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يقتضي الغيبة، ولكنه التفت إلى التكلم عن نفسه ليدل بذلك دلالة واضحة على مدى إنكار الله ﷻ لأفعال الكافرين، ومدى شدة العذاب الذي يهددهم به، كما فيه تحذير للذين لا يلجئون إلى الله إلا في وقت الشدائد فقط، لأن هذا المسلك لا يرضى الله عنه لأنه طريق الكافرين والمنافقين، أما المؤمنون فهم الذين يفزعون ويلجئون إلى الله في كل حال.

وأفادت قراءة الأفعال الخمسة (يخسفَ. يرسلَ. يعيدَكم. فيرسلَ. فيغرقَكم) بالياء أن الله ﷻ يأمر نبيه ﷺ أن يخبر أولئك الكافرين عن ربه ﷻ بهذا التهديد، والإنكار لكفرهم.

لقد ذهب المفسرون إلى أنه لا فرق بين قراءة (الريح) وقراءة (الرياح) من حيث المعنى، باعتبار أن قراءة الإفراد (الريح) هي اسم جنس يدل على القليل والكثير، فتتفق مع قراءة الجمع (الرياح)[١٩١].

يقول القرطبي: «فَمَنْ وَحَّدَ الريح فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الريح»[١٩٢].

وحيث أن المقام هنا هو مقام ذكر العذاب للكافرين، فناسب أن يكون المقصود من قراءة الإفراد الجنس، ومع ذلك فقد أفادت قراءة (الريح) بالإفراد؛ أن الله يرسل على الكافرين ريحاً يعذبهم بها، وجاءت قراءة (الرياح) بالجمع لتبيّن أن الريح المرسلة عليهم ريحٌ كثيرة تهب من كل جانب مما يدل على هول العذاب وشدته.

وأفادت قراءة (فتغرقكم) أنَّ الرياح أو الريح تُغرق أولئك الكافرين بأمر الله وقدرته؛ لأنها مسخرة بأمره.

(١٩١) لقد أشار إلى هذا الرأي عبدالله الملاحي عند تفسيره للآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(١٩٢) تفسير القرطبي (مجلد ١ج٢ ص٥٩٥).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أنَّ الله ﷻ يتوعد أولئك الكافرين إن استمروا على كفرهم بالعذاب الشديد في قرآنه الذي يتلوه عليهم رسوله الكريم؛ وذلك بتسخير مخلوقاته لتوقع بهم العذاب؛ من خسفٍ أو إرسال للريح الشديدة التي تهب عليهم وترميهم بالحصباء، أو إعادتهم إلى البحر الذي فروا منه مرة أخرى؛ ليرسل عليهم ريحاً شديدة تحيط بهم من كل جانب فتدمر كل شيء تمر عليه فتغرقهم بأمر الله، فحينها لا يجدون لهم نصيراً ولا دافعاً لهم من عذاب الله، ولا ثائراً يثأر لهم.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢].

القراءات:

١. قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف (**أعمِى**) بالإمالة في الموضعين.

٢. قرأ أبو عمرو ويعقوب (**في هذه أعمِى**) بالإمالة، و(**فهو في الآخرة أعمَى**) بفتح الميم.

٣. قرأ الباقون (**أعمَى**) مفتوحة الميم في الموضعين[١٩٣].

اللغة والبيان:

العمى يقال في افتقاد البصر والبصيرة، ويقال في الأول: أعمى، وفي الثاني: أعمى وَعَمٍ، وعلى الأول قوله: ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [عبس: ٢]، وعلى الثاني ما ورَد من ذم العمى في القرآن نحو قوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة: ١٨][١٩٤].

فقراءة من قرأ (أعمِى) الأولى بكسر الميم[١٩٥]، وقراءة (أعمَى) الثانية

(١٩٣) انظر: النشر (٢/٣٣)، الإتحاف (ص٣٦٠).

(١٩٤) مفردات الراغب (ص٣٨٩). مادة: عمي.

(١٩٥) يقصد بكسر الميم: الإمالة.

بفتح الميم؛ فعلى اعتبار أن الأول اسماً - صفة - والثاني تعجباً على (أفعل) من كذا، فتم التفريق بين المعنيين باختلاف الحركتين، ومن كسر الميم منهما أو فتحهما معاً؛ فعلى معنى واحد وهو: الاسم، أي الصفة.(١٩٦)

التفسير:

تحدثت الآية السابقة عن تفاوت أحوال الناس في الآخرة بحسب أعمالهم في الدنيا؛ فابتدأت بحال المؤمنين أولي البصائر والنهى المتقين لله، وما لهم من الكرامة والسرور والتوفية لأجورهم يوم القيامة، وانتقلت هذه الآية إلى الحديث عن النقيض من هذا الحال؛ وهو: حال الكافرين الذين عموا عن رؤية نعم الله عليهم، ودلائله الدالة على توحيده، فكما كانوا على عمى قلبي في الدنيا فهم في الآخرة أشد عمى عن رؤية الكرامة، وعن طريق السعادة والنجاة.

يقول المنصوري: «من كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فُعل بهم ما فُعل من فنون التكريم والتفضيل أعمى فاقد البصيرة، لا يهتدي إلى رشده، ولا يعرف ما أوليناه به من التكريم، فضلاً عن شكرها والقيام بحقوقها، فهو في الآخرة لا يهتدي إلى ما ينجيه؛ لأن العمى الأول موجب للثاني، وسواء أكان العمى الثاني عمى البصيرة أم عمى العين كما قال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٥] فهو أضل طريقاً من الأعمى فاقد البصر لزوال الاستعداد، وتعطيل الآلات بالكلية»(١٩٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أعمِى) بالإمالة فيهما معاً، أو (أعمَى) بفتح الميم منهما معاً؛ أن العمى في الدنيا هو عمىً قلبي فقط، أما في الآخرة فقد يكون

---

(١٩٦) انظر: معاني القراءات (٢٥٩).

(١٩٧) انظر: المقتطف (٢١٤/٣) بتصرف.

عمىً قلبياً أو بصرياً أو هما معاً.

يقول الفخر الرازي: «لا شك أنه ليس المراد من قوله تعالى ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ عمى البصر، بل المراد منه عمى القلب، أما قوله ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ ففيه قولان:

القول الأول: أن المراد منه أيضاً عمى القلب، وعلى هذا التقدير ففيه وجوه:

الأول والثاني: من كان في الدنيا أعمى القلب عن معرفة هذه النعم والدلائل فبأن يكون في الآخرة أعمى القلب عن معرفة أحوال الآخرة أولى، **الوجه الثالث:** من كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً؛ لأنه في الدنيا تقبل توبته، وفي الآخرة لا تقبل توبته، وفي الدنيا يهتدي إلى التخلص من أبواب الآفات، وفي الآخرة لا يهتدي إلى ذلك البتة. **الوجه الرابع:** ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن معرفة الله، فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة.

القول الثاني: أن يُحمل العمى الثاني على عمى العين والبصر، فمن كان في هذه الدنيا أعمى القلب حشر يوم القيامة أعمى العين والبصر، كما قال تعالى ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦] وقال ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ﴾ [الإسراء: ٩٧] وهذا العمى زيادة في عقوبتهم». اهـ(١٩٨).

وأفادت قراءة (أعمِى) الأولى بالإمالة، وقراءة (أعمَى) الثانية بفتح الميم؛ أن العمى في الأولى والثانية هو: عمى القلب، وأنه في الآخرة يكون أشد عمىً منه من الدنيا.

---

(١٩٨) انظر: التفسير الكبير (٢٠/١١) بتصرف.

يقول الشوكاني: «قوله ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أفعل تفضيل، أي: أشد عمى، وهذا مبنيّ على أنه من عمى القلب، إذ لا يُقال ذلك في عمى العين»[199].

يقول أبو علي الفارسي[200]: «وأما قراءة أبي عمرو: ﴿أَعْمِي فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾ فأمال الألف من الكلمة الأولى، ولم يملها في الثانية، فلأنه يجوز أن لا يجعل أعمى في الكلمة الثانية عبارة عن العوارف الجارحة، ولكن جعله أفعل من كذا، مثل: أبلد من فلان، فجاز أن يقول فيه: أفعل من كذا، وإن لم يجز أن يقال ذلك في المصاب ببصره، وكذلك قوله ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي: أعمى منه في الدنيا، ومعنى العمى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طرق الثواب، ويؤكد ذلك ظاهر ما عُطف عليه من قوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وكما أن هذا لا يكون إلا على أفعل، كذلك المعطوف عليه، ومعنى أضل سبيلاً في الآخرة: أن الضلالة في الدنيا قد كان ممكناً من الخروج منه، وضلالُه في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه، ويجوز أن يكون قوله: أعمى، فيمن تأوله أفعل من كذا على هذا التأويل أيضاً». اهـ[201].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أنّ الله ﷻ حينما يحشر الكافرين الغافلين عن رؤية نعم الله عليهم وشكرها، الدالة على توحيده، فإنه سبحانه لا يحشرهم بمثل حالهم في الدنيا من غفلة وعمى قلب فقط، بل يكون

---

(199) فتح القدير (٣/٣١٠).

(200) هو: الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن سليمان بن أبان، أبو علي الفارسي، النحوي المشهور، انتهت إليه رياسة علم النحو، وقد أخذ عنه النحو أئمة كبار كابن جني وغيره، ألف كتاب التذكرة، وكتاب الحجة شرح سبعة ابن مجاهد، والإيضاح والتكملة وغير ذلك، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة. (انظر: غاية النهاية (١/٢٠٦)).

(201) انظر: الحجة للقراء السبعة (٥/١١٢ ـ ١١٣).

عماهم في الآخرة أشد وضلالة لا سبيل إلى الخروج منها، ويزيدهم عليها عمى بصرٍ نكايةً بهم.

٢٣ - قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: ٧٦].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر (**خَلْفَكَ**) بفتح الخاء وإسكان اللام من غير ألف.

٢. قرأ الباقون (**خِلافَكَ**) بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها(٢٠٢).

اللغة والبيان:

(**خَلْفَكَ**) بدون ألف، أي: بعدك؛ كما قال ﷻ ﴿نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦] أي: بعدها، (**خِلافَكَ**) بالألف، أي: مخالفة لك، وذلك لإجماع الجميع على قوله ﷻ ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١] فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه(٢٠٣).

التفسير:

حينما همَّ كفار قريش بإخراج الرسول من مكة نزلت هذه الآية(٢٠٤)؛ فتوعدهم الله فيها بأنهم لو أخرجوه لن يلبثوا بعده إلا قليلاً، ولو فعلوا ذلك ما أمهلوا، ولكن الله منعهم من إخراجه، حتى أمره الله بالخروج، وذلك لأن من سنن الله في الذين كفروا بالرسل وآذوهم، أن الله يخرج الرسول من بين أظهرهم ثم يأتيهم بالعذاب.

---

(٢٠٢) انظر: النشر (٢/٢٣١).

(٢٠٣) انظر: حجة القراءات (٤٠٨)، مفردات الراغب (١٧٦) مادة: خلف.

(٢٠٤) رجحه كثير من العلماء إلا أن بعض المفسرين قد أشاروا إلى سبب آخر للنزول وهو أنها نزلت في يهود حينما تحايلوا على النبي ﷺ ومكروا به لإخراجه من مكة. (راجع: لباب النقول للسيوطي، وتخريج محقق الكتاب ص١٧٢).

يقول الطبرسي: «إنهم لم يخرجوه من مكة، ولكنهم همُّوا بإخراجه، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ [الأنفال: ٣٠] ثم خرج ﷺ لمَّا أُمر بالهجرة خوفاً منهم، وندموا على خروجه، ولذلك ضمنوا الأموال في رده فلم يقدروا على ذلك، ولو أخرجوه لاستؤصلوا بالعذاب ولماتوا طُرّاً(٢٠٥)»(٢٠٦).

يقول ابن كثير: «نزلت في كفار قريش، هموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم، فتوعدهم الله بهذه الآية(٢٠٧)، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً. وكذلك وقع؛ فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم، بعدما اشتد أذاهم له، إلا سنة ونصف، حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير معاد، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم، فقتل أشرافهم وسبى سراتهم(٢٠٨)»(٢٠٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**خَلْفَكَ**) بدون ألف، أن كفار مكة لن يلبثوا بعد خروج الرسول ﷺ إلا قليلاً؛ حيث بعد خروجه من مكة بفترة قصيرة جمعه الله ﷻ بهم في بدر حيث قتلوا.

يقول ابن عاشور: «فلم يلبث الذين تسببوا في إخراجه، وألبوا عليه قومهم بعده إلا قليلاً، ثم خرجوا إلى وقعة بدر فلقوا حتفهم هنالك، فلم يرجعوا، وحق عليهم الوعيد، وأبقى الله عامتهم ودهماءهم لضعف كيدهم، فأراد الله أن يدخلوا في الإسلام بعد ذلك، وفي الآية إيماء إلى أن الرسول ﷺ سيخرج من مكة وأنّ مخرجيه، أي المتسببين في خروجه، لا

(٢٠٥) طُرّاً: جميعاً. مختار الصحاح (ص٤١٤) مادة: طرر.

(٢٠٦) مجمع البيان (٦/٢٦٣).

(٢٠٧) أخرج الطبري في تفسيره عن قتادة ومجاهد أحاديث بهذا المعنى، وقد رجحها على غيرها (انظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٩٠)).

(٢٠٨) سراتهم: أشرافهم وخيارهم. انظر: اللسان (٣/٢٠٠٤) مادة: سرا.

(٢٠٩) تفسير ابن كثير (٥/١٠٦).

يلبثون بعده بمكة إلا قليلاً»[٢١٠].

وأفادت قراءة (خِلافَكَ) بالألف، أن الكافرين لن يلبثوا في مخالفتهم للرسول ﷺ إلا قليلاً، حيث إن سادة القوم الذين كانوا على مخالفة الرسول ﷺ والدعوة إلى الكفر به لم يلبثوا إلا زمناً يسيراً حيث انتقم الله منهم في غزوة بدر.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أن الله ﷻ قد توعد الكافرين المخالفين لرسول الله ﷺ بالمكث خلفه زمناً قليلاً بعد إخراجه ثم يستأصلهم بالعذاب، وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى واحد.

يقول الألوسي: «(خِلافَكَ) أي: خلفك، وقرأ أهل الحجاز. وأبو بكر. وأبو عمرو (خَلْفَكَ) بغير ألف، والمعنى واحد واللفظان في الأصل من الظروف المكانية، فتجوز فيهما واستعملا للزمان، وقد اطرد إضافتهما كـ(قبل) و(بعد) إلى أسماء الأعيان، على حذف مضاف يدل عليه ما قبله، أي: لا يلبثون خلف استفزازك وخروجك إلا زماناً قليلاً»[٢١١].

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو ويعقوب (ونُنْزِل) بتسكين النون وتخفيف الزاي.

٢. قرأ الباقون (ونُنَزِّل) بفتح النون وتشديد الزاي[٢١٢].

---

(٢١٠) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٧٩).

(٢١١) انظر: روح المعاني (١٥/١٣٠).

(٢١٢) انظر: النشر (٢/١٦٤).

اللغة والبيان:

النزول: هو الانحطاط من علوّ(٢١٣).

(نُنَزِّل) بالتشديد؛ مأخوذة من نَزَّل، يُنَزِّل، (نُنْزِل) بالتخفيف مأخوذة من أَنزل يُنْزِل(٢١٤).

و(نزل) بتخفيف الزاي تتعدى بحرف الجر، يُقال: نزل عليهم، ونزل بهم، ونزل عن دابته، ونزل في مكان كذا، ومصدر (نزل) مخفف الزاي (نزولاً).

وأما مصدر (نزّل) مضعف العين فهو (التنزيل)، ومصدر (أنزل) الرباعي فهو (الإنزال)(٢١٥).

والعرب تقول: نزَّلت القوم منازلهم، وأنزلتهم منازلهم بمعنى واحد. ومنهم من يستعمل التشديد فيما يُتكرر ويكثر العمل فيه، ويخفف فيما لا يكثر ولا يتكرر(٢١٦).

ويقول ابن الزبير: «لفظ (نزَّل) يقتضي التكرار لأجل التضعيف، تقول: ضَرَبَ مخففاً لمن وقع منه ذلك مرة واحدة، ويحتمل الزيادة، والتقليل أنسب وأقوى. أما إذا قلنا ضرَّب بتشديد الراء فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه... أما لفظ (أنزل) فلا يعطي ذلك إعطاء نزَّل وإن كان محتملاً»(٢١٧).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أثر القرآن المنزل من عند الله ﷻ على كلِ

(٢١٣) مفردات الراغب (ص٥٤٣). مادة: نزل.

(٢١٤) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص٣٥).

(٢١٥) انظر: التاج (١٣٣/٨). مادة: نزل.

(٢١٦) معاني القراءات (ص٥٨).

(٢١٧) انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن الزبير الغرناطي (١٤١/١).

من المؤمن والكافر؛ فهي شفاء ورحمة للمؤمنين، وهلاك وخسران للكافرين.

يقول القاسمي: «أي: وننزل عليك من القرآن ما يُستشفى به من الجهل والضلالة، ورحمة ببيان الحقائق وإقامة البراهين للمؤمنين به دون الكافرين؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله وشرائعه، فيدخلهم الجنة وينجيهم من العذاب، فهو لهم رحمة ونعمة. ولا يزيد الظالمين بكفرهم وشركهم إلا خساراً أي إهلاكاً؛ لأنهم كلما جاءهم أمر من الله أو نهي كفروا به، فزادهم خساراً إلى ما كانوا فيه قبل، ورجساً إلى رجسهم»(٢١٨).

ويقول ابن الجوزي: «(مِنْ) هاهنا لبيان الجنس، فجميع القرآن شفاء، وفي هذا الشفاء ثلاثة أقوال:

أحدها: شفاء من الضلال لما فيه من الهدى.

والثاني: شفاء من السقم لما فيه من البركة.

والثالث: شفاء من البيان للفرائض والأحكام.

وفي الرحمة قولان:

أحدهما: النعمة.

والثاني: سبب الرحمة.

قوله تعالى ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين، ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لأنهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه فيزيد خسرانهم»(٢١٩).

ويقول أبو السعود: «وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض، وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك، وإسناد الزيادة المذكورة إلى القرآن مع أنهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنعهم باعتبار كونه سبباً

---

(٢١٨) محاسن التأويل (١٠/٣٩٧٦ ـ ٣٩٧٧).
(٢١٩) زاد المسير (٥/ ٧٩).

لذلك، وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مداراً للشفاء والهلاك»[220].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(ونُنْزِل)** بأن الله ﷻ ينزل القرآن على المؤمنين ليكون شفاءً لهم من كل داء، ورحمة بهم، وخسراناً للكافرين كذلك.

وأفادت قراءة **(ونُنَزِّل)** أن هذا التنزيل من الله ﷻ كثير ومتكرر كذلك، حتى يكون المؤمن على شفاء دائم واتصال مع الله.

يقول ابن عاشور: «ولأن القرآن مصدر الحق ومدحض الباطل أعقب قوله ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ بقوله ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ الآية. ولهذا اختير للإخبار عن التنزيل الفعل المضارع المشتق من فَعَّل المضاعف للدلالة على التجديد والتكرير والتكثير، وهو وعْد بأنه يستمر هذا التنزيل زمناً طويلاً»[221].

الجمع بين القراءتين:

لقد بيّنت قراءة **(نُنَزِّل)** بالتشديد قراءة **(نُنْزِل)** بالتخفيف؛ وذلك أن قراءة التخفيف أفادت أن الله ﷻ ينزل القرآن شفاءً، وقراءة التشديد بيّنت أن هذا التنزيل كثير ومتكرر.

وعلى هذا فقراءة التشديد أضافت معنىً جديداً لقراءة التخفيف، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه.

٢٥ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: ٨٣].

القراءات:

١. قرأ ابن ذكوان وأبو جعفر **(وَنَاءَ)** بألف ممدودة بعد النون وبعدها همزة مفتوحة.

(٢٢٠) تفسير أبي السعود (٣/٢٣٠).

(٢٢١) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٨٩).

٢. قرأ الباقون (وَنَأَى) بهمزة مفتوحة ممدودة بعد النون بعدها مد[٢٢٢].

اللغة والبيان:

نأى: نأى عنه يَنأَى بالفتح، نأياً، بوزن فَلْس، أي بَعُدَ[٢٢٣]. وتنحّى[٢٢٤].

قال أبو عمرو: نأى مثل نَعَى. أي: أَعْرَضَ، وقال أبو عبيدة: تَبَاعَدَ[٢٢٥].

ناء: يُقال ناء بالحمل أي: نهض به مثقلا[٢٢٦]، كما قال تعالى ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ [القصص: ٧٦] أي: تنهض. والأصل: (نَوَأَ) فانقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ومدت الألف تمكيناً للهمزة[٢٢٧]. ومثل هذا في القلب قولهم: (رأى) و (راء).

قال الشاعر:

وكل خليل رءاني فهو قائل   من أجلك هذا هامة اليوم أو غد[٢٢٨]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أولئك الكافرين الذين يزيدهم القرآن خساراً، فإن من صفاتهم الإعراض عن تدبر آيات الله، والكفران بنعمه، وإذا نالتهم شدة من فقر أو مرض أو مصيبة، قنطوا من رحمة الله.

يقول أبو حيان: «لما ذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء ورحمة

(٢٢٢) انظر: النشر (٢/٢٣١).
(٢٢٣) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (ص٦٦٧).
(٢٢٤) حجة القراءات (ص٤٠٩).
(٢٢٥) انظر: مفردات الراغب (ص٥٣٤). مادة: نأى.
(٢٢٦) مختار الصحاح (ص٧٠٩).
(٢٢٧) حجة القراءات (ص٤٠٨ ـ ٤٠٩).
(٢٢٨) حجة القراءات (ص٤٠٨)، والبيت لكثير عزة. استشهد به سيبويه على القلب في كتابه (٣/٤٦٧).

للمؤمن وبزيادة خسارة للظالم، وعرّض بما أنعم به وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان، ومع ذلك (أعرض) عنه وبعد بجانبه اشمئزازاً له وتكبراً عن قرب سماعه وتبديلاً مكان شكر الإنعام كفره. وقرأ الجمهور: (ونأى) من النأي وهو البُعد، وقرأ ابن عامر (وناء). وقيل هو مقلوب نأى فمعناه بَعُدَ. وقيل: معناه نهض بجانبه.

وقال الشاعر:

حتى إذا ما التأمت مفاصله   وناء في شق الشمال كاهله[229]

أي نهض متوكئاً على شماله. ومعنى (يؤوساً) قنوطاً من أن ينعم الله عليه. والظاهر أن المراد بالإنسان هنا ليس واحداً بعينه[230] بل المراد به الجنس كقوله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾، ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ الآية، وهو راجع لمعنى الكافر، والإعراض يكون بالوجه والنأي بالجانب يكون بتولية العطف أو يراد بنأي الجانب الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين[231].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (نأى) أنَّ الكافر حينما ينعم الله عليه يكفر هذه النعمة فلا يشكرها، ويترك التقرب إلى الله.

وأفادت قراءة (ناء) أنَّ الكافر حينما ينعم الله عليه يجد ثقلاً في شكر هذه النعمة، ويتكبر عنها وهي في معنى قوله تعالى ﴿وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

يقول ابن عطية: «والذي عندي أنَّ (ناء و نأى) فعلان متباينان، وناء

---

(٢٢٩) لم أقف عليه، والبيت ذكره الألوسي وابن حيان وابن عطية غير منسوب.

(٢٣٠) أشار أبو حيان هنا إلى عدم قبول الرأي القائل بأن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة كما نُقل عن ابن عباس.

(٢٣١) البحر المحيط (٦/٧٣).

بجانبه عبارة عن التحيز والاستبداد، ونأى عبارة عن البعد والفراق»[٢٣٢].

ويقول الألوسي: «﴿ونأى بجانبه﴾ لوى عطفه[٢٣٣] عن طاعتنا وولاها ظهره، وأصل معنى النأي: البعد، وهو تأكيد للإعراض بتصوير صورته، فهو أوفى بتأدية المراد منه، ومثله يجوز عطفه لايهام المغايرة بينهما، وهو أبلغ من ترك العطف ... ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار، فإن ثني العطف من أفعال المستكبرين، ولا يبعد أن يراد بالجانب النفس، كما يقال: جاء من جانب فلان كذا، أي: منه، وهو كناية أيضاً، كما يعبّر بالمقام والمجلس عن صاحبه. وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان و(ناء) هنا وفي فصلت، فقيل ذلك من باب القلب، ووضع العين محل اللام، كراء ووراء، وقيل لا قلب وناء بمعنى: نهض كما في قوله:

حتى إذا ما التأمت مفاصله ... وناء في شق الشمال كاهله[٢٣٤]

أي: نهض متوكئاً على شماله، وفسر نهض هنا بأسرع، والكلام على تقدير مضاف، أي: أسرع بصرف جانبه، وقيل: معناه تثاقل عن أداء الشكر فعل المعرض[٢٣٥].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين: أن الكافر إن أصابته نعمة أعرض وتباعد عن الله وعبادته وشُكر نعمته، مستكبراً مستثقلاً أداء حق الله عليه، وفي ذلك دليل على شدة كفر من يكون هذا حاله. فالقراءتان إذاً وصفتا حال الكافر وصفاً تصويرياً دقيقاً دلّ على بلاغة القرآن وإعجازه في ألفاظه.

---

(٢٣٢) المحرر الوجيز (٤٨١/٣).

(٢٣٣) أعرض ثانياً عُنُقَهُ، وهذا يُوصَف به المتكبر. (انظر: اللسان (٢٩٩٧/٤) مادة: عطف).

(٢٣٤) سبق تخريج هذا الشاهد فانظره ص٩١.

(٢٣٥) انظر: روح المعاني (١٤٧/١٥).

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء: ٩٠].

القراءات:

١. قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (**تَفْجُرَ**) بفتح التاء وإسكان الفاء وضم الجيم وتخفيفها.

٢. قرأ الباقون (**تُفَجِّرَ**) بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم وتشديدهما[٢٣٦].

اللغة والبيان:

الفجر: شق الشيء شقاً واسعاً[٢٣٧]. ويُقال: فَجَرَ الماء، فانفجر، أي: بجسه فانبجس، وبابه نَصَرَ، وفجَّره تفجيراً فَتَفَجَّر؛ شُدد للكثرة[٢٣٨].

من قرأ (**تُفَجِّرَ**) فهو من تفجير الماء، وهو فتحه، وشقّ سِكْرِة[٢٣٩] الأرض عنه حتى ينفجر ماء الينبوع انفجاراً. والمقصود بذلك: كثرة الانفجار من الينبوع وإن كان الينبوع واحداً.

ومن قرأ (**تَفْجُرَ**) فهو من فجَرتُ السَّكْر أفجره، إذا بثقته وفتحته، والفجر: الشق، وبه سُمِّي الصبح فجراً لاشتقاق ظلمة الليل عن نور الفجر إما ساطعاً وإما مستطيراً[٢٤٠].

التفسير:

بعد أن أثبت الله ﷻ كون القرآن معجزاً، وبأنه من عند الله، أُسقط في يد المشركين، ولكنهم أبوا إلا الكفر والطغيان، فتعللوا بما لا يمكن في

(٢٣٦) انظر: النشر (٢/٢٣١).
(٢٣٧) مفردات الراغب (٤١٨) مادة: فجر.
(٢٣٨) انظر: مختار الصحاح (ص٥١٧) باب الفاء.
(٢٣٩) والسَّكر: الموضع المسدود. (انظر: مفردات الراغب (ص ٢٦٥) مادة: سكر).
(٢٤٠) انظر: معاني القراءات (ص٢٦١)، مجمع البيان (٦/٢٧٣).

العادة وجوده أو وقوعه، فطلبوا إحدى آيات ست، ليؤمنوا بمحمد ﷺ؛ منها أن يشقق لهم من أرض مكة عيناً لا ينضب ماؤها. فأنزل الله هذه الآية وما بعدها ذاكراً فيها طلباتهم والرد عليهم[٢٤١].

يقول الطبرسي: «لما بيّن سبحانه فيما تقدم إعجاز القرآن، عقّب ذلك البيان بأنهم أبوا إلا الكفر والطغيان، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي: لن نصدقك فيما تدعي من النبوة ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تشقق لنا من أرض مكة؛ فإنها قليلة الماء ﴿يَنۢبُوعًا﴾ أي: عيناً ينبع منه الماء في وسط مكة»[٢٤٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**تَفْجُرَ**) بالتخفيف أن الكافرين طلبوا من الرسول ﷺ أن يشق لهم الأرض ويحدث نبعاً يتدفق من الماء، وأفادت قراءة (**تُفَجِّرَ**) بالتشديد أن الكافرين طلبوا من الرسول ﷺ أن يبالغ في التفجير حتى يكون الماء كثيراً ومتدفقاً بغزارة.

يقول ابن الجوزي: «فمن ثقل أراد كثرة الانفجار مِنَ الينبوع ومَنْ خفف فلأن الينبوع واحد، فأما الينبوع فهو عين ينبع الماء منها»[٢٤٣].

يقول ابن عطية: «قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿**حتى تُفَجِّر**﴾، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾ بفتح التاء وضم الجيم،

---

(٢٤١) هذا مختصر معنى حديث سبب النزول، وهو حديث طويل أخرجه الطبري في تفسيره (مجلد ٨ج١٥ ص١١٠ ـ ١١١) عن ابن عباس من طريق ابن اسحق، وأخرجه من طريق ابن حميد بنحوه. وذكره السيوطي في لباب النقول (ص١٧٤ ـ ١٧٥). وقال فيه محمود بن الجميل محقق الكتاب: إسناد ضعيف بسبب إبهام شيخ من أهل مصر، وابن اسحق مدلس وقد عنعن. وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٣/٥٠ ـ ٥١) وصرح فيه باسم الرجل فقال: هو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد.

(٢٤٢) مجمع البيان (٦/٢٧٥).

(٢٤٣) زاد المسير (٥/٨٦).

وفي القرآن[٢٤٤] ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠] وانفجر مطاوع فَجَرَ، فهذا مما يقوي القراءة الثانية، وأما الأولى فتقتضي المبالغة في التفجير. والينبوع الماء النابع، وهي صفة مبالغة إنما تقع للماء الكثير»[٢٤٥].

الجمع بين القراءتين:

من خلال الجمع بين القراءتين يتبيّن أن الكفار طلبوا من الرسول ﷺ أن يشق لهم الأرض ويبالغ في الشق؛ ليكون لهم ينبوعاً غزيراً متدفقاً ينبع منه ماءٌ كثيرٌ. فقراءة التشديد هنا بيّنت قراءة الخفيف، وهذا يدل على بلاغة القرآن وإعجازه في إيجازه.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٢].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر وعاصم **(كِسَفًا)** بفتح السين.

٢. قرأ الباقون **(كِسْفًا)** بإسكان السين[٢٤٦].

اللغة والبيان:

الكسفة: القطعة من الشيء[٢٤٧]، **(كِسَفًا)** متحركة السين، جمع (كِسْفة) مثل: قِطْعة وقِطَع، وكِسْرة وكِسَر، و**(كِسْفًا)** ساكنة السين، جمع كِسْفة، كما تقول: بُسْرة وبُسْر[٢٤٨]، والفرق بين الواحد والجمع طرح

(٢٤٤) وموضع الشاهد في الآية ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ أن الماء المتدفق من الينبوع كثيرٌ وغزيرٌ كما الماء النابع من فجر الحجر فهو يحتوي على عدد من العيون، وعلى هذا تكون قراءة التشديد موضحة لقراءة التخفيف.

(٢٤٥) المحرر الوجيز (٤٨٤/٣).

(٢٤٦) انظر: النشر (٢٣٢/٢).

(٢٤٧) مختار الصحاح (٥٩٧) باب الكاف.

(٢٤٨) البُسْر جمع بُسْرة، والبُسْرة: هي المرحلة الثانية من مراحل تحول البلح إلى رطب. (انظر: مختار الصحاح (ص٦٤) مادة: بسر).

الهاء، وليس بجمع تكسير[٢٤٩]،وقيل: أن يكون الكِسْفُ واحداً، ويُجمع على (كِسَفاً)[٢٥٠].

التفسير:

لم يكتف الكافرون بتحدي الرسول بالمعجزات التي فيها نفعهم الدالة على صدقه؛ بل طلبوا منه أن يأتي بمعجزة فيها مضرتهم، وأخرى فيها استحالة الحدوث.

يقول ابن عاشور: «وقولهم ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ انتقال من تحدِّيه بخوارق فيها منافع لهم إلى تحديه بخوارق فيها مضرتهم، يريدون بذلك التوسيع عليه، أي: فليأتهم بآية على ذلك ولو في مضرتهم. وهذه حكاية لقولهم كما قالوا. ولعلهم أرادوا به الإغراق في التعجيب من ذلك فجمعوا بين جعل الإسقاط لنفس السماء، وعززوا تعجيبهم بالجملة المعترضة وهي: ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ إنباء بأن ذلك لا يصدق به أحد. وعنوا به قوله ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩] وبقوله ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الطور: ٤٤]. إذ هو تهديد لهم بأشراط الساعة وإشرافهم على الحساب[٢٥١].

يقول الصابوني: «هذا هو الاقتراح الثالث، أي: تجعل السماء تتساقط علينا قِطعاً قِطعاً كما كنت تخوفنا، وتزعم أن الله سيعذبنا إن لم نؤمن بك، قال المفسرون: أشاروا إلى قوله تعالى ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩] ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ أي تُحضر لنا الله وملائكته مقابلة وعياناً فنراهم»[٢٥٢].

---

(٢٤٩) انظر: حجة القراءات (ص٤١٠).

(٢٥٠) معاني القراءات (ص٢٦١).

(٢٥١) التحرير و التنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢٠٩).

(٢٥٢) صفوة التفاسير (٢/١٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**كِسْفًا**) ساكنة السين، أنّ الكافرين طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل السماء تسقط عليهم قطعاً قطعاً كثيرة.

وأفادت قراءة (**كِسَفًا**) بفتح السين، أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل السماء تسقط عليهم قطعاً دون الإشارة إلى الكثرة أو القلة لهذه القطع.

يقول الطبري: «(**كِسْفًا**) بسكون السين بمعنى ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ وذلك أن الكِسْف في كلام العرب جمع كِسْفة، وهو جمع الكثير من العدد للجنس، كما تجمع السِدْرة بسِدْر، والتمرة بتمر، فحكي عن العرب سماعاً أعطني كِسْفة من هذا الثوب، أي قطعة منه، يقال منه: جاءنا بثريد كِسْف؛ أي: قطع خبز، وقد يحتمل إذا قرىء كذلك (كِسْفاً) بسكون السين أن يكون مراداً به المصدر من (كَسِف)، فأما الكِسَف بفتح السين؛ فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر، يقال كِسْفة واحدة وثلاث كِسَف، وكذلك إلى العشر، (**كِسَفًا**) بفتح السين بمعنى جمع الكسفة الواحدة من الثلاث إلى العشر، يعني بذلك قطعاً ما بين الثلاث إلى العشر»(٢٥٣).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أن الكافرين قد طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل السماء مقطعة قطعاً تسقط عليهم فجاءت قراءة التسكين لتبيّن أنهم طلبوا أن يكون سقوط السماء عليهم قطعاً كثيرة. وعلى ذلك فقراءة التسكين مبيّنة لقراءة الفتح، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه. ففي تنوع القراءات بيان وإثراء للمعاني. وفيه دلالة على مدى عنادهم وكفرهم وتحديهم للرسول ﷺ.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٣].

(٢٥٣) انظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص١٠٨).

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وابن عامر **(قال)** بفتح القاف وإثبات ألف بعدها بصيغة الماضي.

٢. قرأ الباقون **(قُلْ)** بضم القاف وحذف الألف بصيغة الأمر(٢٥٤).

البيان:

قراءة **(قال)** على الخبر عن النبي ﷺ أنه قال عند اقتراحهم هذه الأشياء التي ليست في طاقة البشر أن يفعلها، فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾، وقراءة **(قُلْ)** على الأمر للنبي ﷺ أن يقول ذلك، ويقوي هذا ما بعده: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ...﴾ [الإسراء: ٩٥]. و﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا...﴾ [الإسراء: ٩٦](٢٥٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن باقي مقترحات الكفار على الرسول ﷺ حتى يصدقوه ويؤمنوا به، والرد على تلك المقترحات؛ وذلك بتنزيه الله ﷻ عن أن يعجز عن شيء، والتعجيب من فرط كفرهم واقتراحاتهم.

يقول البغوي: «﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ أي: من ذهب، وأصله الزينة، ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾، تصعد، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، هذا قول عبدالله بن أبي أمية، ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لصعودك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾، أمرنا فيه باتباعك، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر (قال) يعني محمداً، وقرأ آخرون على الأمر، أي: قل يا محمد، ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾، أمره بتنزيهه وتمجيده، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر، ﴿وما أنا إلا بشر﴾ وليس ما سألتم في طوق البشر. واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات

---

(٢٥٤) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٢٥٥) انظر: الكشف (٢/٥٢)، حجة القراءات (ص٤١١).

والمعجزات ما يغني عن هذا كله، مثل: القرآن وانشقاق القمر، وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها، والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا، فرد الله عليهم سؤالهم[٢٥٦].

يقول ابن عطية: «يروى أن قائل هذه المقالة هو عبدالله بن أبي أمية، فإنه قال لرسول الله ﷺ: أنا لا أؤمن لك حتى تأتي بكتاب أراك هابطاً به فيه من الله ﷻ إلى عبدالله بن أبي أمية[٢٥٧]، وروي أن جماعتهم طلبت هذا النحو منهم، فأمره الله ﷻ أن يقول ﴿سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ أي تنزيهاً له من الإتيان مع الملائكة قبيلاً، ومن أن يخاطبكم بكتاب كما أردتم، ومن أن أقترح أنا عليه هذه الأشياء، وهل أنا إلا بشر منكم، أرسلت إليكم بالشريعة، فإنما عليّ التبليغ فقط»[٢٥٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

يقول القرطبي: «﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ وقرأ أهل مكة والشام ﴿قال سبحان ربي﴾ يعني النبي ﷺ؛ أي قال ذلك تنزيها لله ﷻ عن أن يعجز عن شيء وعن أن يعترض عليه في فعل. وقيل: هذا كله تعجب عن فرط كفرهم واقتراحاتهم. الباقون ﴿قل﴾ على الأمر؛ أي قل لهم يا محمد ﴿هَلۡ كُنتُ﴾ أي ما أنا ﴿إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ اتبع ما يوحى إلي من ربي، ويفعل الله ما يشاء من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر، فهل سمعتم أحداً من البشر أتى بهذه الآيات»[٢٥٩].

يقول ابن عاشور: «وقرأ الجمهور (قل) بصيغة الأمر، وقرأه ابن كثير وابن عامر (قال) بألف بعد القاف بصيغة الماضي على أنه حكاية لجواب

(٢٥٦) معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (١٣٧/٣)

(٢٥٧) لفظ مقالته هي جزء من حديث نزول الآيات (٩٠ ـ ٩٣) وقد سبق الإشارة إليه وتخريجه فانظره المصدر السابق.

(٢٥٨) المحرر الوجيز (٤٨٦/٣).

(٢٥٩) تفسير القرطبي (مجلد ٥ج١٠ ص٦٥٨).

الرسول ﷺ عن قولهم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ على طريقة الالتفات»[٢٦٠].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أن الله ﷻ لقّن نبيه ﷺ أن ينزهه ويرد على الكافرين بما يتناسب مع طلباتهم، فاستجاب ﷺ لأمر ربه، وفي هذا تعليم للمسلمين في كل عصر وآن أن يسترشدوا بآيات الله ﷻ في الرد على تخرصات الكافرين والمجادلين بالباطل، وهذا من إعجاز القرآن في أسلوب الالتفات.

٢٩ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

القراءات:

١. قرأ المدنيان[٢٦١] وأبو عمرو (**المهتدي**) بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً.

٢. قرأ يعقوب (**المهتدي**) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، ورُويت عن قُنبل من طريق ابن شنبوذ[٢٦٢].

(٢٦٠) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢١١).

(٢٦١) المدنيان: هما: نافع وأبو جعفر.

(٢٦٢) هو: أبو الحسن محمد بن أيوب بن الصلت، شيخ الإقراء بالعراق مع ابن مجاهد، قرأ القرآن على عدد كثير بالأمصار منهم قنبل وهارون بن موسى الأخفش وغيرهم، قرأ عليه عدد كثير منهم أحمد بن نصر الشذائي ومحمد بن أحمد الشنبوذي تلميذه، واعتمد أبو عمرو الداني والكبار على أسانيده في كتبهم، وكان يرى جواز الصلاة بما جاء في مصحف أُبي، ومصحف ابن مسعود، وبما صح في الأحاديث مع أن الاختلاف في جوازه معروف بين العلماء قديماً وحديثاً، ويتعاطى ذلك، كان ثقة في نفسه صالحاً ديناً متبحراً، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة. (انظر: معرفة القراء (ص١٥٦ ـ ١٥٩)).

٣. قرأ الباقون (**المهتد**) بدون ياء وصلاً ووقفاً[٢٦٣].

البيان:

من أثبت الياء وصلاً ووقفاً: أتى بالكلمة على ما أوجبه القياس لها، لأن الياء إنما كانت تسقط لمقارنة التنوين في النكرة، فلما دخلت الألف واللام زال التنوين، فعاد لزواله ما سقط لمقارنته.

ومن أثبتها وصلاً وحذفها وقفاً: فَحَذْفُها وقفاً على لغة من يقف على الاسم المنقوص غير المنوّن بحذف الياء تخفيفاً لثقل اسم الفاعل مع ثقل حرف العلة في آخر الكلمة، وأخذ بالأصل في الوصل، فأتى بالوجهين معاً.

ومن حذفها فيهما: إجراءً للوصل مجرى الوقف، والفصحاء يجرون الفواصل مجرى القوافي، لأنهم اعتبروا الفاصلة كل جملة تم بها الكلام، والعرب تجتزىء بالكسرة من الياء[٢٦٤].

التفسير:

يخبر الله ﷻ في هذه الآية عن تصرفه في خلقه، ونفوذ حكمه على عباده، وأنه لا معقب لحكمه، ايناساً للنبي ﷺ ليعلم أن مهمته التبليغ، والأمر أولاً وأخيراً عائد لله ﷻ.

يقول القاسمي: «﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ أي إلى الحق بما جاء من قبله إلى الهدى ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ﴾ أي: يخلق فيه الضلال بسوء اختياره، كهؤلاء المعاندين ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي أنصاراً يهدونهم ويحفظونهم من قهره، وإنما أوثر ضمير الجماعة في ﴿لَهُمْ﴾ حملاً على معنى ﴿مَنْ﴾ وأوثر في ما قبله الإفراد، حملاً على اللفظ. وسر الاختلاف في المتقابلين الإشارة إلى وحدة طريق الحق، وقلة سالكيه، وتعدد سبل

(٢٦٣) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٢٦٤) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص١١٥) في موضع الآية التاسعة من سورة الرعد. وانظر أيضاً: التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢١٥ ـ ٢١٦).

الضلال، وكثرة الضُّلَّال»(٢٦٥).

ويقول المنصوري في كيفية حشر الكافرين: «﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم، ايذاناً بكمال الاعتناء بأمر الحشر، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي كائنين عليها سحباً أو يمشون بها، روى الشيخان عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: **«أليس الله الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا، قادراً أن يمشيه علي وجهه يوم القيامة»** قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا(٢٦٦) ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ أي: لا يبصرون ما يُقِرُّ أعينهم، ولا يسمعون ما يَلذُّ مسامعهم، ولا ينطقون ما يُقبل منهم، لأنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر، ولا ينطقون بالحق، ولا يستمعونه، ويجوز أن يُحشروا عمياً وبكماً وصماً على الحقيقة، يستقرون في نار جهنم كلما سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم ﴿زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ توقداً بأن بدلناهم جلوداً غيرها، فعادت ملتهبة، عقوبة لهم على إنكارهم الإعادة، ليروها عياناً، حيث لم يعلموها برهاناً»(٢٦٧).

العلاقة بين القراءات:

أفادت قراءة (المهتد) بحذف الياء؛ بأن من يهده الله للإيمان فهو المهتدي إلى الحق الذي لا حق غيره، وهي مقصورة عليه دون غيره ممن يريد الرسول ﷺ هدايته وأضله الله.

وأفادت قراءة (المهتدي) بإثبات الياء؛ بأن من يهديه الله فهو دائم

(٢٦٥) محاسن التأويل (١٠/٤٠٠٢)

(٢٦٦) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب الذين يُحشرون على وجوههم إلى جهنم، حديث رقم (٤٧٦٠) (فتح الباري (٨/٤٩٢)) وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: يحشر الكافر على وجهه، (٤/٢١٦١) حديث رقم (٢٨٠٦).

(٢٦٧) المقتطف (٣/٢٢٨).

الهداية إلى الحق لأن نفسه ميالة إلى ذلك؛ لأن المهتدي يستمد هدايته من الله.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أن من يهديه الله إلى الإيمان فإن هذه الهداية مقصورة عليه لتوفر دواعي القبول عنده، وبذلك يكون دائم الهداية إلى الحق لأنه يستمد هدايته من الله.

٣٠ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢].

القراءات:

١. قرأ الكسائي (**علمتُ**) بضم التاء.

٢. قرأ الباقون (**علمتَ**) بفتح التاء[٢٦٨].

البيان:

من قرأ (**علمتُ**) بضم التاء جعل التاء لموسى عليه السلام دلالة على إخباره عن نفسه بصحة ذلك، وأنه لا شك عنده، في أن الذي أنزل الآيات هو رب السموات.

ومن قرأ (**علمتَ**) بفتح التاء، جعل التاء لفرعون دلالة على المخاطبة، وأن فرعون ومن معه قد علموا صحة ما أتاهم به موسى، ولكن جحدوا ذلك معاندة وتجبراً، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤][٢٦٩].

التفسير:

بعد أن حكى الله عن قريش تعنتهم في اقتراحاتهم وعنادهم

(٢٦٨) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٢٦٩) انظر: حجة القراءات (ص١٢٩)، الكشف (٢/٥٢).

للرسول ﷺ وبما ذكّره ﷻ مما جرى لموسى عليه السلام مع فرعون، وطلبات فرعون من موسى ليصدقه، ذكر في هذه الآية ما دار بينهما من حوار، وفي ذلك تسرية عن النبي ﷺ.

يقول الزحيلي: «قال موسى لفرعون: لقد علمت علم اليقين أن هذه الآيات التسع ما أنزلها خالق الأرض والسموات إلا حججاً وأدلة على صدق ما جئتك به، فهي تهدي الإنسان إلى الطريق الحق، وأنها من عند الله لا من عند غيره، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ أي: مغلوباً هالكاً، مصروفاً عن الخير، ميالاً إلى الشر»[٢٧٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**علمتُ**) بضم التاء؛ أن موسى عليه السلام أخبر عن نفسه أنه ليس بمسحور كما زعم فرعون، بل يعلم أن الله هو الذي أنزل الآيات التسع، حججاً وأدلة على صدق ما جاءه به.

يقول الزمخشري: «وقرىء ﴿**علمتُ**﴾ بالضم على معنى: إني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالمٌ بصحة الأمر، وأن هذه الآيات مُنَزِّلُها ربُّ السموات والأرض، ثمَّ قارع ظنَّه بظنه كأنه قال: إن ظننتني مسحوراً فأنا أظنك ﴿مَثۡبُورٗا﴾ هالكاً، وظني أصح من ظنك؛ لأن له أمارةً ظاهرةً، وهي إنكارُك ما عرفتَ صحتَه، ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها، وأما ظنُّك فكذب بحت؛ لأن قولك مع علمك بصحة أمري: إني لأظنك مسحوراً قولُ كِذاب»[٢٧١].

وأفادت قراءة (**علمتَ**) بفتح التاء؛ أن فرعون ومن معه قد علموا صحة أمر موسى عليه السلام وأن هذه الآيات المنزلة هي من عند الله، وأن الله

---

(٢٧٠) التفسير المنير (١٥/١٨٣).

(٢٧١) الكشاف (٣/٤٤).

هو ربه، ولكنه جحود واستكبار.

يقول ابن عاشور: «ومعنى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أن فرعون لم يبق في نفسه شك في أن تلك الآيات لا تكون إلا بتسخير الله إذ لا يقدر عليها إلا الله، وأنه إنما قال ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ عناداً ومكابرة وكبرياء، وأُكد كلام موسى عليه السلام بلام القسم وحرف التحقيق تحقيقاً لحصول علم فرعون بذلك، وإنما أيقن موسى بأنَّ فرعون قد علم بذلك: إما بوحي من الله أعلمه به، وإما برأي مُصيب، لأن حصول العلم عند قيام البرهان الضروري حصول عقلي طبيعي لا يتخلف عن عقل سليم»[٢٧٢].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أن كلاً من موسى عليه السلام، وفرعون عليه اللعنة؛ عَلِمَ بأنَّ الله عز وجل هو الذي أنزل الآيات، وأنَّ موسى ليس به مس من السحر، ولكن علم موسى بذلك ليقينه بالله، أما علم فرعون فلم يكن حاملاً له على الإيمان؛ بل كان حب الرياسة والملك دفعاً له للكفر والعناد.

يقول الخفاجي: «والمعنى أن علمي أو علمك بأن هذه الآيات من الله، إذ لا يقدر عليها سواه؛ يقتضي أني لست بمسحور ولا ساحر، وأن كلامي غير مختل، لكن حب الرياسة حملك على العناد»[٢٧٣].

(٢٧٢) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٢٧٣) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: شهاب الدين الخفاجي (١١٥/٦).



الفصل الثاني
تفسير سورة الكهف من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الكهف.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الكهف المتضمنة للقراءات.



الفصل الثاني
سورة الكهف

مقدمة:

سورة الكهف هي السورة الثانية من منظومة السور المستهدفة في هذا البحث، وهي موضع بحث كثير من العلماء لما احتوته من معجزات وقيم تناولتها من خلال القصص القرآني الذي استغرق معظم السورة؛ فقد ورد القصص القرآني في إحدى وسبعين آية من عشر آيات ومائة آية؛ ومعظم ما يبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها، فألقت من خلاله الضوء على أنواع الفتن وأسبابها؛ كفتنة السلطان في قصة أصحاب الكهف، وفتنة المال والرجال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وفتنة الأسباب في قصة ذي القرنين، وأعطت المؤمن الميزان الحق لمعرفة الحقائق من الأباطيل والصدق من الكذب، فيدرك المؤمن من خلال ذلك كله صدق رسول الله ﷺ في دعوته، وزيف أي دعوة وبطلانها إذا لم تلتزم السير على خطا الرسول ﷺ(٢٧٤).

ومما يلفت النظر في هذه السورة احتواءها على عدد كبير من القراءات

(٢٧٤) انظر: الظلال (مجلد ٤ج١٥ ص٢٢٥٦)، مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم (ص١٧٨).

المتواترة التي تتوزع على كثير من آياتها، وقبل الخوض في بيان القراءات وتفسيرها لا بد أن نُعَرِّج على تعريف عام بالسورة لتكون مدخلاً إلى فهم تفسير السورة.

المبحث الأول
تعريف عام بسورة الكهف

ويشتمل على:

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- سبب نزول السورة.
- مناسبتها لسورة الإسراء.
- فضل السورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.



المبحث الأول
تعريف عام بالسورة

سورة الكهف كلها مكية باتفاق المفسرين[٢٧٥]، وقد نزلت دفعة واحدة، فقد روى الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قال: «نزلت سورة الكهف جملة معها سبعون ألفاً من الملائكة»[٢٧٦] وقد نزلت بعد سورة الغاشية، وقبل سورة الشورى، وهي الثامنة والستون في ترتيب نزول السور، وعُدت آيها في عدد قراء المدينة ومكة؛ مائة وخمساً، وفي عدد قراء الشام مائة وستاً، وفي عدد قراء البصرة مائة وإحدى عشرة، وفي عدد قراء الكوفة مائة وعشراً[٢٧٧]، وذلك بحسب ما ثبت لدى القراء في كل بلد عن طريق النقل في وقفات الرسول ﷺ[٢٧٨].

وعدد كلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة، وعدد حروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفاً[٢٧٩]، وهي إحدى سور خمس بدئت بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: وهي الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر. وهو استهلال

(٢٧٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/٤٩٤)، تفسير القرطبي (مجلد ٥ج١٠ ص٦٧٢).

(٢٧٦) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٥٧). ورواه الديلمي في مسنده (٤/٢٧٥) حديث رقم (٦٨١٢). وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/٤٣٥).

(٢٧٧) انظر: التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢٤٢)، روح المعاني (١٥/١٩٩).

(٢٧٨) مباحث في التفسير الموضوعي (ص١٦٩).

(٢٧٩) انظر: اللباب (١٢/٤١٥)

يوحي بعبودية الإنسان لله ﷻ، وإقراره بنعمه وأفضاله، وتمجيد الله ﷻ، والاعتراف بعظمته وجلاله وكماله[٢٨٠].

أسماء السورة ووجه التسمية:

سماها رسول الله ﷺ سورة الكهف؛ لبيان قصة أصحاب الكهف العجيبة، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال**»[٢٨١].

وسماها رسول الله ﷺ سورة أصحاب الكهف، ولعل سبب تسميتها بهذا الاسم تصدر قصة أصحاب الكهف قصص هذه السورة.

فقد روى الترمذي في صحيحه حديثاً طويلاً سمى فيه الرسول ﷺ هذه السورة بسورة أصحاب الكهف[٢٨٢].

وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك، ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة

(٢٨٠) التفسير المنير (١٥/١٩٦).

(٢٨١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/١٣٩). رواه أحمد في مسنده (٥/١٩٦)، ومسلم (١/٥٥٥) في كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «فضل سورة الكهف وآية الكرسي» حديث رقم (٨٠٩) من طريق قتادة . . . .به.

(٢٨٢) انظر الحديث في: سنن الترمذي (٤/٥١٠) ـ كتاب الفتن ـ باب ما جاء في فتنة الدجال ـ حديث (٢٢٤٠) من حديث النواس بن سمعان الكلابي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن يزيد بن جابر. وهو حديث طويل. وانظر أيضاً: المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/٥٨٠) كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (٨٦٢٠) من حديث أبي أمامة الباهلي. وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه الطريقة.

ثلاثة أيام، ومن قرأ العشر الأواخر منها عند نومه بعثه الله أيّ الليل شاء، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: سورة أصحاب الكهف»(٢٨٣).

سبب نزول السورة:

أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة؛ فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفاً لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقوِّل، فَرَوا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل ... فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«أخبركم غداً بما سألتم عنه»** ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحدث الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها، لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه. حتى أحزن رسول الله ﷺ مكثُ الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله ﷻ بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من

(٢٨٣) ذكره الألوسي في تفسيره (١٥/١٩٩) والسيوطي في الدر المنثور (٥/٣٥٦) قال فيه الألباني: ضعيف جداً. (انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة لمحمد ناصر الدين الألباني (٥/٥٠٤) ح ٢٤٨٢).

أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله ﷻ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥](٢٨٤).

مناسبتها لسورة الإسراء:

تظهر مناسبتها لسورة الإسراء التي تسبقها من عدة نواحٍ:

١ - افتتحت الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد، والتسبيح والتحميد مقترنان في القرآن وسائر الكلام؛ بحيث يسبق التسبيح التحميد، كقوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨]، وفي الحديث: (سبحان الله وبحمده)، كما أنّ الإسراء اختتمت بالتحميد أيضاً فتشابهت الأطراف أيضاً.

ولما أمر اليهود المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: عن الروح وعن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين؛ أجاب تعالى في آخر سورة بني إسرائيل عن السؤال الأول، وأجاب عن السؤالين الآخرين في سورة الكهف، فناسب اتصالهما ببعضهما.

ولما نزل في الإسراء قوله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ناسب ذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كالدليل على ما تقدم.

وقد ورد في الحديث أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال اليهود: قد أوتينا التوراة فيها علم كل شيء، فنزل قوله تعالى ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ...﴾ [الكهف: ١٠٩].

وأيضاً لما قال في الإسراء ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] شرح ذلك في الكهف بقوله ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ إلى ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾

(٢٨٤) الدر المنثور (٣٥٧/٥)، ورواه الطبري في تفسيره (مجلد ٨ج١٥ ص١٢٧) من طريق ابن إسحاق قال: حدثنا شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس. وذكره ابن هشام في السيرة (١٣٩/٢) والسيوطي في لباب النقول (ص١٧٧). وقد ضعَّف العلماء رواية ابن جرير من طريق ابن اسحق بسبب إبهام شيخ من أهل مصر.

[الكهف: ٩٨ ـ ١٠٠].

ولما قال سبحانه في آخر الإسراء ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ أمر تعالى في الكهف بحمده على إنزال هذا الكتاب[٢٨٥].

فضل السورة:

وردت في فضل السورة أحاديث كثيرة نذكر منها:

ما أخرجه الإمام أحمد عن البراء قال: قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن، أو تنزلت للقرآن»[٢٨٦].

وما أخرجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طريق قتادة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»[٢٨٧].

أغراض السورة:

أما الأغراض الأساسية للسورة فهي: تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج

---

(٢٨٥) انظر: تناسق الدرر (ص٩٩ ـ ١٠١)، التفسير المنير (١٥/١٩٦ ـ ١٩٧).

(٢٨٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٢٨١) ورواه أيضاً البخاري في كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام) (انظر: فتح الباري (٦/٦٧١)) حديث رقم (٣٥٧١) / ومسلم (١/٥٤٨) كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب (نزول السكينة لقراءة القرآن) من حديث شعبة. . .به. وقال ابن كثير: الرجل الذي كان يتلو هو: أسيد بن حضير. انظر: تفسير ابن كثير (٥/١٣٩).

(٢٨٧) أخرجه مسلم (١/٥٥٥) كتاب: (صلاة المسافرين وقصرها) باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسي)، وأحمد في مسنده (٥/١٩٦) وأبو داود (٤/١١٧) كتاب (الملاحم) باب (خروج الدجال) حديث رقم (٤٣٢٣) من طريق همام. . . به. والنسائي في: (عمل اليوم والليلة) (١/٥٢٨) باب (ما يجير من الدجال) حديث رقم (٩٥١) بلفظ: من فتنة الدجال. والترمذي (٥/١٦٢) كتاب (فضائل القرآن) باب (ما جاء في فضل سورة الكهف) حديث رقم (٢٨٨٦). وفيه قوله: ثلاث آيات. وقال حسن صحيح.

النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة؛ وقد سُخِّرت القصص الواردة في السورة من أجل هذه الأهداف.

الموضوعات التي تناولتها السورة:

* ابتدأت السورة ببيان وصف القرآن بأنه قيم لا اعوجاج فيه، وأنه جاء للإنذار والتبشير. ثم لفتت النظر إلى عجائب خلق الله الدالة على قدرته ﷻ.

* تحدثت السورة عن ثلاث قصص من روائع القصص القرآني وهي: قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى مع الخضر - عليهما السلام -، وقصة ذي القرنين.

ابتدأت بقصة أصحاب الكهف وما تحمله من دلائل على قضية البعث، وبهذا تتلاقى القصة مع الغرض العام للسورة وهو إثبات قدرة الله على مخالفة السنن التي ألفها الناس وظنوا أنها مستعصية عليه جل شأنه، وهذا ما تشير إليه القصة في ثناياها إذ يقول ﷻ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ...﴾ [الكهف: ٢١].

كما كان فيها ضرب المثل للثبات على العقيدة والتضحية من أجلها.

ثم تلي ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وما احتوت عليه من معانٍ سامية؛ من: إثبات قصور الخلق مهما سمت عقولهم، وكثرت علومهم أمام إحاطة الله وعلمه سبحانه، وبهذا ترتبط القصة بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله الذي يدبر الأمر بحكمته وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر، كما فيها ضرب المثل في تحمل الصعاب في طلب العلم والصبر على ذلك.

ثم أتبع قصة موسى والخضر بقصة ذي القرنين، وما احتوت عليه من عبر وعظات للحكام والسلاطين؛ من شكر الله على نعمة التمكين في الأرض؛ وذلك من استغلال القوة والسلطان في الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، ورفع الظلم عن العباد، والعدل بينهم، واليقين بأن كل ما يؤتاه

العبد من نعم هو من عند الله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم تُختم القصة بتأكيد قدرة الله على البعث، وبهذا تلتقي مع الهدف العام للسورة، ومع قصتي أصحاب الكهف وموسى مع الخضر عليهما السلام.

* وتخلل ذلك مستطردات: من الأمر للنبي ﷺ بالتواضع ومجالسة فقراء المؤمنين، وتهديد الله ﷻ للكافرين وما أعده لهم من عذاب يوم القيامة؛ بسبب افتتانهم بالحياة الدنيا وزينتها، وقارن ذلك بما أعده ﷻ من نعيم للمؤمنين.

والحديث عن البعث في المثل الذي ضربه الله للناس عن صاحب الجنتين، والمثل الذي ضربه بالحياة الدنيا.

كما جاء فيها الإشارة إلى قصة آدم وإبليس، وما احتوت عليه من إشارة للعداوة المستحكمة بين إبليس وبني آدم، وتحذير الله لأبناء آدم من اتخاذ الشيطان وذريته أولياء من دون الله، ومن ذكر لأمور الآخرة، وفي ذلك جمع بين المبدأ والمعاد، ولقضية الخلق والبعث.

* وختمت السورة بموضوعات ثلاثة:

١ ـ إعلان تبديد أعمال الكفار وضياع ثمرتها في الآخرة.

٢ ـ تبشير المؤمنين بالنعيم الأبدي في الآخرة.

٣ ـ تقرير أنَّ القرآن وحيٌ من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ وفي هذا الختام الأخير مُحسِّن رد العجز على الصدر[٢٨٨].

(٢٨٨) انظر في أغراض السورة وما اشتملت عليه: الظلال (مجلد ٤ج١٥ ص٢٢٥٧ ـ ٢٢٦٦). والتفسير المنير (١٥/ ١٩٧ ـ ١٩٩)، والتحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢٤٥ ـ ٢٤٦). وانظر أيضاً: أهداف كل سورة ومقاصدها (١/٢٠٧ ـ ٢١٢).

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الكهف بالقراءات العشر

١. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف: ١ ـ ٢].

القراءات:

١. قرأ حفص حال وصل (عوجاً) بـ(قيّماً) بخلف عنه بالسكت على ألف (عوجاً).

٢. وقرأ الباقون بعدم السكت على ألف (عوجاً) حين الوصل، وهو الوجه الثاني لحفص[٢٨٩].

٣. قرأ شعبة (من لدنه) بإسكان الدال وإشمامها الضم[٢٩٠]، وكسر النون والهاء ووصلها بياء في اللفظ فتصير (لَدْنِهي).

---

(٢٨٩) انظر: النشر (٣٢٩/١)، الإتحاف (ص٣٦٣).

(٢٩٠) الإشمام: عبارة عن ضم الشفتين بُعيد تسكين الحرف، بحيث يراه المبصر دون الأعمى، ويكون تسكين الحرف من غير صوت دون تراخ مع بقاء فرجة بين الشفتين يخرج النفس منها. (المغني في علم التجويد (ص٣٠٦)). وقال الخفاجي: الإشمام له معانٍ أربعة منها: تضعيف الصوت بالحركة الفاصلة بين الحرفين فهو إخفاء لها، وقال الداني أنه هو المراد هنا، وهو الصواب وبه صرّح ابن جنّي في المحتسب. (حاشية الشهاب (١٢٩/٦)).

٤. قرأ الباقون (من لَدُنْهُ) بضم الدال وسكون النون وضم الهاء.

٥. قرأ ابن كثير (من لَدُنْهُو) بصلة الهاء واواً[(٢٩١)].

اللغة والبيان:

عوجاً: اختلافاً والتباساً[(٢٩٢)].

قيماً: مستقيماً معتدلاً[(٢٩٣)]. ويُقال في القيِّم: قيِّم على الكتب، أي: أنه يُصدِّقها[(٢٩٤)].

﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾: من قِبَلِهِ[(٢٩٥)]. و(لدن) في جميع أحوالها بمعنى عند، لا يقع عليها إعراب، وهي: ظرف مكاني تُخْفَض بـ(مِنْ)، فعملها الخفض إلا في قولهم: لدن غدوةً فَخُصَّت بالنصب[(٢٩٦)].

أما القراءة بـ(**من لدنهي**): فالأصل (لَدُنْ) بضم الدال، وسُكِّنت الدال استثقالاً للضمة، فالتقى ساكنان وهما النون والدال، فكُسرت النون لالتقاء الساكنين، وكُسرت الهاء لمجاورة حرف مكسور، ووُصلت بياء. وإشمام الضمة في الدال ليُعلم أنَّ الأصل كان في الكلمة الضمة.

ويقول سيبويه: «فالهاء تُكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة؛ لأنها خفيَّة كما أن الياء خفيَّة، وهي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة»[(٢٩٧)].

وقراءة (من لَدُنْهُ) فهي على أصل الكلمة، كقوله ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦][(٢٩٨)].

---

(٢٩١) انظر: النشر (٢/٢٣٢)، المُيَسَّر (ص٢٩٣)، الإتحاف (ص٣٦٣).
(٢٩٢) الفريد (٣/٣٠٩).
(٢٩٣) كلمات القرآن تفسير وبيان: حسنين محمد مخلوف (ص١٧٣).
(٢٩٤) معاني القرآن للفراء (٢/١٣٣).
(٢٩٥) معاني القرآن وإعرابه: أبي اسحاق الزجاج (٣/٢٦٧).
(٢٩٦) انظر: الحجة في القراءات (ص١٣٠).
(٢٩٧) كتاب سيبويه (٤/١٩٥).
(٢٩٨) انظر: حجة القراءات (ص٤١٢).

التفسير:

تبدأ الآية الكريمة بالثناء على الله ﷻ الذي تفضَّل على عباده بنعمته العظمى؛ وذلك بإنزال القرآن الكريم، الذي من صفاته الاعتدال في نظمه ومعانيه، الهادي إلى الحق، المزيل للاعوجاج، قيِّماً بمصالح العباد، قيِّماً على الكتب السابقة ومهيمناً عليها، متناهياً في الاستقامة والاعتدال، منذراً للكافرين بالعذاب، ومبشراً للمؤمنين بالجنة.

يقول القاسمي: «افتتحت السورة بـ(الحمد لله) إشارة إلى أنه المحمود على كل حال، وتعليماً للعباد أدب افتتاح كل أمر ذي بال واختتامه؛ وذلك بالثناء على الله تبارك وتعالى بنعمه العظمى، ومننه الكبرى، وفي إيثار إنزال التنزيل من بين سائر نعوته العليّة، تنبيه على أنه أعظم نعمائه. فإنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد، والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد، ولا شيء في معناه يماثله، وفي ذكر الرسول ﷺ بعنوان العبودية، تنبيه على عظمة المنزَل والمنزَل عليه، وإشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبداً للمرسِل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام، وتعريف الكتاب للعهد، أي الكتاب الكامل الغنيّ عن الوصف بالكمال، المعروف بذلك من بين الكتب، الحقيق باختصاص اسم الكتاب به، وهو عبارة عن جميع القرآن، أو عن جميع المنزل حينئذ، وقوله (ولم يجعل له عوجا) أي شيئاً من العوج، باختلال في نظمه وتنافٍ في معانيه، أو زيغ وانحراف عن الدعوة إلى الحق، بل جعله مزيلاً للعوج؛ إذ جعله: قيِّماً بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع، فهو وصف له بأنه مكمل لهم، بعد وصفه بأنه كامل في نفسه أو قيِّماً على الكتب السالفة، مهيمناً عليها، أو متناهياً في الاستقامة والاعتدال، فيكون تأكيداً لما دل عليه نفي العوج مع إفادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما تنبئ عنه الصيغة، وينذر من خالفه ولم يؤمن به عذاباً شديداً عاجلاً أو آجلاً ويبشر بمقابلهم المؤمنين الذين يعملون الخيرات والفضائل بالجنة»[٢٩٩].

---

(٢٩٩) انظر: محاسن التأويل (١٠/٤٠٢١ - ٤٠٢٣) بتصرف.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

سكوت حفص على (عوجاً) حين وصلها بـ(قيّماً) دفعاً لإيهام أن يكون (قيّماً) نعتاً لـ(عوجاً) فيفسد المعنى، لأن (قيّماً) حال من (الكتاب) فهي من أوصافه.

أما قراءة الباقين بعدم السكت حين الوصل؛ وذلك على الأصل، واعتماداً على أن التأمل في معنى الآية قرينة على دفع الإيهام[٣٠٠].

أما قراءة (لدنهو): فقد أفادت عظمة الله الذي من قبله هذا العذاب الشديد؛ لما في الضمة من قوة وثقل وفي الواو من مد.

وقراءة (لدنهي): أفادت تنوع العذاب لاتساعه، وخفاءه عن المعذبين، وخفاء نوع العذاب ومداه يؤدي إلى زيادة في التهديد والإفزاع للمهددين بهذا العذاب.

أما قراءة (لدنه) فقد أفادت شدة هذا العذاب وقوته لأنه من عند القوي العزيز، لما في الضم من الشدة والقوة، وسكون النون من الثبات والاستقرار.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الله ﷻ أنزل على محمد ﷺ كتاباً أخباره كلها صدق، وأحكامه كلها عدل سالم من جميع العيوب ليس فيه شيء من العوج باختلال في نظمه وتناف في معانيه؛ بل جعله كاملاً في وصفه مزيلاً للعوج، مكملاً لغيره من الشرائع، جعله نذيراً لعذاب متنوع شديد عظيم لأنه من قبل واسع العظمة والسلطان القوي العزيز خفي في شدته وعظمته عن المهددين به ليفزعهم لعلهم يعودون إلى الله ﷻ.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف: ١٦].

---

(٣٠٠) انظر: المغني (٢/٣٥٨).

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (**مَرْفِقًا**) بفتح الميم وكسر الفاء.

٢. قرأ الباقون (**مِرْفَقًا**) بكسر الميم وفتح الفاء[٣٠١].

اللغة والبيان:

المَرْفِق: موصل الذراع في العضد، وكذلك المِرْفَق و المَرْفِق من الأمر، وهو ما ارتفقتَ به وانتفعتَ.

فمن قرأ (**مِرْفَقًا**) بكسر الميم وفتح الفاء، أي شيئاً يرتفقون به مثل المِقْطَع.

ومن قرأ (**مَرْفِقًا**) بفتح الميم وكسر الفاء، جعله اسماً مثل مسجد[٣٠٢].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن حديث دار بين الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم والتجئوا إلى الكهف لئلا يفتنوهم عنه.

يقول أبو حيان: «﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ خطاب من بعضهم لبعض ـ حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم ـ والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم، فهو اعتزال جسماني وقلبي ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ يعني: وإذا اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله مع آلهتهم، لاندراج لفظ الجلالة في قوله ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وذُكر أنهم كانوا يعبدون الله، ويعبدون معه آلهة، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم يعتزلوا عبادة الله، ومنقطع إن كانوا لا يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجه في معبوداتهم، وقيل: ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله تعالى ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ أي: اجعلوه مأوى لكم تقيمون فيه وتأوون إليه، فهو تعالى

(٣٠١) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٣٠٢) انظر: مختار الصحاح (ص٢٧٢)، الحجة للقراء السبعة (٥/١٣١).

سيبسط علينا رحمته ويهيء لنا ما نرتفق به في أمر عيشنا»[٣٠٣].

يقول الزمخشري: «إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله، وقوةً في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم، وإما أن يخبرهم به نبيٌّ في عصرهم، وإما أن يكون بعضهم نبياً»[٣٠٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (مِرْفَقَاً) بكسر الميم وفتح الفاء؛ أن الفتية عزموا على الالتجاء إلى الكهف لعل الله يسهل لهم أمر فرارهم من قومهم، ويصلح لهم من أمر معاشهم ما ينتفعون به.

يقول حسين بن أبي العز الهمذاني[٣٠٥]: «وقوله ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ أي: ويسهل عليكم خوفكم من الملك وعدوانه، فيأتيكم باليسر والرفق»[٣٠٦].

وأفادت قراءة (مَرْفِقَاً) بفتح الميم وكسر الفاء؛ رجاء الفتية أن يجدوا مكاناً يسهِّل عليهم أمر الاختباء من قومهم ويجدون الراحة فيه.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن أصحاب الكهف كانوا على ثقة ويقين في فضل الله عليهم حين التجئوا إلى الكهف من ناحيتين:

أولهما: أن يسهل عليهم أمر خوفهم من الملك وعدوانه، فيشعروا بالدعة والأمان وهم في جوار الله.

ثانيهما: أن يهيىء سبحانه لهم مكاناً يجدون فيه الراحة، وما ينتفعون

(٣٠٣) انظر: البحر المحيط (١٠٣/٦) بتصرف.
(٣٠٤) الكشاف (٥٣/٣).
(٣٠٥) هو: حسين بن أبي العز بن الرشيد الهمذاني الشافعي، يُلقب بمنتجب الدين، توفي سنة ٦٤٣هجريه. (انظر: أبجد العلوم (٨٣/٢) وكشف الظنون (١٢٥٨/٢)).
(٣٠٦) الفريد (٣١٨/٣).

به في أمر معاشهم.

يقول محيسن: «ولثقتهم بالله تعالى وحسن عقيدتهم؛ أنهم أيقنوا أن الله تعالى سينشر عليهم سحائب رحمته، ويهيىء لهم ما يحتاجون إليه من متاع، وشراب، وغير ذلك[٣٠٧].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر ويعقوب (**تَزْوَرُّ**) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف.

٢. قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (**تَزَاوَرُ**) بفتح الزاي وتخفيفها وألف بعدها وتخفيف الراء.

٣. قرأ الباقون (**تَزَّاوَرُ**) بفتح الزاي وتشديدها وألف بعدها وتخفيف الراء[٣٠٨].

١. قرأ المدنيان وأبو عمرو (**المهتدي**) بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً.

٢. قرأ يعقوب (**المهتدي**) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، ورُويت عن قُنبل من طريق ابن شنبوذ.

٣. قرأ الباقون (**المهتد**) بدون ياء وصلاً ووقفاً[٣٠٩].

اللغة والبيان:

تزاور عن كهفهم: أي: تميل وتعدل، وهو من الزور، يعني العَوَج

(٣٠٧) المستنير (١/٣٠٩).

(٣٠٨) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٣٠٩) سبق التعرض لهذه القراءات وتفسيرها، فانظرها عند تفسير الآية (٩٧) من سورة الإسراء (ص١٠٠).

والميل[٣١٠].

من قرأ (تَزْوَرُّ) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف، مثل (تحمرُّ) و (تصفرُّ)، من (ازورَّت) فهي (تزورّ)، كـ(احمرّت) فهي (تحمرّ)، ومعناه: تنقبض.

ومن قرأ (تَزَاوَرُ) بتخفيف الزاي، فهي من (تتزاور) وحُذفت إحدى التاءين تخفيفاً.

ومن قرأ (تَزَّاوَرُ) بتشديد الزاي، فهي من (تتزاور) أيضاً إلا أنها أُدغمت التاء في الزاي وشُددت. ومعناهما: تميل عنه[٣١١].

التفسير:

تضمنت هذه الآية بعض ما أنعم الله ﷻ به على أصحاب الكهف من العناية والرعاية؛ بأن حفظ أجسادهم من البلى، بعد أن أنامهم، وذلك بأن جعل الشمس كلما طلعت أو غربت تميل عنهم كي لا تؤثر فيهم أشعتها، بقدرته سبحانه. وهذا من خوارق العادات.

يقول الشوكاني: «شرع سبحانه في بيان حالهم، بعد أن أووا إلى الكهف، قوله ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت...﴾ والمعنى: أنّ الشمس إذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين، أي: يمين الكهف، وإذا غربت تمر شمال الكهف لا تصيبه، بل تعدل عن سمته إلى الجهتين، ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ والفجوة المكان المتسع، وللمفسرين في تفسير هذه الجملة قولان:

الأول: أنهم مع كونهم في مكان منفتح انفتاحاً واسعاً في ظل جميع نهارهم، لا تصيبهم الشمس في طلوعها، ولا في غروبها، لأن الله ﷻ حجبها عنهم.

(٣١٠) مجاز القرآن: أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٣٩٥/١).

(٣١١) انظر: الكشف (٥٧/٢)، حجة القراءات (ص٤١٣)، المغني (٣٦١/٢)، الحجة للقراء (١٣٢/٥ - ١٣٣).

والثاني: أن باب ذلك الكهف كان مفتوحاً إلى جانب الشمال، فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف، وإذا غربت كانت عن يساره، ويؤيد القول الأول قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فإن صرف الشمس عنهم مع توجه الفجوة إلى مكان تصل إليه عادة أنسب بمعنى كونها آية، ويؤيده أيضاً إطلاق الفجوة وعدم تقييدها بكونها إلى جهة كذا.

ثم أثنى سبحانه عليهم بقوله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ أي: إلى الحق ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الذي ظفر بالهدى وأصاب الرشد والفلاح ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ أي: ناصراً يهديه إلى الحق كدقيانوس وأصحابه. اهـ[٣١٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**تَزَاوَرُ**) بالتخفيف: أنّ الشمس حين شروقها على الكهف تميل عن الكهف وتنحرف جهة اليمين، فلا تدخل أشعتها الحامية إليه حتى لا تؤذي أصحابه.

وأفادت قراءة (**تَزَّاوَرُ**) بالتشديد: أنّ الشمس تتمايل باستمرار وتنحرف عن الدخول في الكهف إلى جهة اليمين، فهو حال خفي عند من لم يراقب هذا الانحراف. وهذا ما يشبه حال أولئك الفتية الذين كان حالهم خفياً عن غيرهم عند هروبهم، وعند انزوائهم في الكهف.

يصف البقاعي هذا الحال بالربط بين ميل الشمس وبين حال أولئك الفتية بقوله: «ولما كان حالهم خفياً، وكذا حال انتقال الشمس عند من لم يراقبه، أدغم تاء التفاعل نافع وابن كثير وأبو عمرو، وأسقطها عاصم وحمزة والكسائي، فقال تعالى ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ أي: تتمايل وتنحرف»[٣١٣].

وأفادت قراءة (**تَزْوَرُّ**) أنّ الشمس تنقبض أشعتها عن الكهف عند شروقها عليه.

---

(٣١٢) انظر: فتح القدير (٣/٣٤٤ ـ ٣٤٥) باختصار.

(٣١٣) نظم الدرر (٤/٤٥٢).

يقول البقاعي، ولعل قراءة ابن عامر ويعقوب (تزْوَرُّ) بوزن تحمرُّ ناظرة إلى الحال عند نهاية الميل عن كهفهم، بتقلص شعاعها بارتفاعها إلى أن تزول»(٣١٤).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن من معجزات الله الدالة على فضله على أصحاب الكهف؛ أنه سبحانه أوحى إلى الشمس حين شروقها أن تميل وتنحرف عن الكهف إلى جهة اليمين باستمرار، وفي نهاية ميلها عن الكهف في كل مرة تُقلِّص شعاعها وتقبضه بارتفاعها شيئاً فشيئاً إلى أن تزول، فيصيبهم من حرها ما يمنع عنهم التعفن.

ولم يقف الأمر عند بيان حال الشمس؛ وإنما كان في تعدد القراءات تصوير للحالة التي كان عليها أهل الكهف من الخفاء عن أعين الناس. فهو تصوير بديع ربط بين حال العاقل وغير العاقل في كلمة واحدة في قراءات عدة. فسبحان من صوَّر بكلمة حالين لم يكن لأحد من مخلوقاته أن يعبِّر عنها هذا التعبير البديع.

وعلى ذلك فكل قراءة من القراءات أضافت معنىً جديداً للقراءة الأخرى، كما صورت القراءات مجتمعة حال الشمس وحال الفتية تصويراً بديعاً لم يكن ليتنبه إليه أحد لولا الجمع بين هذه القراءات. وهذا من إعجاز تعدد القراءات في اللفظة الواحدة.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: ١٨].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر (**وَتَحْسَبُهُمْ**) بفتح السين.

---

(٣١٤) المرجع السابق (٤/٤٥٢).

٢. قرأ الباقون (وَتَحْسِبُهُمْ) بكسر السين[٣١٥].

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر (وَلَمُلِّئْتَ) بتشديد اللام الثانية.

٢. قرأ الباقون (وَلَمُلِئْتَ) بتخفيف اللام[٣١٦].

١. قرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (رُعُباً) بضم العين.

٢. قرأ الباقون (رُعْباً) بإسكان العين[٣١٧].

اللغة والبيان:

(وَتَحْسَبُهُمْ) و(وَتَحْسِبُهُمْ): القراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق:

(تَحْسَبُهُمْ): من حسِب يحسَب، نحو: علِم يعلَم. وهي لغة تميم.

(تَحْسِبُهُمْ): من حسِب يحسِب، نحو: ورِث يرِث. وهي لغة أهل الحجاز[٣١٨].

وقال الأزهري[٣١٩]: «وإنما يسمى الحساب في المعاملة حساباً لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيها زيادة على المقدار، ولا نقصان»[٣٢٠] فعلى ذلك فالحساب يفيد اليقين، وكذلك فقراءة **(تَحْسِبُهُمْ)** تفيد اليقين لا الظن.

ولملئت: أي امتلأت.

من قرأ **(وَلَمُلِّئْتَ)** بتشديد اللام الثانية، أراد تكرير الفعل والدوام عليه[٣٢١]، ففيه تأكيد للمبالغة[٣٢٢].

---

(٣١٥) انظر: الإتحاف (ص٢١٢)، النشر (١٧٨/٢).

(٣١٦) انظر: النشر (٢٣٣/٢).

(٣١٧) انظر: المرجع السابق (١٦٢/٢).

(٣١٨) انظر: الإتحاف (ص٢١٢)، المغني (٢٩٦/١).

(٣١٩) هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور، أديب لغوي، شافعي المذهب، من أشهر مصنفاته: تهذيب اللغة، غريب الفقه، علل القراءات. توفي سنة ٣٧٠هـ. (انظر: طبقات الشافعية (١٤٤/٢)، وفيات الأعيان (٣٣٤/٤)).

(٣٢٠) انظر: تاج العروس (٢١٠/١).

(٣٢١) الحجة في القراءات (ص١٣٠).

(٣٢٢) معاني القراءات (ص٢٦٥).

ومن قرأ (وَلَمُلِئْتَ) بتخفيف اللام الثانية، أراد مرة واحدة[٣٢٣].

الرعب: الانقطاع من امتلاء الخوف، يقال: رعبته فرعب رعباً، فهو رَعِب[٣٢٤]. وهو: الخوف الذي يرعب الصدر، أي: يملؤه، من رعبت الحوض إذا ملأته[٣٢٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن معجزة أخرى امتن الله بها على أصحاب الكهف وذلك بحفظ أجسادهم من البلى والتغير، ببث الحركة في أجسادهم، وبث الرعب والخوف في قلب كل من يراهم.

يقول الصابوني: «ولو رأيتهم أيها الناظر لظننتهم أيقاظاً لتفتح عيونهم، وتقلبهم والحال أنهم نيام، ونقلبهم من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض أجسامهم، وكلبهم الذي تبعهم باسط يديه بفناء الكهف كأنه يحرسهم، ولو شاهدتهم وهم على تلك الحالة لفررت منهم هرباً رعباً منهم، وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، فرؤيتهم تثير الرعب؛ إذ يراهم الناظر نياماً كالأيقاظ، يتقلبون ولا يستيقظون»[٣٢٦].

ويقول الدكتور محمد الحبال[٣٢٧]: «ففي قوله تعالى ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ إشارات علمية دقيقة جداً فقد ثبت طبياً:

١. إن العين في حالة كونها مفتوحة على الدوام ولأسباب مرضية متعددة تتعرض للمؤثرات الخارجية فتدخلها الجراثيم والأجسام الغريبة مما

(٣٢٣) الحجة في القراءات (ص١٣٠).
(٣٢٤) مفردات الراغب (ص٢٢٣).
(٣٢٥) الفريد (٣/٣٢١).
(٣٢٦) انظر: صفوة التفاسير (٢/١٦٢).
(٣٢٧) هو: محمد جميل عبدالستار الحبال من مواليد الموصل بالعراق سنة ١٩٤٥م، متخصص في الطب الباطني وأمراض الكلى وباحث في الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن، وله العديد من المؤلفات في هذا المجال. انظر ترجمته في موقع: جوجل.

يؤدي إلى حدوث تقرحات القرنية (مقدمة العين) وعتمتها وبالتالي فقدان حاسة البصر.

٢. والعين في حالة كونها منغلقة على الدوام يؤدي ذلك إلى ضمور العصب البصري بعدم ـ تعرضه للضوء الذي يمنع العين من قيامها بوظيفتها؛ حيث إن من المعروف في علم وظائف الأعضاء (علم الفسلجة) أن أي عضو من أعضاء الإنسان أو أجهزته يصاب بالضمور والموت التدريجي إن لم تهيأ له الأسباب للقيام بوظيفته، ودليل ذلك أن المسجونين لفترات طويلة في الأماكن المظلمة يصابون بالعمى.

٣. أما في الحالة الطبيعية (اليقظة) فإن أجفان الإنسان ترمش وتتحرك بصورة دورية لا إرادية على مقلة العين، تعينها الغدد الدمعية التي تفرز السائل الدمعي النقي الذي يغسل العين ويحافظ عليها من المؤثرات الخارجية الضارة، فهذه العملية المركبة تحافظ على سلامة العين، فالله ﷻ الذي حافظ على أجسادهم وجلودهم من التلف بالتقلب المستمر مع التعرض المناسب لضوء الشمس، هو نفسه الذي حفظ عيونهم بهذه الطريقة العلمية من العمى، حيث قال في محكم كتابه ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ ولم يقل (وتحسبهم أمواتاً وهم رقود) لأن إحدى علامات اليقظة هي حركة رمش أجفانهم، وقد يكون في هذا أيضاً والله أعلم السر في إلقاء الرهبة في منظرهم في قوله تعالى ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ فهذا الوضع الغريب وغير المألوف حيال كونهم ليسوا موتى ولا بمستيقظين ولا نائمين نومة طبيعية (لأن النائم لا ترمش عينه) هذه الهيئة جعلت الناظر إليهم يهرب فزعاً ويمتلئ قلبه رعباً من منظرهم»[٣٢٨].

(٣٢٨) أهم الإشارات الطبية والعلمية لقصة أصحاب الكهف للدكتور محمد الحبال. (انظر: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ـ جوجل ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة **(وَتَحْسَبُهُمْ)**: أن الرائي لأهل الكهف وما عليه حالهم من حركة وتقلب يظنهم أحياء وليسوا أمواتاً.

أما قراءة **(وَتَحْسِبُهُمْ)**: فأفادت اليقين بحياة أصحاب الكهف لما عليه حالهم وخصوصاً حركة أعينهم الرامشة التي لا يفعلها إلا المستيقظ.

وأفادت قراءة **(وَلَمُلِئْتَ)** بالتخفيف؛ أن من يرى حال أصحاب الكهف يشعر بخوف شديد يملأ صدره.

أما قراءة **(وَلَمُلِّئْتَ)** بالتشديد؛ فأفادت أن من يرى أصحاب الكهف على هيئتهم، والمهابة التي ألقاها الله عليهم لا بدَّ وأن يتملكه خوف شديد يملأ صدره ويشعر به باستمرار، يشعره بذعر دائم. وبهذا وافقت قراءة **(رُعُباً)** قراءة **(وَلَمُلِّئْتَ)** بالتشديد، في شدة الخوف الذي يصل إلى درجة الذعر الشديد مع استمرار الشعور به لما في توالي الضمة في حرفين متتاليين من كلمة واحدة من الثقل الذي يدل على ثقل الشعور.

يقول ابن عطية: «(لملّئت) بشد اللام على تضعيف المبالغة، أي: ملئت ثم ملئت ثم ملئت»[(٣٢٩)].

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن الناظر إلى أصحاب الكهف وهم على حالتهم التي أرقدهم الله عليها يتيقن بحياتهم لما هم عليه من هيئة المستيقظ. ويخشى الاقتراب منهم؛ لأن الله ﷻ قد ألقى على أصحاب الكهف حال نومهم مهابة ووقاراً يملأ قلب من يطلع عليهم فيشعره برعب وفزع شديد يملأ صدره، فيطلق ساقيه للريح لا يدري طريقه. «وذلك من تدبير الله كي لا يعبث بهم عابث، حتى يحين الوقت المعلوم»[(٣٣٠)].

---

(٣٢٩) المحرر الوجيز (٣/٥٠٤).

(٣٣٠) الظلال (٤/٢٢٦٣).

يقول ابن كثير: «إنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم، لما ألبسوا من المهابة والذعر؛ لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لامس، حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم؛ لما له في ذلك من الحجة والحكمة البالغة، والرحمة الواسعة»(٣٣١).

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ١٩﴾ [الكهف: ١٩].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة وخلف وروح (**بِوَرْقِكُمْ**) بإسكان الراء.

٢. قرأ الباقون (**بِوَرِقِكُمْ**) بكسر الراء(٣٣٢).

اللغة والبيان:

جاء في اللسان: الوَرِقُ والوِرْقُ والوَرْقُ والرِّقَةُ: الدراهم. وفي الصحاح: الوَرِقُ الدراهم المضروبة(٣٣٣).

ولكن ابن قتيبة كان أكثر بياناً لكلمة (الوَرِق) حيث قال: (الوَرِق): الفضة دراهم كانت أو غير دراهم، ويدل على ذلك أن عَرْفَجَةَ بن أسعد أصيبت أنفه يوم الكُلاب(٣٣٤) فاتخذ أنفاً من وَرِق ـ أي من فضة ـ فأنتن

(٣٣١) تفسير ابن كثير (١٥١/٥).

(٣٣٢) انظر: النشر (٢٣٣/٢).

(٣٣٣) انظر: اللسان (٤٨١٦/٦) مادة: ورق. وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن المقصود بـ (الوَرِق) الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة. انظر في ذلك: الكشاف (٥٥/٣).

(٣٣٤) عرفجة بن أسعد: صحابي، ويوم الكُلاب من أيام الوقائع في الجاهلية، والكلاب ماء بين الكوفة والبصرة. (انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٢٧٥/٣)).

عليه، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب[٣٣٥].

وبذلك يتبين أن (الوَرِق) يُطلق على الفضة المضروبة وغير المضروبة، أما (الوَرْق) فيُطلق على الفضة المضروبة ـ الدراهم ـ فقط.

التفسير:

بعد أن ألقى ﷻ النوم على أهل الكهف مدة ثلاثمائة سنة وتسع، أيقظهم من هذا النوم العميق، وحين استيقاظهم شعروا بجوع شديد، فبعثوا أحدهم إلى المدينة ليشتري لهم طعاماً وزودوه بما معهم من نقود فضية.

يقول الزمخشري: «وكما أنمناهم تلك النومة، كذلك بعثناهم إذكاراً بقدرته على الإنامة والبعث جميعاً؛ ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى، ويزدادوا يقيناً، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم، وكُرِّموا به.

﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ﴾ جواب مبني على غالب الظن، ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ إنكار عليهم من بعضهم، وأنَّ الله أعلم بمدة لبثهم؛ كأنَّ هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أنَّ المدة متطاولة، وأنَّ مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله، وروي أنهم دخلوا الكهف غُدوة، وكان

(٣٣٥) تفسير غريب القرآن (ص٢٦٥)، وانظر: اللسان (٤٨١٦/٦). والحديث أخرجه الترمذي (٢٤٠/٤) في كتاب اللباس، باب ما جاء في شد الأسنان بالذهب (ح١٧٧٠) ونصه: عن عرفجة بن أسعد قال: أصيب أنفي يوم الكلاب في الجاهلية، فاتخذت أنفاً من ورق فأنتن علي فأمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ أنفاً من ذهب.

وقال أبو عيسى في نص الحديث: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه النسائي (١٦٣/٨) في كتاب الزينة، باب من أصيب هل يتخذ أنفاً من ذهب (ح٥١٦١)، وأبو داود (٩٢/٤) في كتاب الخاتم باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب (ح٤٢٣٢)، وأحمد في مسند الكوفيين (ح١٨٥٢٧) وفي مسند البصريين (ح١٩٧٥٧ و ح١٩٧٥٩).

انتباههم بعد الزوال، فظنوا أنهم في يومهم، ثم ردوا العلم إلى الله، وبعثوا أحدهم بنقودهم الفضية ليشتري لهم أحلّ وأطيب، وأكثر وأرخص طعاماً، وليتكلّف اللطف، والنِّيقة[٣٣٦] فيما يباشره من أمر المبايعة، حتى لا يُغبن، أو في أمر التخفّي حتى لا يُعرف، ولا يفعلنّ ما يؤدي من غير قصد منه إلى الشعور بهم»[٣٣٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**بِوَرِقِكُمْ**) بكسر الراء، أن ما أراد الفتية الشراء به هي: قطع من الفضة، قد تكون مضروبة وقد تكون غير مضروبة.

ولكن قراءة (**بِوَرْقِكُمْ**) بإسكان الراء، أفادت أن هذه القطع الفضية التي مع الفتية هي دراهم فضية مضروبة، ومما يدلل على ذلك أنّ بائع الطعام الذي رأى النقود تعرَّف على عصرها حينما أعطاه إياها الفتى الذي ذهب إلى المدينة ليشتري الطعام. وبذلك بيّنت إحدى القراءتين ما كان مبهماً في القراءة الأخرى.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۚ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤].

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (**يَهْدِيَنِي**) بإثبات الياء في الوصل دون الوقف.

٢. قرأ ابن كثير ويعقوب (**يَهْدِيَنِي**) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣. وقرأ الباقون (**يَهْدِيَنِ**) بحذفها في الوصل والوقف[٣٣٨].

---

(٣٣٦) النِّيقة: من التَّنُّوق، تَنَوق فلان في مطعمه وملبسه، إذا تجود وبالغ. انظر: اللسان (٤٥٨٢/٦).

(٣٣٧) انظر: الكشاف (٥٥/٣ ـ ٥٦) بتصرف.

(٣٣٨) انظر: النشر (١٣٧/٢).

اللغة والبيان:

يهديني: يرشدني[(٣٣٩)].

يقول السامرائي: «إن القرآن يحذف من الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلا لغرض، إنه يحذف من الفعل للدلالة على أنَّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأن زمنه أقصر، ونحو ذلك فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل»[(٣٤٠)].

التفسير:

يخاطب الله في هاتين الآيتين الكريمتين نبيه ﷺ موجهاً إياه أن يستثني عند كل أمر يهم القيام به، وأن يكون على اتصال به، وأن يطلب منه سبحانه المعونه والهداية لتأييده وبيان صدقه.

يقول البيضاوي: «نهي تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، فسألوه فقال: ائتوني غداً أخبركم، ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً حتى شق عليه وكذبته قريش، والاستثناء من النهي، أي: ولا تقولنّ لأجل شيء تعزم عليه إني فاعله فيما يستقبل إلا بأن يشاء الله، أي: إلا ملتبساً بمشيئته قائلاً إن شاء الله، أو إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله، بمعنى أن يأذن لك فيه، ولا يجوز تعليقه بفاعل لأنّ استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد، واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي.

واذكر مشيئة ربك وقل إن شاء الله كما روي أنه لما نزل قال ﷺ إن شاء الله، ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ إذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته، .... ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة

(٣٣٩) انظر: المحرر الوجيز (٣/٥٠٩).

(٣٤٠) انظر: بلاغة الكلمة (ص١١).

في الحث عليه، واذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك، أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي، ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ يدلني ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ لأقرب رشداً، وأظهر دلالة على أني نبي من نبأ أصحاب الكهف، وقد هداه لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعدة عنه أيامهم والإخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة، أو لأقرب رشداً أو أدنى خيراً من المنسيّ»[٣٤١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف اللُّغويون والمفسرون حول المقصود بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ فقال الزجاج: «أي: قل عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرُّشد، وأدلَّ من قصة أصحاب الكهف»[٣٤٢].

وقال ابن الجوزي: «إنّ قريشاً لما سألت رسول الله ﷺ أن يخبرهم خبر أصحاب الكهف قال غداً أخبركم كما شرحنا في سبب نزول الآية، فقال الله تعالى له ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ أي: عسى أنْ يُعرِّفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حددته لكم، ويعجل لي من جهته الرشاد. هذا قول ابن الأنباري[٣٤٣]»[٣٤٤].

وعلى هذا يمكن حمل قراءة (**يَهْدِيَنِي**) بإثبات الياء على التفسير

---

(٣٤١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٨٩/٣ ـ ٤٩١).

(٣٤٢) معاني الزجاج (٢٧٨/٣).

(٣٤٣) هو: شيخ الأدب أبو بكر محمد بن القاسم ابن محمد بن بشار النحوي، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظاً له، كان صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة، صنف كتباً كثيرة في علوم القرآن والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العامة وغريب الحديث وغير ذلك، ولد سنة ٢٧١هجرية، ومات سنة ٣٢٨هجرية عن سبع وخمسين سنة. (انظر: طبقات الحفاظ (١ /٣٥٠ ـ ٣٥١)، طبقات الحنابلة (٢ / ٦٩ ـ ٧٢)، شذرات الذهب (١ / ٣١٥)، سير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٥ ـ ٢٧٥)، البداية والنهاية (١٩٦/١١)).

(٣٤٤) انظر: زاد المسير (١٢٩/٥).

الأول؛ حيث إنَّ حاجة الرسول إلى الآيات والدلالات على النبوة حاجة تستغرق وقتاً، لذلك ناسب إثبات الياء.

أما حاجته إلى معرفه الجواب على مسائل قريش فهي حاجة سريعة، وخصوصاً لانقطاع الوحي عنه زمناً، وللتقولات التي قيلت حوله من المشركين بسبب ذلك، لذلك ناسب حذف الياء.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أنّ الله ﷻ وجه نبيه ﷺ أن يرجو الله أن يعجل له في الرد على تساؤلات المشركين ليخرس ألسنتهم ويظهر صدقه، وتأييد الله له، وأن يعطيه دائماً من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد، وأدل من قصة أصحاب الكهف.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: ٢٥].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**ثَلاثَ مَائةِ سنينَ**) بغير تنوين على الإضافة.

٢. قرأ الباقون (**ثَلاثَ مِائةٍ سنينَ**) بالتنوين[٣٤٥].

البيان:

قراءة (**ثَلاثَ مَائةٍ سنينَ**) بالتنوين؛ وذلك لأن قوله (سنين) عطف بيان لقوله (ثلثمائة) لأنه لما قال ﴿ولبثوا في كهفهم ثلثمائة﴾ لم يُعرف أنها أيام أم شهور أم سنون، فلما قال سنين صار هذا بياناً لقوله (ثلثمائة) فكان هذا عطف بيان له، وقيل: هو على التقديم والتأخير، أي: لبثوا سنين ثلثمائة.

وأما قراءة (**ثَلاثَ مَائةِ سنينَ**) بغير تنوين على الإضافة؛ فهو أنّ

(٣٤٥) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

الواجب في الإضافة ثلثمائة سنة إلا أنّه يجوز وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣][٣٤٦]. ووضع الجمع مكانه مبالغة في الدلالة على الكثرة[٣٤٧].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بيان ما أجمله سبحانه من مدة لبث أهل الكهف أحياءً مضروباً على آذانهم في الكهف.

يقول سعيد حوى: «هذا إخبار من الله تعالى بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنّه كان مقداره ثلاثمائة سنة، تزيد تسع سنين بالهلالية، وهي: ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين. فلهذا قال بعد الثلاثمائة وازدادوا تسعاً»[٣٤٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**ثَلاثَ مَائةٍ سنينَ**): أن المدة التي لبثها أهل الكهف لم تكن أياماً أو شهوراً وإنما هي سنين.

وأفادت قراءة (**ثَلاثَ مَائةِ سنينَ**): كثرة هذه السنين التي لبثوها وهم على هذه الحالة؛ فلم يتأثروا بأي عوامل طبيعية تفسد أجسادهم، ولم يطرأ أي تغيُّر على حالهم، كثرة لا يمكن أن يلبثها الإنسان إلا بقدرة الله. وفي ذلك إشارة إلى أن حالهم التي كانوا عليها والمدة الطويلة التي لبثوها على تلك الحال إنما هي رسالة موجهة لمنكري البعث ودليل على قدرة الله.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن المدة التي لبثها أهل الكهف في كهفهم

---

(٣٤٦) انظر: التفسير الكبير (١١/١١٣).
(٣٤٧) حاشية زادة على البيضاوي (٥/٤٦٩).
(٣٤٨) الأساس في التفسير: سعيد حوى (٦/٣١٧٤).

وهم على حالة عدم تغير في أجسادهم هي مدة طويلة جداً لا يمكن إلا أن تكون معجزة من معجزات الله الدالة على قدرته سبحانه.

٨ ـ قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر **(ولا تُشْرِكْ)** بالخطاب وجزم الكاف على النهي.

٢. قرأ الباقون **(ولا يُشْرِكُ)** بالغيب ورفع الكاف على الخبر[٣٤٩].

البيان:

قراءة **(ولا تُشْرِكْ)** بالتاء والجزم؛ على الخطاب والنهي عن الشرك بالله، فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الإنسان، فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقراءة **(ولا يُشْرِكُ)** بالياء وضم الكاف على الخبر؛ مخبراً ﷻ عن ذاته، نفى عنه الإشراك، أي: وليس يشرك[٣٥٠]، وأجراه على لفظ الغيبة فرده إلى قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾[٣٥١].

التفسير:

تبدأ الآية بالخطاب للرسول ﷺ، وبقطع المماراة في مدة لبث أصحاب الكهف، المختلف فيها بين أهل الكتاب، وذلك برد العلم إليه ﷻ لأنه هو عالم الغيب والشهادة، وأثبت سبحانه تفرده بالحكم والقضاء والتدبير وعلم الغيب.

(٣٤٩) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٣٥٠) معاني الفرّاء (٢/١٣٩).

(٣٥١) انظر في بيان القراءتين: الكشف (٢/٥٩)، حجة القراءات (ص٤١٥)، المستنير (١/٣١٣)، الفريد (٣/٣٢٩).

يقول الطبرسي: «فالمراد بقوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ بعد بيان مدة لبثهم ـ أصحاب الكهف ـ إبطال قول أهل الكتاب، واختلافهم في مدة لبثهم، فتقديره: قل يا محمد الله أعلم بمدة لبثهم، وقد أخبر بها فخذوا بما أخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب، فهو أعلم بذلك منهم. ولا يغيب عن الله سبحانه شيء فيعلم ما غاب في السماوات والأرض عن إدراك العباد، ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ هذا لفظ التعجب، ومعناه: ما أبصره وأسمعه، أي: ما أبصر الله تعالى لكل مبصر، وما أسمعه لكل مسموع، فلا يخفى عليه شيء من ذلك، وإنما أخرجه مَخرج التعجب على وجه التعظيم، وليس لأهل السماوات والأرض من دون الله ناصر يتولى نصرتهم، ولا يُشرك الله في حكمه بما يُخبر به من الغيب أحداً، ولا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به»[٣٥٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**ولا تُشرِكْ**) بالخطاب؛ أنَّ الله سبحانه وتعالى ينهى النبي ﷺ والمراد به غيره؛ أن يُشرك في حكم الله أحداً، أو أن ينسب أحد إلى علم الغيب.

يقول الألوسي: «نهي لكل أحد عن الشرك لا نهي له ﷺ، ولو جُعل له ﷺ لجُعل تعريضاً بغيره كقوله: (إياك أعني واسمعي يا جاره) فيكون مآله إلى ذلك، وجُوِّز أن يكون الخطاب له ﷺ ويُجعل معطوفاً على (لا تقولنّ) والمعنى: لا تسأل أحداً عما لا تعرفه من قصة أصحاب الكهف ولبثهم، واقتصر على ما يأتيك في ذلك من الوحي، أو لا تسأل أحداً عما أخبرك الله تعالى به من نبأ مدة لبثهم، واقتصر على بيانه سبحانه»[٣٥٣].

وأفادت قراءة (**ولا يُشرِكُ**) بالياء على الغيب؛ أن الله سبحانه يخبر عن نفسه أنه لا يشرك في حكمه مما يخبر به من الغيب أحداً، كما أنه لا

---

(٣٥٢) انظر: مجمع البيان (٣١٣/٦) بتصرف.

(٣٥٣) روح المعاني (٢٥٦/١٥).

يشاور في أمره وقضائه أحداً.

يقول أبو السعود: «﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ﴾ في قضائه أو في علم الغيب أحداً منهم ولا يجعل له فيه مدخلاً، وهو كما ترى أبلغ في نفي الشريك من أن يُقال من وليّ ولا شريك»[٣٥٤].

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ الله ﷻ ينهى الرسول أن يسأل أحداً من أهل الكتاب عن تفاصيل خبر أصحاب الكهف، ويكتفي بما أخبره الله به، لأن علم ذلك عنده ﷻ فهو المتصرف في أمور عباده في الحكم والقضاء، وتدبيرهم وتصريفهم، ولا يشرك في أمر الغيب أحداً من خلقه، وتضمن هذا النهي كل إنسان أن يسأل أو يصدِّق كل من يدعي علم الغيب؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ولا يجعل لأي مخلوق كان مدخلاً إليه.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (**بالغُدْوَة**) بضم الغين وإسكان الدال وواواً بعدها.

٢. قرأ الباقون (**بالغَداة**) بفتح الغين والدال وألف بعدها[٣٥٥].

اللغة والبيان:

الغُدوة: البُكرة ما بين صلاة الغَداة[٣٥٦] وطلوع الشمس. وغُدوة، من يوم بعينه، غير مُجراةٍ عَلَمٌ للوقت. **والغداة**: كالغُدوة، وجمعها غَدَوات.

(٣٥٤) تفسير أبو السعود (٣/٢٤٩).

(٣٥٥) انظر: النشر (٢/١٩٤).

(٣٥٦) صلاة الغداة: صلاة الفجر.

وغُدْوَة معرفة لا تصرف، ولا يدخل فيها الألف واللام[(٣٥٧)] إلا على تأويل التنكير، أو ليزدوج الكلام، كما قال الشاعر[(٣٥٨)]:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاً   شديداً بأحناء الخلافة كاهلُهْ

أما **الغداة** فإنها تصرف ويدخل عليها الألف واللام لأنها نكرة[(٣٥٩)].

يقول الراغب[(٣٦٠)]: الغدوة والغداة من أول النهار، وقوبل في القرآن الغدو بالآصال، نحو قوله تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقوبل الغداة بالعشي، قال تعالى: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢][(٣٦١)].

سبب نزول الآية:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [(٣٦٢)].

---

(٣٥٧) انظر: اللسان (٤/٣٢٢٠).

(٣٥٨) هو الرمّاح بن أبرد، ويُنسب إلى أمه (ميادة) يمدح الوليد بن يزيد بن عبدالملك، انظر: مغني اللبيب (ص٧٥)، وشرح شواهده (ص٦٠)، والرواية فيهما: بأعباء الخلافة. وأحناء: جمع حنو، والحنو: كل شيء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج. وأحناء الأمور: أطرافها ونواحيها. (انظر: اللسان (٢/١٠٣٣)).

(٣٥٩) انظر: حجة القراءات (ص٤١٥).

(٣٦٠) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، اشتهر بالتفسير واللغة، له مؤلفات عديدة منها: مفردات ألفاظ القرآن، وأفانين البلاغة وغيرهما. (انظر: بغية الوعاة (٢/٢٩٧)، البلغة (١/٩١)).

(٣٦١) مفردات الراغب (ص ٤٠١) مادة: غدا.

(٣٦٢) أخرجه مسلم في كتاب (فضائل الصحابة) (٤/١٨٧٨) باب (في فضل سعد بن أبي وقاص). وانظر الحديث بمعناه في: أسباب النزول للواحدي (ص ٢٢٩). لباب النقول (ص١٢١). وتفسير القرطبي (٥/٧١٢ ـ ٧١٣). وتفسير ابن كثير (٥/١٥٨ ـ ١٥٩).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله لرسوله الكريم بالصبر على مجالسة فقراء المؤمنين المخلصين لله، وألا يترك مجالستهم من أجل مجالسة ذوي الغنى والشرف.

يقول الشنقيطي: «أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يصبر نفسه، أي يحبسها مع المؤمنين الذين يدعون ربهم أول النهار وآخره مخلصين له، لا يريدون بدعائهم إلا رضاه ﷻ، وقد نزلت هذه الآية الكريمة في فقراء المهاجرين كعمار، وصهيب، وبلال، وابن مسعود ونحوهم، لما أراد صناديد الكفار من النبي ﷺ أن يطردهم عنه، ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين، وقد نهاه أن تتجاوز عيناه ضعفاء المؤمنين وفقراءهم بسبب رثاثة زيهم، محتقراً لهم طامحاً إلى أهل الغنى والجاه والشرف وما لديهم من زينة الحياة الدنيا بدلاً منهم، كما نهاه عن طاعة الغافل عن ذكر الله المتبع لهواه، ومعنى اتباعه هواه: أنه يتبع ما تميل إليه نفسه الأمارة بالسوء وتهواه من الشر، كالكفر والمعاصي، وكانت أعماله سفهاً وضياعاً وتفريطاً»(٣٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**بالغَداة**) أنَّ الله ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يصبر نفسه على مجالسة فقراء المؤمنين الذين من أوصافهم أنهم يدعون ربهم في أول النهار وآخره، أي: في كل وقت ابتغاء مرضاته.

وأفادت قراءة (**بالغُدْوَة**) أن أولئك الفقراء رغم كونهم نكرة في مجتمع السادة والأغنياء إلا أنهم لهم المكانة العالية عند الله ﷻ لإخلاصهم في طاعتهم وعبادتهم لله حيث يدعونه في جميع الأوقات.

يقول أبو السعود: «وقرىء بالغدوة على أنّ إدخال اللام عليها وهي

---

(٣٦٣) انظر: أضواء البيان (٣٧٩/٢ ـ ٣٨١) بتصرف.

علم في الأغلب على تأويل التنكير بهم، والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم ﷺ، وقيل: أصحاب الصفة، وكانوا نحو سبعمائة رجل»[٣٦٤].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أنَّ الله ﷻ قد أمر نبيه الكريم بتصبير نفسه على مجالسة فقراء المؤمنين الذين من صفاتهم طاعة الله والصلاة له والدعاء في كل وقت، لذلك كانت لهم المكانة العالية عند الله ﷻ رغم كونهم نكرة في المجتمع، ونهاهُ عن ترك مجالستهم من أجل مجالسة كبراء القوم؛ وذلك لأن المقياس عند الله هو مقياس الإيمان وليس مقياس الغنى والسيادة.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف: ٣٣].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (**أُكْلَها**) بإسكان الكاف.

٢. قرأ الباقون (**أُكُلَها**) بضم الكاف[٣٦٥].

اللغة والبيان:

أكلها: ثمرها وزرعها، وسماه أكلاً لأنه مأكول[٣٦٦]. وبلغ مبلغاً صالحاً للأكل[٣٦٧]. والإسكان والضم لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لغة: تميم وأسد، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول وهو لغة الحجازيين»[٣٦٨].

---

(٣٦٤) تفسير أبي السعود (٣/٢٤٩).

(٣٦٥) انظر: النشر (٢/١٦٢).

(٣٦٦) تفسير الماوردي (٣/٣٠٥).

(٣٦٧) روح المعاني (١٥/٢٧٤).

(٣٦٨) المغني (١/٢٨٠) في موضع الآية ٢٦٥ من سورة البقرة.

والقراءتان بمعنى واحد، إلا أن قراءة التثقيل تفيد المبالغة.

التفسير:

تحدثت الآية الكريمة عن حال أشجار الجنتين وزروعهما والنهر بينهما.

يقول كشك: «أي: كلتا الجنتين أخرجت ثمرها ولم تنقص منه شيئاً في سائر الأعوام، على خلاف ما يُعهد في الكروم والأشجار من أنها تكثر غلتها أعواماً، وتقل أعواماً أخرى، وشققنا وسط الجنتين نهراً كبيراً، متفرع منه عدة جداول، ليدوم سقيهما، ويزيد بهاؤهما، وتكثر غلتهما»(٣٦٩).

ويقول أبو السعود: «ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الأكل مع أن الترتيب الخارجي على العكس للإيذان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها، ولو عكس لا نفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض، فإن إيتاء الأكل متفرع على السقي عادة، وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقف على السقي، كقوله تعالى ﴿زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]»(٣٧٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (أُكْلَها) بإسكان الكاف: أن كلتا الجنتين أخرجت ثمرها كاملاً ليس فيه نقص في المقدار ولا رداءة في النوع.

يقول البقاعي: «ولما كان الشجر قد يكون فاسداً من جهة أرضه، نفى ذلك بقوله تعالى؛ جواباً كأنه قال: ما حال أرضهما المنتج لزكاء ثمرهما؟: ﴿كِلْتَا﴾ أي كل واحدة من ﴿ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ المذكورتين ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ أي: ما يطلب منها ويؤكل من ثمر وحب، كاملاً غير منسوب شيء منهما إلى نقص ولا رداءة، وهو معنى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: تنقص حساً ولا معنى كمن يضع

(٣٦٩) تفسير كشك (٢٢٦٢/١٣).

(٣٧٠) تفسير أبي السعود (٢٥١/٣).

الشيء في غير موضعه ﴿مِنْهُ شَيْـًٔا﴾»[٣٧١].

وجاءت قراءة (أُكُلَها) بضم الكاف لتبيّن أن إيتاء الثمر كاملاً ليس خاصاً في عام دون عام؛ بل هو في سائر الأعوام. وهذا ما يفيده تتابع الضمتين الذي يفيد المبالغة.

وبذلك جاءت قراءة الضم لتؤكد قراءة السكون ولتزيد عليها معنى الاستمرارية في ايتاء الأكل الذي يدلل على فضل الله الذي يستوجب مزيداً من الإيمان لا انقلاباً إلى كفر وضلال. والله أعلم.

١١، ١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: ٣٤].

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٤٢].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو (**ثُمْرٌ**) و (**بِثُمْرِه**) بضم الثاء وإسكان الميم فيهما.

٢. قرأ عاصم وأبو جعفر وروح (**ثَمَرٌ**) و (**بِثَمَرِه**) بفتح الثاء والميم فيهما.

٣. وقرأ رويس (**ثَمَرٌ**) بفتح الثاء والميم، و (**بِثُمُرِه**) بضم الثاء والميم.

٤. قرأ الباقون (**ثُمُرٌ**) و (**بِثُمُرِه**) بضم الثاء والميم فيهما[٣٧٢].

١. قرأ نافع وأبو جعفر (**أنا أكثر**) بإثبات ألف (أنا) حين وصلها بـ(أكثر).

٢. قرأ الباقون بحذفها حين الوصل[٣٧٣].

---

(٣٧١) نظم الدرر (٤٦٧/٥).

(٣٧٢) انظر: النشر (٢٣٣/٢)، الإتحاف (ص٣٦٦)، الهادي (١١/٣).

(٣٧٣) انظر: النشر (١٧٣/٢) عند الآية (٢٥٨) من سورة البقرة، الإتحاف (ص٣٦٦).

اللغة والبيان:

الثمر: اسم لكل ما يتطعم من أحمال الشجر، الواحدة ثمرة، والجمع: ثمار وثمرات[٣٧٤].

الثُمْر: بضم الثاء وإسكان الميم: أنواع المال. أي: من تثمير المال، لقوله بعد ذلك ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾[٣٧٥]. وإسكان الميم للتخفيف لأن أصلها الضم[٣٧٦].

الثَمَر: بفتح الثاء والميم: المأكول، وهو جمع ثمرة، كبقرة وبقَر.

الثُمُر: بضم الثاء والميم: النخل والشجر، أي: الأصول التي تحمل الثمرة[٣٧٧]، وقال ابن عباس وقتادة: هي جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، ويُستشهد لهذا القول:

ببيت النابغة الذبياني[٣٧٨]: * وما أُثَمِّرُ من مال ومن ولد *[٣٧٩][٣٨٠].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن جانب من حوار في قصة صاحب الجنتين دار بين صاحب الجنتين الكافر بنعم الله عليه وصاحبه المؤمن؛ حيث اغتر الكافر بما آتاه الله من مال وجاه، وعيَّر صاحبه بفقره، وهما يطوفان في الجنتين.

(٣٧٤) مفردات الراغب (ص ٩٢) مادة: ثمر.

(٣٧٥) الحجة (ص١٣١).

(٣٧٦) انظر: الكشف (٢/٦٠).

(٣٧٧) انظر: الحجة للقراء (٥/١٤٣)، الكشف (٢/٦٠).

(٣٧٨) هو: زياد بن معاوية، ويكنى بأبي أمامة، وسمِّي بالنابغة لقوله: فقد نبغت لهم منا شئون. وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء. (انظر: الأغاني (١١/٥)).

(٣٧٩) والشاهد شطر بيت مطلعه: مهلاً فداءً لك الأقوامُ كُلهُمُ. ومعنى أثمر: أصلح وأجمع. (انظر: المرجع السابق (١١/٣٩)).

(٣٨٠) المحرر الوجيز (٣/٥١٦).

يقول القاسمي: «وكان لصاحب الجنتين أنواع من المال غير الجنتين، فقال لصاحبه وهو يراجعه الكلام، تعييراً له بالفقر، وفخراً عليه بالمال والجاه، أنا أكثر منك مالاً وأنصاراً وحشماً»[٣٨١].

ثم بيّن سبحانه عاقبة الكفر والجحود بأنعم الله؛ حيث أرسل سبحانه على جنتيه الهلاك المبرم، حينها أخذه الندم على كفره، وتمنى أنه سمع لصاحبه موعظته ولم يشرك بربه أحداً.

يقول الزحيلي: «ونزل الإهلاك والجائحة بالأموال والثمار بإرسال الحسبان على جنته التي اغتر بها، وألهته عن الله ﷻ، ودمرت أمواله وثماره، فأصبح نادماً متحسراً على ضياع نفقته التي أنفقها عليها، فتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر، وتمنى متذكراً موعظة صاحبه أن لم يكن أشرك بربه أحداً، والخاوية على عروشها: هي التي سقطت عرائشها على الأرض، قيل: أرسل الله عليها ناراً فأكلتها، وسقط بعضها على بعض»[٣٨٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**ثُمْرٌ**) بأنَّ الرجل الكافر كان يملك أنواع المال التي هلكت بأمر الله عقاباً له على كفره.

يقول الطبرسي: «والثُمْر أنواع المال، فإذا اصطلم[٣٨٣] الثُمْر فاجتيح دخلت الثمرة فيه ولا يمكن أن يُصاب الأصل ولا تُصاب الثمرة»[٣٨٤].

وأفادت قراءة (**ثَمَرٌ**) أنَّ أشجار الجنتين كانت مثمرة، وقد هلكت جميع الثمار ولم يبق منها شيء، وهلاك الثمار نتيجة لهلاك أصولها.

يقول ابن عطية: «وأما من قرأ بفتح الثاء والميم، فلا إشكال في أن

---

(٣٨١) انظر: محاسن التأويل (٤٠٥٧/١١ ـ ٤٠٥٨).

(٣٨٢) التفسير المنير (٢٥٥/١٥).

(٣٨٣) الاصطلام: الاستئصال، اصطلم: أي: استؤصل. (انظر: مختار الصحاح (ص٣٩٢)).

(٣٨٤) مجمع البيان (٣٢٠/٦).

المعنى ما في رؤوس الشجر من الأكل، ولكن فصاحة الكلام تقتضي أن يعبّر إيجازاً عن هلاك الثمر والأصول بهلاك الثمر فقط، فخصها بالذكر إذ هي مقصود المستغل، وإذ هلاك الأصول إنما يسوء منه هلاك الثمر الذي كان يرجى في المستقبل كما يقتضي قوله إن له (ثمراً)، إن له أصولاً كذلك تقتضي الإحاطة المطلقة بالثمر، أنَّ الأصول قد هلكت»(٣٨٥).

وأفادت قراءة (ثُمُرٌ) أنّه كانت له نخل وشجر، وأنواع أخرى من الأموال.

يقول أبو حيان: «قال ابن عباس وقتادة: الثُمُر جميع المال من الذهب والحيوان وغير ذلك، وقال مجاهد: يراد بها الذهب والفضة خاصة، وقال ابن زيد: هي الأصول فيها الثمر، وقال أبو عمرو بن العلاء: الثمر المال، فعلى هذا المعنى أنه كانت له إلى الجنتين أموال كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما، فكان متمكناً من عمارة الجنتين»(٣٨٦).

أفادت قراءة (**أنا أكثر**) بإثبات الألف حين الوصل مدى غرور الكافر وتفاخره على المؤمن، لأنَّ في زيادة المبنى زيادة في المعنى كما يقول أهل اللغة.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أنّ الكافر كانت له أموال كثيرة يستثمرها غير الجنتين اللتين يمتلكهما، كما كان يستثمر بعضاً من هذه الأموال في عمارة جنتيه، وحينما أثمرت الأشجار ونضجت الزروع، وكل شيء أصبح صالحاً للأكل، وبسبب كفره وجحوده لنعم الله عليه وتفاخره بما يملك بكل غرور؛ عاقبه الله ﷻ بإهلاك ماله كله؛ فأهلكت الماشية، وسُلبت أمواله، وأهلكت جنتاه بأن أرسل عليهما ناراً أحرقت أشجارهما بثمارها، فسقطت عروشها، كما غارت الأنهار في باطن الأرض. فأُهلك ماله كله أصوله

(٣٨٥) المحرر الوجيز (٥١٦/٣).
(٣٨٦) البحر المحيط (١١٩/٦).

وفروعه، فأصبح كل شيء هباءً منثوراً.

يقول ابن عاشور: «أُتلف ماله كله بأن أُرسل على الجنة والزرع حُسبانٌ من السماء فأصبحت صعيداً زلقاً، وهلكت أنعامه، وسُلبت أمواله، أو خُسف بها بزلزال أو نحوه»(٣٨٧).

١٣ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٦].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر **(منهما)** بميم بعد الهاء على التثنية.

٢. قرأ الباقون **(منهَا)** بحذف الميم على الإفراد(٣٨٨).

البيان:

قراءة **(منهُما)** على التثنية وعود الضمير على الجنتين المتقدم ذكرهما مكرراً في قوله تعالى ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ وقوله ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ﴾ وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام.

وقراءة **(منها)** على الإفراد؛ وعود الضمير على الجنة في قوله تعالى ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ وقوله ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ فكان رده على الأقرب منه أولى من رده على الأبعد، وأيضاً فإن الجنة تحتوي على جنتين وأكثر. وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة والكوفة(٣٨٩).

---

(٣٨٧) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٢٦).

(٣٨٨) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٣٨٩) انظر: الكشف (٢/٦٠ ـ ٦١).

التفسير:

الآية الكريمة استكمالاً لذكر الحوار الدائر في قصة صاحب الجنتين بين النموذج المؤمن والنموذج الكافر، حيث أنكر الكافر قيام الساعة، وادعى كرامته على الله تعالى، غروراً وغطرسة، ولم يدر أن ما فيه من نعيم إنما هو استدراج له.

يقول الطبري: «لما عاين جنته ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة قال شكاً في المعاد؛ ما أظن الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه فقال: ولئن رددت إلى ربي فرجعت إليه وهو غير موقن أنه راجع إليه، لأجدنَّ خيراً من جنتي هذه عند الله مرجعاً ومردّاً، ويقول لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه»[٣٩٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (منها) بالإفراد؛ أنَّ الكافر تمنى على الله أن يجد عنده في الآخرة خيراً من جنته التي طاف فيها هو والمؤمن إن رُدَّ إليه على سبيل الفرض.

وأفادت قراءة (منهما) بالتثنية؛ أنّه تمنى على الله أن يعطيه في الآخرة جنتين كما أعطاه في الدنيا ظناً منه أن الله أعطاه إياهما لكونه مستحقاً لهما.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن مدى غطرسة صاحب الجنتين وكفره حتى إنه لم يكفه إنكار البعث، وإنما أيضاً تمنى على الله وأقسم عليه أن يعطيه في الآخرة ليس فقط جنة أفضل من جنته التي يطوف فيها وهو يحاور المؤمن، بل أفضل من جنتيه اللتين أعطاهما الله له في الدنيا ظناً أنه إنما أعطاه إياهما لكرامته عليه سبحانه.

---

(٣٩٠) انظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص١٦١).

١٤ ـ قال تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝٣٨﴾ [الكهف: ٣٨].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وأبو جعفر ورويس **(لكِنَّا هو)** بإثبات الألف بعد النون وصلاً.

٢. قرأ الباقون **(لكنَّ هو)** بغير ألف وصلا[٣٩١].

البيان:

أصل كلمة (لكنَّا) هو: (لكنْ) و(أَنا)، أي: (لكن أنا هو الله ربي)، فألقيت حركة الهمزة على النون، وحُذفت الهمزة فبقيت (لَكِنَنَا) بنونين متحركتين، فلما تلاقت النونان أُسكنت الأولى وأُدغمت في الثانية، فأصبحت (لكنَّا). و(لكنْ) حرف استدراك لقوله تعالى ﴿أَكَفَرۡتَ﴾ كأنه قال: أنت كافر ولكني مؤمن. و(هو) في قوله ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ ضمير الشأن وهو مبتدأ وقوله ﴿ٱللَّهُ رَبِّي﴾ جملة من المبتدأ والخبر واقعة في معرض الخبر، لقوله: هو.

وقراءة (لكنَّ) بحذف الألف في الوصل؛ على اعتبار أنها كهاء السكت يُؤتى بها لبيان حركة النون في الوقف، والاسم من (أنا) عند البصريين (أَنَ)، والألف زيدت في الوقف كهاء السكت لبيان الحركة كقول القائل: (أنَ قلت) محذوفة الألف، فإنْ وُقف عليها أُثبتت الألف، أي: (أنا).

أما قراءة (لكنَّا) بإثبات الألف في الوصل على لغة من قال (أنا قمت)، وهو جعل الألف من أصل الاسم المضمر، كما قال الشاعر[٣٩٢]:

---

(٣٩١) انظر: النشر (٢/٢٣٣)، المُيَسر (ص٢٩٨).

(٣٩٢) القائل هو: حميد بن حريث بن بحدل، الكلبي، إسلامي من وجوه أهل دمشق وفرسان قحطان، وليّ شرطة يزيد بن معاوية وغزا معه القسطنطينية في خلافة معاوية. (انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب (٦ /٢٩٦٩)، تهذيب تاريخ دمشق (٤/٤٦٠)).

أنـا سـيـف الـعـشـيـرة فـاعـرفـونـي حميداً قد تذرّيتُ السناما[٣٩٣][٣٩٤]

يقول الألوسي: «وقيل: أثبتت إجراء للوصل مجرى الوقف، وفي إثباتها دفع اللبس بـ(لكنَّ) المشددة»[٣٩٥].

التفسير:

بعدما أنكر المؤمن على صاحبه الكافر كفره وجحوده بأنعم الله عليه؛ أخبره عن اعتقاده الذي يضاد اعتقاد صاحبه.

يقول الطبرسي: «﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ تقديره: لكن أنا أقول هو الله ربي وخالقي ورازقي، فإن افتخرت عليّ بدنياك فإن افتخاري بالتوحيد، ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ أي: لا أشرك بعبادتي إياه أحداً سواه، بل أوجهها إليه وحده خالصاً، وإنما استحال الشرك في العبادة لأنها لا تُستحق إلا بأصول النعم، وبالنعمة التي لا يوازنها نعمة منعم، وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى»[٣٩٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (لكنَّ) بدون ألف إقرار الرجل المؤمن بعبوديته لربه وبتوحيده لله.

أما قراءة (لكنَّا) بالألف فقد جاءت لتؤكد تقريره بوحدانية إلهه وافتخاره بعبوديته له.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف: ١٥].

---

(٣٩٣) تذريت السنام: عَلَوْتُهُ وفَرَعْتُهُ. (انظر: اللسان (١٥٠٠/٢) مادة: ذرا).

(٣٩٤) انظر: حجة القراءات (ص٤١٧)، الكشف (٦١/٢ ـ ٦٢)، الحجة للقراء (١٤٥/٥ ـ ١٤٧)، التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٢٧).

(٣٩٥) روح المعاني (٢٧٧/١٥).

(٣٩٦) مجمع البيان (٣٢٦/٦).

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وقالون والأصبهاني عن ورش (**تَرَنِي**) بإثبات الياء وصلاً دون الوقف.

٢. قرأ ابن كثير ويعقوب (**تَرَنِي**) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣. قرأ الباقون (**تَرَنِ**) بحذفها وصلاً ووقفاً[٣٩٧].

٤. قرأ نافع وأبو جعفر (**أنا أقل**) بإثبات ألف (أنا) حين وصلها بـ(أقل).

٥. قرأ الباقون بحذفها حين الوصل[٣٩٨].

البيان:

يقول د. فاضل السامرائي: «قد يُحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد يحذف حرفاً أو يذكره أو يجتزىء بالحركة للدلالة على المحذوف، كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال، وفي ذكر الياء وحذفها منحى معين؛ ففي كل موطن ذكرت فيه الياء يكون مقام إطالة وتفصيل في الكلام، بخلاف الاجتزاء بالكسرة فإن فيه اجتزاء في الكلام»[٣٩٩].

والعلماء حينما تناولوا مثل هذه المواضع لم يتناولوها إلا ببيان القراءات الواردة فيها، وأحوالها الإعرابية، ولم يهتموا ببيان الوجه البلاغي في الذكر والحذف الوارد فيها.

الإعراب:

(**إن ترني**): (إن): شرط جوابه: (فعسى ربي)، وياء الضمير مفعول أول، و(أنا) فصل، أو توكيد للمفعول الأول، و(أقل) مفعول ثان، والرؤية

---

(٣٩٧) انظر: النشر (٢/٢٣٧)، الإتحاف (ص٣٦٧).

(٣٩٨) انظر: النشر (٢/١٧٣) عند الآية (٢٥٨) من سورة البقرة، الإتحاف (ص٣٦٦).

(٣٩٩) انظر: التعبير القرآني (ص٧٥ ـ ٨٠).

هنا من رؤية القلب ـ أي: الرؤية العلمية ـ[٤٠٠]، لأنَّ: رأى إذا عدي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم، نحو: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦][٤٠١].

ويجوز أن تكون بصرية، و(أنا) توكيد للضمير في (ترني) المنصوب فيكون (أقل) حالاً[٤٠٢].

التفسير:

بعد إنكار المؤمن على الكافر اعتقاده، واعتراف المؤمن بالوحدانية والربوبية لله؛ بدأ بتوجيه النصح للكافر.

يقول كشك: «وهلا إذ أعجبتك جنتك حين دخلتها، ونظرت إليها، حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك، وقلت: الأمر ما شاء الله، والكائن ما قدَّره الله ليكون ذلك منك اعترافاً بالعجز، وبأنَّ كل خير بمشيئة الله وفضله، وهلا قلت: لا قوة إلا بالله إقراراً بأن ما قويت على عمارتها وتدبير أمرها فإنما هو بمعونة الله وتأييده..وبعد أن نصح الكافر بالإيمان وأبان له عظم قدرة الله وكبير سلطانه، أجابه عن افتخاره بالمال والنفس، ورد على قوله: أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً، فقال: إن ترني أيها الرجل أفقر منك فإني أرجو الله أن يقلب الآية»[٤٠٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ترَنِ): سرعة تعرف الكافر على حال المؤمن من هيئته الدالة على ذلك ـ وهذا ما يُعبّر عنه بالرؤية البصرية ـ وعدم اكتراث المؤمن

---

(٤٠٠) انظر: الفريد (٣/٣٣٩). وانظر أيضاً: في الإعراب: معاني الزجاج (٣/٢٨٨). وفي المقصود بالرؤية: البحر المحيط (٦/١٢٣).

(٤٠١) مفردات الراغب (ص٢٠٧) مادة: رأى.

(٤٠٢) البحر المحيط (٦/١٢٣).

(٤٠٣) انظر: تفسير كشك (١٣/٢٢٦٤).

بعلم الكافر بفقره وحاجته؛ لأنه على يقين بأن الله سيقلب الموازين لصالحه. رجاءً في الله.

وأفادت قراءة (تَرَنِي) بإثبات الياء: الرؤية العلمية والبصرية؛ حيث إن المؤمن يفتخر بإيمانه ولا يكترث بحاله، رغم ما يبصره الكافر من مظهره، أو ما يعرفه من مقاله من فقر وحاجة.

أما قراءة (**أنا أقل**) بإثبات ألف، فأفادت: عدم خجل المؤمن من فقره ومن الاعتراف به، ومن باب المقابلة لغرور الكافر وتكبره؛ لأنه على يقين أن المِقياس عند الله هو مِقياس الإيمان، تصديقاً لقوله سبحانه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وأن ما في الدنيا زائل، وطمعاً في كرم الله في الآخرة.

وأفادت قراءة (**أنا أقل**) بحذف الألف: أنه رغم احتقار الكافر للمؤمن وتفاخره عليه بسبب فقره وقلة ماله وولده، إلا أنّ هذا لا يهم المؤمن، لأنه على يقين بعدل الله وكرمه.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أنَّ المؤمن قد نصح الكافر، رغم غروره وافتخاره عليه، بالاعتراف بمشيئة الله، على إبقاء ما يملك أو إفنائه، وبعجزه أمام قدرة الله، وأن ما يملك في الدنيا ليس بقدرته وإنما بتيسير الله له وكرمه عليه، ومعونته له، ثم قابل افتخار الكافر بماله وأعوانه بافتخاره بكونه على الحق، ويقينه في الله؛ رغم ما يبدو على هيئته، ويُعلم عنه من فقر وحاجة، جعلت الكافر يتكبر عليه ويتفاخر، فإن كل ذلك لا يهمه ولا يكترث به، لأنه يرجو عدل الله وكرمه.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ [الكهف: ٤٠]

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (أن يؤتيني) بإثبات الياء وصلاً.

٢. قرأ ابن كثير ويعقوب (أن يؤتيني) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣. قرأ الباقون (أن يؤتينِ) بحذفها وصلاً ووقفاً[٤٠٤].

اللغة:

الإيتاء: الإعطاء[٤٠٥].

التفسير:

يقول البقاعي: «ولما أقر هذا المؤمن بالعجز والافتقار، في نظير ما أبدى الكافر من التقوى والافتخار، سبب عن ذلك ما جرت به العادة في كل جزاء، داعياً بصورة التوقع فقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ﴾ المحسن إليّ ﴿أَن يُؤۡتِيَنِ﴾ من خزائن رزقه ﴿خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ فيحسن إليّ بالغنى كما أحسن إليّ بالفقر المقترن بالتوحيد، المنتج للسعادة ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾ أي: جنتك ﴿حُسۡبَانٗا﴾ أي: مرامي من الصواعق، والبرد الشديد ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، ولما كانت المصابحة بالمصيبة أنكى ما يكون، قال تعالى: ﴿فَتُصۡبِحَ﴾ بعد كونها قرة للعين بما تهتز به من الأشجار والزروع ﴿صَعِيدٗا زَلَقًا﴾ أي: أرضاً يزلق عليها لملاستها باستئصال نباتها، فلا ينبت فيها نبات، ولا يثبت فيها قدم»[٤٠٦].

يقول ابن عطية: «الترجي بـ(عسى) يحتمل أن يريد به في الدنيا، ويحتمل أن يريد به في الآخرة، وتمني ذلك في الآخرة أشرف مقطعاً، وأذهب مع الخير والصلاح، وأن يكون ذلك يراد به الدنيا أذهب في نكاية المخاطب، وأشد إيلاماً لنفسه»[٤٠٧].

---

(٤٠٤) انظر: النشر (٢/٢٣٧)، الإتحاف (ص٣٦٧).

(٤٠٥) مفردات الراغب (ص ١٥) مادة: أتى.

(٤٠٦) نظم الدرر (٤/٤٧٠).

(٤٠٧) المحرر الوجيز (٣/٥١٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (أن يؤتيني): أن الرجل الصالح تمنى على الله أن يعطيه خيراً من جنة الكافر ولو بعد حين، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة.

ويؤيد ذلك أشهر القولين القائل بأنَّ مقصوده: جنة في الآخرة، فيكون أفضل منه عند الله.

وأفادت قراءة (أن يؤتينِ): تمني الرجل الصالح للجنة بسرعة؛ والمقصود بذلك أن يؤتيه الله جنة في الدنيا قبل جنة الآخرة. ويؤيد ذلك رأي من رأى أنه تمنى الجنة في الدنيا، ليكون فيها تمام الإغاظة للكافر في الدنيا قبل الآخرة.

الجمع بين القراءات:

أفادت القراءات أنّ المؤمن تمنى على الله أن يحسن إليه بالغنى ويقلب ما به من الفقر وما بالكافر من الغنى؛ بأن يعطيه خيراً من جنة الكافر، في الآخرة نتيجة صلاحه، أو في الدنيا قبل الآخرة، ويرسل على جنة الكافر عذاباً أو ناراً من السماء، حساب ما كسبت يداه، فتصبح أرضاً لا نبات فيها، ملساء مقفرة لا يثبت فيها قدم، ليكون في ذلك تمام الإغاظة للكافر.

يقول الطبرسي: «إن كنت تراني اليوم فقيراً أقل منك مالاً وعشيرة وأولاداً فلعل الله أن يؤتيني بستاناً خيراً من بستانك في الآخرة أو في الدنيا والآخرة، ويرسل على جنتك عذاباً أو ناراً من السماء فيحرقها. عن ابن عباس وقتادة. وقيل: يرسل عليها عذاب حسبان، وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك، فتصبح أرضاً مستوية لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أضرُّ أرض من بعد أن كانت أنفع أرض»(٤٠٨).

١٧ ـ قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف: ٤٣].

(٤٠٨) انظر: مجمع البيان (٦/٣٢٦).

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف **(ولم يكن)** بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون **(ولم تكن)** بالتاء على التأنيث(٤٠٩).

اللغة والبيان:

الفئة: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد(٤١٠).

و(فئة): اسم جمع غير حقيقي التأنيث(٤١١).

والعرب قد تُؤنِّث للكثرة، وتُذكِّر للقلة، وذلك كما في قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠] و﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤]، فذكَّر الفعل (قال) لأنَّ النسوة قلة، وأنَّث (قالت) لأنَّ الأعراب كثرة(٤١٢). وقد تؤنث للمبالغة في الوصف كراوية لكثير الرواية، وإنما أنثوا المذكر لأنهم أرادوا أنه غاية في ذلك الوصف، والغاية مؤنثة(٤١٣).

وقال كثير من العلماء إن القراءة بالتذكير - (لم يكن) - هي حمل على المعنى، والقراءة بالتأنيث - (لم تكن) - هي حمل على لفظة الفئة(٤١٤).

التفسير:

بعدما استجاب الله للمؤمن بإهلاك جنة الكافر؛ بيَّن سبحانه أنه لا أمر لغير الله المرجو لنصر أوليائه بعد ذلهم، ولإذلال أعدائه بعد عزهم وتكبرهم، وأن غيره لا قدرة ولا حقيقة له.

---

(٤٠٩) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٤١٠) مفردات الراغب (ص٤٣٥) مادة: فيأ. وانظر: معاني الزجاج (١/٣٨١).

(٤١١) انظر: الفريد (٣/٣٤١)، الدر المصون (٤/٤٥٩)، معاني القراءات (ص٢٦٨).

(٤١٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٣٥) عند بيان معنى الآية ٣٦ من سورة براءة.

(٤١٣) انظر: شرح التصريح (٢/٢٨٨)، همع الهوامع (ص١٧١)، شرح المفصل (١/٩٨).

(٤١٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/٥١٩)، الفريد (٣/٣٤١)، معاني القراءات (ص٢٦٨)، الحجة في القراءات (ص١٣٢).

يقول كشك: «أي: ولم تكن له عشيرة ممن افتخر بهم واستعز ينصرونه، ويقدرون على دفع الجوائح عنه، أو رد المُهلك له من دون الله، فإن الله هو الذي يقدر وحده على نصره، وما كان منتصراً بقوته عن انتقام الله منه بإهلاك جنته»(٤١٥).

ويقول المنصوري: «فإن قيل: فقد ندم على الشرك ورغب في التوحيد، فلِمَ قيل ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾؟ الجواب: إنما رغب في التوحيد، لأجل حفظ ماله، ولطلب الدنيا، فلهذا ما صار توحيده مقبولاً عند الله تعالى»(٤١٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءتان أنه لا ناصر للكافر من غضب الله وعذابه سواء أكثرت عزوته التي كان يعتمد عليها، أم قلت، فلن تستطيع بأي حال أن تنصره أو تدفع عنه شيئاً.

يقول البقاعي: «﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ أي: جماعة لا من نفره الذين اعتز بهم، ولا من غيرهم ينصرونه مما وقع فيه بغير عون الملك الأعظم»(٤١٧).

١٨ ـ قال تعالى ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف: ٤٤].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**الوِلايَةُ**) بكسر الواو.

٢. قرأ الباقون (**الوَلايَةُ**) بفتح الواو(٤١٨).

---

(٤١٥) تفسير كشك (٢٢٦٥/١٣).

(٤١٦) المقتطف (٣٢٥٨).

(٤١٧) نظم الدرر (٤٧١/٤).

(٤١٨) انظر: النشر (٢٠٨/٢).

١. قرأ أبو عمرو والكسائي (الحَقُّ) برفع القاف.

٢. قرأ الباقون (الحَقِّ) بخفض القاف[٤١٩].

١. قرأ عاصم وحمزة وخلف (عُقْباً) بإسكان القاف.

٢. قرأ الباقون (عُقُباً) بضم القاف[٤٢٠].

اللغة والبيان:

(الوَلاية) بالفتح: مصدر الوَليّ، وهي: النصرة والتولّي. وهي على معنى: أن النصرة لله وحده لا يملكها غيره.

(الوِلاية) بالكسر: مصدر الوالي، وهي: السلطان والمُلك. وهي على معنى: أن الله ﷻ هو المنفرد بالملك والسلطان[٤٢١].

يقول ابن خالويه[٤٢٢]: **(الحق)**: الله ﷻ. والحق: صدق الحديث. والحق: الملك باستحقاق. والحق: اليقين بعد الشك[٤٢٣].

وقراءة **(الحقِّ)** بالخفض على أنها نعتٌ لـ(الله) ﷻ، أي أنه: ذو الحق. لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ﴾ [يونس: ٣٠].

أما قراءة **(الحقُّ)** بالضم على أنها نعتٌ لـ(الولاية)، أي: الولاية الحق لله، أي لا يستحقها غيره، لأنه لا يشوبها نقص ولا خلل.

أما **(عُقْباً)** و **(عُقُباً)** فهما لغتان بمعنى: العاقبة، وهي: الآخرة. وهما منصوبان على التمييز[٤٢٤]. والتثقيل لزيادة المبالغة. فإن (فُعلا) بضمة

---

(٤١٩) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٤٢٠) انظر: النشر (٢/١٦٣).

(٤٢١) انظر: معاني القراءات (٢٦٨)، الكشاف (٣/٦٨)، الفريد (٣/٣٤٢).

(٤٢٢) هو: الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون، أبو عبدالله النحوي اللغوي، الإمام المشهور. توفي سنة ٣٧٠هـ. (انظر: غاية النهاية (١/٢٣٧)).

(٤٢٣) الحجة (ص١٣٢).

(٤٢٤) انظر: حجة القراءات (ص٤١٩)، الكشف (٢/٦٣)، الحجة للقراء (٥/١٥٠ - ١٥١)، الفريد (٣/٣٤٢ - ٣٤٣).

وبضمتين من صيغ جموع الكثرة، فيفيده ذلك مبالغة، وإن لم يكن جمعاً[٤٢٥].

التفسير:

بعدما ذكر سبحانه قصة صاحب الجنتين وما حلَّ به من عقاب من الله بسبب إشراكه به وكفره بأنعمه، وما نتج من هذه القصة من أنه: لا ناصر لأولياء الله بعد ذلهم، ولا مذل لأعدائه بعد عزهم وكبرهم إلا هو سبحانه. أعقب ذلك بالتأكيد على أنَّ النصرة هي من الله وحده وأن الملك والسلطان هو لله وحده في الدنيا والآخرة.

يقول القرطبي: «اختلف العلماء في العامل في قوله ﴿هُنَالِكَ﴾ وهو ظرف، فقيل العامل فيه ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ ولا كان هنالك، أي: ما نُصر ولا انتصر هنالك، أي: لما أصابه من العذاب، وقيل: تم الكلام عند قوله ﴿مُنتَصِرًا﴾ والعامل في قوله ﴿هُنَالِكَ﴾: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ وتقديره على التقديم والتأخير: الولاية لله الحق هنالك، أي: في القيامة[٤٢٦].

ويقول النسفي: «هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب، أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر، يعني أن قوله ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ كلمة أُلجيء إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقلها، أو هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم، يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدق قوله ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ويؤيده قوله ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي لأوليائه، أو هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]،

(٤٢٥) نظم الدرر (٤٧١/٤).

(٤٢٦) تفسير القرطبي (مجلد ٥ ج١٠/٧٣١).

الحقُّ بالرفع أبو عمرو وعلي، صفة للولاية، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي الحق، أو هو الحق، غيرهما بالجر صفة لله، عقباً... بمعنى العاقبة»[٤٢٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**الوَلاية**) بالفتح: أنّ النُصرة لله وحده لا يملكها غيره، وأن كل أحد من مؤمن وكافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع إليه إذا وقع العذاب كقوله ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [غافر: ٨٤][٤٢٨].

ويجوز أن يكون المعنى: هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة، وينتقم لهم، ويشفي صدورهم من أعدائهم، يعني أنه نَصر فيما فَعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدَّق قوله ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ويعضده قوله ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: لأوليائه[٤٢٩]. هذا على قراءة من وقف على (منتصراً)، وابتدأ بـ(هنالك).

أما على قراءة الوقوف على (هنالك) والابتداء ب(الولاية) فتفيد القراءة أن هذا الأمر في الآخرة، أن النصرة لله وحده ولا يملكها غيره في ذلك اليوم.

يقول ابن الجوزي: «ويكون في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنهم يتولون الله تعالى في القيامة ويؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون. قاله ابن قتيبة، **والثاني**: هنالك يتولى الله أمر الخلائق فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين»[٤٣٠].

---

(٤٢٧) انظر: تفسير النسفي (٣/١٢).

(٤٢٨) انظر: تفسير ابن كثير (٥/١٦٧).

(٤٢٩) البحر المحيط (٦/١٢٤). وقد نقله عن الكشاف (٣/٦٨).

(٤٣٠) زاد المسير (٥/١٤٧).

وأفادت قراءة (**الوِلاية**) بالكسر: أنّ الله هو المنفرد بالملك والسلطان في الدنيا والآخرة. وهذا المعنى كذلك على اختلاف الوقف والابتداء.

يقول القرطبي: «وبالكسر يعني السلطان والقدرة والإمارة، كقوله ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] أي: له الملك والحكم يومئذ، أي: لا يُرد أمره إلى أحد، والملك في كل وقت لله، ولكن تزول الدعاوي والتَّوهمات يوم القيامة»(٤٣١).

وأفادت قراءة (**الحقُّ**) بالضم: أن ولاية الله هي الولاية الصدق؛ لأن ولاية غيره كذب وباطل(٤٣٢).

أما قراءة (**الحقِّ**) بالخفض فأفادت: أنّ الله ﷻ هو الحق، وأنّ غير الله لا حقيقة له أو دوام.

يقول البقاعي: «أي الثابت الذي لا يحول يوماً ولا يزول، ولا يغفل ساعة ولا ينام، ولا ولاية لغيره بوجه ـ هذا على قراءة الجماعة بالجر على الوصف»(٤٣٣).

الجمع بين القراءات:

الجمع بين القراءات يؤكد حقيقة أنَّ الله ﷻ هو الإله الحق الذي له الولاية الحقيقية التي لا يشاركه فيها أحد، وهو الملك، وله السلطان في الدنيا والآخرة، فيعترف بملكه وسلطانه وولايته المؤمن طوعاً، والكافر جبراً، وأن النصرة لله وحده لا يملكها غيره، وهو الناصر لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، فثوابه لأوليائه خير ثواب وعقباه خير عاقبة، وهو الملاذ لطلب النصرة منه للمؤمن والكافر على السواء عند حلول العذاب في الدنيا، والمُتَوَلِّى يوم القيامة من الكفار فيؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(٤٣١) تفسير القرطبي (مجلد ٥ ج١٠/٧٣١).
(٤٣٢) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٢٩).
(٤٣٣) نظم الدرر (٤٧١/٤).

فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ [الكهف: ٤٥].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**الرِّيح**) بالإفراد.

٢. قرأ الباقون (**الرِّياح**) على الجمع[٤٣٤].

البيان:

يقول القرطبي: «فَمَنْ وَحَّدَ الريح فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الريح»[٤٣٥].

التفسير:

لما بيَّن تعالى في المثل الأول حال الكافر والمؤمن، وما آل إليه ما افتخر به الكافر من الهلاك، بيَّن في هذا المثل حال الحياة الدنيا واضمحلالها، ومصير ما فيها من النعيم، والترفه إلى الهلاك[٤٣٦].

يقول القرطبي: «صف لهؤلاء المتكبرين الذين سألوك طرد فقراء المؤمنين مثل الحياة الدنيا، أي: شبهها ﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾ أي: بالماء ﴿نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ حتى استوى، وقيل: إنَّ النبات اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء، لأنَّ النبات إنما يختلط ويكثر بالمطر، وقالت الحكماء: إنما شبه تعالى الدنيا بالماء لأنَّ الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقي على واحد، ولأنَّ الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأنَّ الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى، ولأنَّ الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتلّ كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها،

---

(٤٣٤) انظر: النشر (١٦٨/٢). وراجع بيان معنى القراءتين عند تفسير الآية ٦٩ من سورة الإسراء ص٧٦.

(٤٣٥) تفسير القرطبي (مجلد ١ج٢ ص٥٩٥).

(٤٣٦) البحر المحيط (١٢٦/٦).

ولأنَّ الماء إذا كان بقدر كان نافعاً مُنبِتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: (قد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً وقنَّعه الله بما آتاه)[٤٣٧] فأصبح النبات متكسراً من اليبس مُتفتتاً، بانقطاع الماء عنه، تفرقه الرياح تذهب به وتجيء». اهـ[٤٣٨].

ويقول سيد قطب في هذه الآية: «هذا المشهد يُعْرَضُ قصيراً خاطفاً ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال؛ فالماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل؛ ولكن يختلط به نبات الأرض، والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنه يصبح هشيماً تذروه الرياح، وما بين ثلاث جمل قصار ينتهي شريط الحياة، ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشاهد بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فـ ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فـ ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ فما أقصرها حياة! وما أهونها حياة!»[٤٣٩].

ثم أخبر ﷻ عن اقتداره على كل شيء.

يقول ابن عاشور: «وجملة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ جملة معترضة في آخر الكلام، موقعها التذكير بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها، وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب. وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي في قوله ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وهو بذلك العموم أشبه التذييل. والمقتدر: القوي القدرة»[٤٤٠].

(٤٣٧) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر والقناعة، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن عبدالله بن عمرو بن العاص (انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٧/١٤٥)).

(٤٣٨) انظر: تفسير القرطبي (٥/٧٣٢) ببعض التصرف.

(٤٣٩) في ظلال القرآن (٤/٢٢٧١ ـ ٢٢٧٢).

(٤٤٠) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٣٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قراءة **(الرِّياح)** بيّنت أن ما تحمله الريح من النبات اليابس المتكسر لا تسير به وتقذفه في اتجاه واحد؛ وإنما تقذفه في الهواء في اتجاهات مختلفة. وكذلك الحياة الدنيا بما فيها من متع متعددة فمهما استمتع بها الإنسان، وظن طول الأمد فيها؛ فإن آخرتها إلى الزوال، لأن كل ما في الدنيا من بهجة ومتع يتقلص ويزول نفعه ثم ينقرض أشتاتاً.

وعلى ذلك فقراءة الرياح جاءت مبينة لقراءة الريح.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر **(تُسَيَّرُ الجبالُ)** بالتاء وضمها وفتح الياء ورفع (الجبال).

٢. قرأ الباقون **(نُسَيِّرُ الْجِبَالَ)** بالنون وضمها وكسر الياء ونصب (الجبال)(٤٤١).

اللغة والبيان:

السير: المضي في الأرض، يقال: سرت، وسرت بفلان، وسيرته على التكثير، والتسيير ضربان: **أحدهما:** بالأمر، والاختيار، والإرادة من السائر نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ [يونس: ٢٢]، **والثاني:** بالقهر والتسخير كتسخير الجبال ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ٣]، وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ: ٢٠](٤٤٢).

قراءة **(تُسَيَّرُ الجبالُ)** على بناء الفعل للمفعول، والجبال نائب فاعل، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ٢٠]، وقوله ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ٣].

---

(٤٤١) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٤٤٢) انظر: مفردات الراغب (ص٢٨٣) مادة: سير.

وقراءة (نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) على أنّه إخبار عن الله من الله ﷻ عن نفسه، والجبال: مفعول به، وهو محمول على ما بعده من الإخبار في قوله: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، فجرى صدر الكلام على آخره(٤٤٣).

التفسير:

بعد أن بيَّن الله تعالى خساسة الدنيا وزوالها. وشرف القيامة ودوامها، وأنّ التفاخر ليس بالأموال. بل بالعمل الصالح، أردفه بأحوال القيامة، وما فيها من أخطار وأهوال، وتغير معالم الأرض والحشر(٤٤٤).

يقول السعدي: «يخبر تعالى عن حال يوم القيامة، وما فيه من الأهوال المقلقة، والشدائد المزعجة فقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ أي: يزيلها عن أماكنها، يجعلها كثيباً، ثم يجعلها كالعهن المنفوش، ثم تضمحل وتتلاشى، وتكون هباءً منبثاً، وتبرز الأرض، فتصير قاعاً صفصفاً، لا عوج فيه ولا أمتاً، ويحشر الله جميع الخلق، على تلك الأرض، فلا يغادر منهم أحداً، بل يجمع الأولين والآخرين، من بطون الفلوات، وفغور البحار، ويجمعهم بعدما تفرقوا، ويعيدهم بعد ما تمزقوا، خلقاً جديداً»(٤٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

كلتا القراءتين أفادت أن الله ﷻ هو المتصرف في يوم القيامة، وأُسند الفعل إلى الله بنون العظمة؛ بيان لعظم الفاعل، فهو فاعل كل الأفاعيل ومحدثها ومدبرها، وفي ذلك مزيد من التهديد للكافرين، فالقادر على فعل هذه الأمور العظام أيعجزه أن يبعثهم وينزل بهم عقابه؟!، أما بناء الفعل للمفعول فهو (جرياً على سنن الكبرياء لله ﷻ، وإيذاناً بالاستغناء عن الإسناد إلى الفاعل لتعينه؛ فلا أحد يستطيع القيام بهذا الأمر العظيم إلا إياه

(٤٤٣) انظر: الكشف (٢/٦٤)، حجة القراءات (ص٤١٩)، الفريد (٣/٣٤٤).

(٤٤٤) التفسير المنير (١٥/٢٦٤).

(٤٤٥) تفسير السعدي (ص٤٧٩).

ﷺ[٤٤٦]، وفيه بيان لأهمية هذا اليوم وعظمته، وعظم ما يحدث فيه من أحداث.

يقول محمد عمر بازمول: «ويتلخص مما سبق أن البيان القرآني عندما يستغني عن الفاعل ويبني الفعل إلى ما لم يسم فاعله فإنه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به، بل لأن العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، سواء عرف لنا الفاعل أم لم يعرف...حيث وجدنا القرآن يبني الفعل إلى ما لم يسم فاعله في قراءة، وينبه إلى الفاعل في قراءة أخرى مما يفيد أن المقصود التنبيه على ذكر وقوع الفعل بغض النظر عن العلم بالفاعل أو الخوف منه أو عليه»[٤٤٧].

وفي تعظيم الفعل والفاعل دليل على كمال قدرة الله وعظمته.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو والكسائي بخلفه بالوقف على (ما) من **(مال هذا)**.

٢. قرأ الباقون بالوقف على **(اللام)** من **(مال هذا)** دون (ما)[٤٤٨].

البيان:

(مال هذا الكتاب): (ما) اسم استفهام مبتدأ، و(لهذا) خبره، (الكتاب) بدل، وجملة (لا يغادر): حالية[٤٤٩]. أي: أي شيء ثبت لهذا الكتاب حال

---

(٤٤٦) انظر: روح المعاني (٢٨٨/١٥).

(٤٤٧) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٨٣٣/٢).

(٤٤٨) انظر: النشر (١٠٩/٢ ـ ١١٠)، الإتحاف (ص٣٦٧).

(٤٤٩) إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش (٦١٧/٥).

كونه لا يغادر[٤٥٠]. والاستفهام مستعمل في التعجب[٤٥١]. ولام الجر رسمت مفصولة في الرسم العثماني إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة[٤٥٢].

التفسير:

يقول الرازي: «والمراد أنه يوضع في هذا اليوم - يوم القيامة - كتاب كل إنسان في يده إما في اليمين أو في الشمال، والمراد الجنس وهو صحف الأعمال، وترى المجرمين خائفين مما في الكتاب من أعمالهم الخبيثة، وخائفين من ظهور ذلك لأهل الموقف فيفتضحون، وبالجملة يحصل لهم خوف العقاب من الحق، وخوف الفضيحة عند الخلق، ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾، ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ وهي عبارة عن الإحاطة، بمعنى لا يترك شيئاً من المعاصي سواء أكانت صغيرة أم كبيرة إلا وهي مذكورة في هذا الكتاب، ونظيره قوله تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وإدخال تاء التأنيث في الصغيرة والكبيرة على تقدير أن المراد الفعلة الصغيرة والكبيرة ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ إلا ضبطها وحصرها، وقال بعض العلماء: ضجوا من الصغائر قبل الكبائر. لأن تلك الصغائر هي التي جرتهم إلى الكبائر، فاحترزوا من الصغائر جداً، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾ في الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: لا يكتب عليه ما لم يفعل، ولا يزيد في عقابه المستحق، ولا يعذب أحداً بجرم غيره»[٤٥٣].

---

(٤٥٠) حاشية الجمل على الجلالين المسماة (الفتوحات الإلهية) : سليمان الجمل (٢٩/٣).

(٤٥١) انظر: التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٣٨).

(٤٥٢) انظر: نظم الدرر (٤٧٤/٤). وفيها (بعض الكتب) بدل (بعض الكلمة). وهو تصحيف من الطابع؛ لأنه ورد في الألوسي وفي القاسمي نقلاً عن البقاعي: (بعض الكلمة). انظر: روح المعاني (٢٩١/١٥)، محاسن التأويل (٤٠٦٩/١٠).

(٤٥٣) انظر: التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٣٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الوقف على **(اللام)**: أنَّ الكافرين صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب حين رأوا صحائف أعمالهم ودقتها في الإحصاء عليهم يقفون على بعض الكلمة فلا يكملونها.

وأفادت قراءة الوقف على **(ما)** من **(مال هذا)**: أنَّ شدة المفاجأة وهول الرعب الذي أصاب الكافرين؛ قد ألجم ألسنتهم عن التعبير والتساؤل عما رأوا وشاهدوا من هذا الإحصاء الدقيق، فلم يستطع الواحد منهم النطق وتلعثم لسانه، فيقف على كل حرف فيخرجه بشق بالغ. وعلى ذلك فهذه القراءة كانت أكثر دقة في تصوير حال الكافرين.

الجمع بين القراءتين:

لقد استطاع الرسم العثماني من خلال فصل اللام عن الهاء فقط في كتابة الاستفهام؛ التعبير عن حالة الكافرين؛ حال رؤية الإحصاء الدقيق في صحائفهم لأعمالهم التي اقترفوها في حياتهم الدنيا، فما بالنا إذا أُضيف إلى ذلك قراءتان متواترتان في قراءة هذا الاستفهام، فلا بد أن تضيفا تصويراً أكثر دقة وعمقاً لحالة أولئك الكافرين؛ فقد صورت القراءتان مدى الرعب والكرب الذي أصابهم حتى إنّ الكافر حين يرى الإحصاء الدقيق عليه يضيق صدره ويُلجم لسانه فلا يستطيع النطق إلا بشق بالغ فيقف على كل حرف ينطقه وهو يتساءل متعجباً جزعاً.

إنْ هذا إلا دليل على إعجاز القرآن في تنوع قراءاته ورسمه أيضاً.

فلو اجتمعت كل أقلام الأدباء في التعبير عن هذه الحالة ما استطاعت أن تصفها هذا الوصف الدقيق بهذه البلاغة المطلقة والإيجاز الشديد.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر بخلف عن ابن وردان بضم التاء حالة وصل الملائكة باسجدوا، أما الوجه الثاني لابن وردان فهو الإشمام في كسرة التاء بضمها.

٢. قرأ الباقون بكسر التاء كسرة خالصة[٤٥٤].

التفسير:

بعد أن ذكر سبحانه رده على أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بأموالهم وأعوانهم، قضى على ذلك بذكر عصيان إبليس لأمره تعالى بالسجود لآدم، لأن الذي حداه إلى ذلك هو كبره وافتخاره عليه بأصله[٤٥٥].

يقول أبو السعود: اذكر لهم يا محمد وقت قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم، فسجدوا جميعاً امتثالاً بالأمر إلا إبليس فإنه لم يسجد بل أبى واستكبر؛ لأن كان أصله جنياً، فخرج عن طاعته كما ينبىء عنه الفاء، أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر الله تعالى؛ إذ لولاه لما أبى، والتعرض لوصف الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله، والمراد بتذكير قصته: تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بأنسابهم، وأموالهم، المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان أن ذلك من صنيع إبليس، وأنهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبىء عنه قوله تعالى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ الخ، فإنَّ الهمزة للإنكار والتعجيب، والفاء للتعقيب، أي: أعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وأولاده وأتباعه أولياء فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي؟! والحال أنَّ إبليس وذريته أعداء لكم!، وتقيد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الإنكار وتشديده، فإن مضمونها

---

(٤٥٤) انظر: النشر (١٥٨/٢). وقد سبق بيان معنى القراءتين عند تفسير الآية ٦١ من سورة الإسراء. فانظره (ص٦٨).

(٤٥٥) انظر: تفسير كشك (٢٢٧١/١٣) باختصار.

مانع من وقوع الاتخاذ ومنافٍ له قطعاً، فبئس للواضعين للشيء في غير موضعه بدلاً من الله ﷻ إبليس وذريته، وفي الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير؛ من الإيذان بكمال السخط، والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى. اهـ(٤٥٦)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الضم (للملائكةُ اسجدوا) أن أمر الله للملائكة بالسجود هو أمر عظيم وثقيل؛ لأنهم أُمِروا بالسجود لمخلوق من مخلوقات الله، ورغم ذلك استجابت الملائكة لهذا الأمر فوراً، ولكن إبليس ثَقُلَ عليه الأمر واستكبر، وتملكه الحسد والكبر فلم يستجب لأمر الله، لأنه لم يكن من جنس الملائكة فينقاد لأمر الله؛ بل كان من جنس الجن، فخرج عن طاعة الله، وخرج من زمرة الملائكة، لذلك ناسب المجيء بالضمة لأن الخروج من طاعة الله ومن زمرة الملائكة أمر شديد وثقيل، وآثاره عظيمة وفظيعة.

وأفادت قراءة (للملائكةِ اسجدوا) سهولة انقياد الملائكة لأوامر الله دون سؤال أو استفسار أو تردد، فناسب قراءة الكسر الطاعة المباشرة والفورية للملائكة دون أدنى تردد؛ ومما دل على ذلك قوله: (فسجدوا) فالفاء تفيد السرعة مع التعقيب والترتيب. كما أفادت أن إبليس اللعين قد هان عليه الأمر بعصيان أوامر الله، فعصاه ولم يلتزم أمره.

الجمع بين القراءتين:

بيّنت القراءتان أنّ الملائكة قد أطاعوا أمر الله بالسجود لآدم عليه السلام فوراً دون تردد، إلا أنَّ إبليس اللعين سَهُلَ عليه أمر عصيان أمر الله فلم يسجد على رغم علمه بفظاعة عدم طاعته وشدة عصيان أوامره، فطُرد من رحمة الله، وفي ذلك إيذان للكافرين الذين اتبعوا الشهوات واتبعوا خطا إبليس اللعين مدى السخط الذي لحقهم بهذا الاتباع والإشارة إلى أن ما

---

(٤٥٦) انظر: تفسير أبي السعود (٢٥٥/٣) بتصرف.

فعلوه ظلم قبيح على رغم سهولة اتباع الحق لأن اتباع الرسول اتباع له ومنجاة لهم من غضب الله.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف: ٥١].

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر **(ما أَشهدناهم)** بالنون والألف على الجمع للعظمة.

٢. قرأ الباقون **(ما أَشهدتُّهم)** بالتاء مضمومة من غير ألف على ضمير المتكلم.

٣. قرأ أبو جعفر **(وما كنتَ)** بفتح التاء.

٤. قرأ الباقون **(وما كنتُ)** بضم التاء(٤٥٧).

اللغة والبيان:

قال الراغب: الشهود والشهادة: الحضور مع المشاهدة؛ إما بالبصر، أو بالبصيرة، وقوله: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: ما جعلتهم ممن اطلعوا ببصيرتهم على خلقها(٤٥٨).

وقال ابن عاشور: «والإشهاد: جعل الغير شاهداً، أي: حاضراً، وهو كناية عن إحضار خاص، وهو إحضار المشاركة في العمل أو الإعانة عليه. ونفي هذا الشهود يستلزم نفي المشاركة في الخلق والإلهية بالفحوى، أي: بالأوْلى»(٤٥٩).

قراءة (ما أشهدتُهم) على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وهو الله ﷻ، وقد جاء ذلك مطابقاً لقوله تعالى من قبل ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ

(٤٥٧) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٤٥٨) انظر: مفردات الراغب (ص ٣٠٠ ـ ٣٠١) مادة: شهد.

(٤٥٩) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٤٢).

مِن دُونِي﴾ [الكهف: ٥٠].

وقراءة (ما أشهدناهم) على الجمع على العظمة، جرياً على نسق ما قبله في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [الكهف: ٥٠][٤٦٠].

أما قراءة (وما كنتَ) بفتح التاء، فهو على الالتفات من التكلم إلى الخطاب، إذ سياق الآية يقتضي التكلم، وهو خطاب للنبي ﷺ والمقصود: إعلام أمته أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته لم يعتضد بمضل، ولم يتخذه عوناً له على نجاح دعوته.

وقراءة (وما كنتُ) بضم التاء، إخباراً من الله تعالى عن ذاته المقدسة بأنه ﷻ ليس في حاجة إلى أحد[٤٦١].

التفسير:

بعدما بيَّن ﷻ عصيان إبليس لأمر الله له بالسجود لآدم عليه السلام، وتقريعه لأولئك الكافرين الذين استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم. أتبع ذلك بتحقير شأن إبليس وجنوده ومن اتبعهم من الكافرين. وافتخر سبحانه أنه لم يستشر أحداً من العابدين والمعبودين؛ لأنه غني عن العالمين.

يقول ابن كثير: «يقول تعالى: هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم، لا يملكون شيئاً، ولا أشهدتهم خلقي للسماوات والأرض، ولا كانوا إذ ذاك موجودين؛ يقول تعالى: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها وحدي، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير ولا نظير، كما قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ...﴾ [سبأ:

(٤٦٠) انظر: المغني (٢/٣٧٣).

(٤٦١) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية (٢/١٤٤)، المستنير (١/٣١٧)، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٢/٥٩٧).

٢٢ - ٢٣] ولهذا قال ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، قال مالك: أعواناً»[٤٦٢].

ووضع الظاهر موضع المضمر؛ إذ المراد بـ(المضلين) مَن نفى عنهم إشهاد خلق السماوات، وإنما نبَّه بذلك على وصفهم القبيح[٤٦٣]. وذماً لهم، واستبعاداً للاعتضاد بهم[٤٦٤].

وقوله (ما أشهدتهم) أي: إبليس وذريته، أو ما أشهدت الملائكة فكيف يعبدونهم، أو ما أشهدت الكفار فكيف ينسبون إليّ ما لا يليق بجلالي، أو ما أشهدت جميع الخلق[٤٦٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ما أشهدتهم) و (وما كنتُ): أنه ﷻ لم يحضر أحداً من مخلوقاته للمشاركة في خلق السماوات والأرض أو الإعانة عليها لأنه ليس في حاجة إلى أحد من مخلوقاته. فكيف يعبدونهم من دونه.

يقول الطبرسي: «أي: ما أحضرت إبليس وذريته خلق السماوات والأرض، ولا خلق أنفسهم مستعيناً بهم على ذلك، ولا استعنت ببعضهم على خلق بعض، وهذا إخبار عن كمال قدرته واستغنائه عن الأنصار والأعوان، ويدل عليه قوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: الشياطين الذين يضلون الناس أعواناً يعضدونني عليه»[٤٦٦].

ويقول القاسمي: «بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، أي: وإذا لم يكونوا عضداً في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء في

(٤٦٢) تفسير ابن كثير (١٧٦/٥).

(٤٦٣) اللباب (٥١١/١٢)، الدر (٤٦٤/٤).

(٤٦٤) تفسير البيضاوي (٥٠٤/٣).

(٤٦٥) حاشية الجمل (٣٠/٣).

(٤٦٦) مجمع البيان (٣٣٣/٦).

العبادة؟ واستحقاق العبادة من توابع الخالقية. والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها. والخالقية منفية عن غيره تعالى، فينتفي لازمها وهو استحقاق عبادة ذلك الغير، وهم المضلون، فلا يكونون أرباباً»(٤٦٧).

وأفادت قراءة (ما أشهدناهم) و (وما كنتُ): زيادة في تعظيم ذاته المقدسة، وترفعه على خلقه، وتحقير لما يُعبد ويُتخذ أعواناً من دون الله وإن كثر عددهم أو تنوع جنسهم.

أما قراءة (وما كنتَ): نفى ﷻ عن الرسول ﷺ أن يتخذ المضلين أعواناً من دون الله على نجاح دعوته، وما ينبغي له ذلك. فالضمير في (أشهدتهم) و (المضلين) عائد على الكافرين الذين طلبوا من الرسول ﷺ طرد فقراء المسلمين.

يقول البيضاوي: «وقيل الضمير للمشركين، والمعنى: ما أشهدتهم خلق ذلك، وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت إلى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين، فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين لديني. ويعضده قراءة من قرأ (وما كنتَ) على خطاب الرسول ﷺ»(٤٦٨).

ويقول أبو حيان: «والذي أقوله أن المعنى إخبار من الله عن نبيه وخطاب منه تعالى له في انتفاء كينونته متخذ عضد من المضلين، بل هو مذ كان ووجد عليه السلام في غاية التبري منهم والبعد عنهم، لتعلم أمته أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مَالَ إليه ﷺ»(٤٦٩).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أنه ﷻ قد نفى عن ذاته الكريمة أن يكون قد أطلع أحداً من خلقه على خلق السموات والأرض أو خلق أنفسهم، أو

---

(٤٦٧) تفسير القاسمي (٤٠٧١/١١).

(٤٦٨) تفسير البيضاوي (٥٠٤/٣ ـ ٥٠٥).

(٤٦٩) البحر المحيط (١٣٠/٦).

أشركهم أو استعان بهم في ذلك؛ بل تفرد سبحانه في ذلك؛ لأنه وحده القادر على ذلك فكيف يشرك المخلوقين وهو خالقهم؟! وكيف يشركون به غيره ومعلوم أن استحقاق العبادة من توابع الخالقية؟ لذلك فلا ينبغي للرسول ﷺ أن يلتفت لقول المشركين من طرد فقراء المؤمنين طمعاً في نصرتهم للدين، لأن ذلك ليس من كينونته لأنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مال إليه.

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ [الكهف: ٥٢].

القراءات:

١. قرأ حمزة (**نقول**) بالنون.

٢. قرأ الباقون (**يقول**) بالياء[٤٧٠].

التفسير:

عاد سبحانه في هذه الآية إلى ترهيب الكافرين بأحوال القيامة، مقرعاً وموبخاً لهم على رءوس الأشهاد.

يقول البقاعي: «أي واذكر يوم يقول الله لهم تهكماً بهم: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ وبيّن أن الإضافة ليست على حقيقتها، بل هي توبيخ لهم فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركاء، ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ تمادياً في الجهل والضلال، ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ أي: لم يطلبوا ويريدوا أن يجيبوهم إعراضاً عنهم استهانة بهم، واشتغالاً بأنفسهم، فضلاً عن أن يعينوهم، ولما كانوا في غاية الاستبعاد لأن يحال بينهم وبين معبوداتهم، قال في مظهر العظمة: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ أي: المشركين والشركاء ﴿مَّوْبِقًا﴾ أي: هلاكاً أو موضع هلاك، فاصلاً حائلاً بينهم، مهلكاً قوياً عميقاً ثابتاً حفيظاً، لا يشذ عنه منهم أحد، وإنما فسرته بذلك لأنه مثل قوله تعالى ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٢٨]

(٤٧٠) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

أي: بالقلوب، أي: جعلنا ما كان بينهم من الوصلة عداوة، ومثل قوله تعالى ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ﴾ [النحل: ٨٦] ونحوه لأن معنى ذلك كله أنه يبدل ما كان بينهم من الود في الدنيا والوصلة ببغض وقطيعة كما قال تعالى ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] وأن كل فريق يطلب للآخر الهلاك، فاقتضى ذلك اجتماع الكل فيه»[٤٧١].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قراءة (**نقول**) بالنون؛ على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه بالقول، لمناسبة الإخبار في قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾.

وقراءة (**يقول**) بالياء؛ التفات من التكلم إلى الغيبة، أي: واذكر يا محمد يوم يقول نادوا شركائي. ولم يقل: شركاءنا[٤٧٢] وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم وتقريعاً[٤٧٣].

والالتفات من التكلم إلى الغيبة؛ إعراضاً عن أولياء إبليس، وتحقيراً لشأنهم، إذ ليسوا أملاً لكلام الله تعالى لهم[٤٧٤].

٢٥ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٥].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (**قِبَلاً**) بكسر القاف وفتح الباء.

---

(٤٧١) نظم الدرر (٤٧٧/٤).

(٤٧٢) انظر: الكشف (٦٥/٢)، حجة القراءات (ص٤٢٠)، المغني (٣٧٥/٢).

(٤٧٣) الفريد (٣٤٩/٣).

(٤٧٤) القراءات وأثرها في علوم العربية (١٤٣/٢).

٢. قرأ الباقون (قُبُلاً) بضم القاف والباء[٤٧٥].

اللغة والبيان:

قراءة (قِبَلاً) بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: عِياناً مواجهة، أي: أن يأتيهم العذاب مقابلة يرونه.

أما قراءة (قُبُلاً) بضم القاف والباء؛ جمع قبيل، مثل: سبيل وسُبُل، على معنى: أو يأتيهم العذاب صنفاً صنفاً، أي: أنواعاً من العذاب. ويجوز أن يكون هذا العذاب صنفاً واحداً، ويكون معناه: يأتيهم شيء بعد شيء، وكله صنف واحد.

وقال الزجاج: (قُبُلا) بمعنى: من قبل. وفي التنزيل ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف: ٢٦] أي: من قبل وجهه[٤٧٦]. وقال مجاهد: فجأة[٤٧٧].

التفسير:

الآية تعجيب من حال المشركين الذين منعوا أنفسهم من الإيمان بالله وقد جاءهم محمد ﷺ بالهدى من عند الله، فكان أولى بهم أن يؤمنوا ويستغفروا الله من قبل أن يأتيهم العذاب كما طلبوه فجأة يرونه بأعينهم كسنة الله في مثلهم.

يقول د. وهبة الزحيلي: «أي: وما منع المشركين من أهل مكة من الإيمان بالله، حين شاهدوا البيّنات والأدلة الواضحة على وجود الله وتوحيده، واستغفار ربهم والتوبة إليه من ذنوبهم إلا طلبهم أحد أمرين: إما

---

(٤٧٥) انظر: النشر (٢/٢٣٤).

(٤٧٦) انظر: الكشف (٢/٦٤)، حجة القراءات (ص٤٢٠)، معاني الزجاج (٣/٢٩٧)، معاني الفراء (٢/١٤٧)، الحجة للقراء (٥/١٥٣)، مشكل إعراب القرآن (ص٤٤٤).

(٤٧٧) تفسير مجاهد (١/٣٧٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (مجلد ٨ج١٥ ص١٧٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٠٧) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. وذكره الخازن في تفسيره (٤/٢١٩) ولم ينسبه.

أن تأتيهم سنة الأولين القدماء من إحاطة العذاب بهم وإبادتهم، وهو عذاب الاستئصال، كما قال جماعة لنبيّهم: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] وقالت قريش: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وإما أن يروا العذاب عياناً مواجهة ومقابلة، والمعنى أنهم لا يقدمون على الإيمان إلا عند نزول عذاب الاستئصال فيهلكوا، أو أن يتواصل أنواع العذاب والبلاء حال بقائهم في الحياة الدنيا»[٤٧٨].

ويقول ابن الجوزي: «فإن قيل إذا كان المراد بسنة الأولين العذاب، فما فائدة التكرار بقوله أو يأتيهم العذاب؟ فالجواب أن سنة الأولين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يتراخى وقته وتختلف أنواعه، وإتيان العذاب قبلاً أفاد القتل يوم بدر، قال مقاتل سنة الأولين عذاب الأمم السالفة، (أو يأتيهم العذاب قبلاً) أي: عياناً قتلاً بالسيف يوم بدر»[٤٧٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (قُبُلاً): أنّ ما منع المشركين من أهل مكة من الإيمان بالله، حين شاهدوا الأدلة الواضحة على وجود الله وتوحيده، واستغفار ربهم والتوبة إليه من ذنوبهم إلا عنادهم واستكبارهم، فطلبوا عذاب الاستئصال جرياً على سنن مَن كان قبلهم من الكافرين، أو أن يأتيهم عذاب الله فجأة متواصلاً صنفاً بعد صنف وشيئاً بعد شيء. كقول قوم شعيب لنبيّهم ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الشعراء: ١٨٧]. وأكثر العلماء على هذا الوجه من التفسير.

ووجه آخر في تفسير الآية:

ما منع الناس من الإيمان والاستغفار، بعدما شاهدوا البيّنات والأدلة

---

(٤٧٨) التفسير المنير (١٥/ ٢٨٠).

(٤٧٩) زاد المسير (٥/١٥٨).

الواضحة على وجود الله وتوحيده، إلا ما سبق في علم الله من أنهم لا يؤمنون، بل يستمرون على كفرهم حتى تأتيهم سنة الله في إهلاكهم بالعذاب المستأصل، أو يأتيهم العذاب فجأة متواصلاً نوعاً بعد نوع وشيئاً بعد شيء، كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٦ ـ ٩٧][٤٨٠].

أما قراءة (قِبَلاً) فتفيد: أن العذاب الذي ينتظرونه سيأتيهم من أمامهم وهم ينظرون إليه عياناً، فيشتد عليهم هول مشاهدته.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن العذاب الذي طلبه الكافرون وقدره الله لهم عقاباً على كفرهم كونه: يأتيهم فجأة من أمامهم وهم ينظرون إليه أنواعاً وألواناً متتابعاً صنفاً صنفاً شيئاً فشيئاً. وذلك ليكون أشد نكاية بهم نتيجة لكفرهم ومعاندتهم لربهم.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾﴾ [الكهف: ٥٦].

القراءات:

١. قرأ حفص (هُزُواً) بإبدال الهمزة واواً للتخفيف مع ضم الزاي وصلاً ووقفاً.

٢. قرأ حمزة (هُزْءاً) بالهمزة على الأصل، مع إسكان الزاي وصلاً فقط، ويقف عليها بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها هكذا (هُزَا)، وبإبدال الهمزة واواً على الرسم هكذا (هُزْوا).

٣. قرأ خلف العاشر (هُزْءاً) بالهمزة مع إسكان الزاي وصلاً ووقفاً.

---

(٤٨٠) تنبيه: استفادت الباحثة في بيان هذين الوجهين من تفسير أضواء البيان. انظر: (٤٠٥/٢ ـ ٤٠٦).

٤. قرأ الباقون (هُزُؤاً) بالهمزة مع ضم الزاي وصلاً ووقفاً[٤٨١].

اللغة والبيان:

هزأ: الهاء، والزاي، والهمزة، كلمةٌ واحدة: يُقال: هَزِىءَ وَاستهزَأَ، إذا سَخِرَ[٤٨٢].

والهُزْءُ والهُزُؤُ: السُّخْرِيةُ[٤٨٣]. وقال الماوردي: ويحتمل قوله (هزواً) وجهين: **أحدهما**: لعباً، **الثاني**: باطلا[٤٨٤]. أو هو: موضع استهزاء[٤٨٥].

ووجه الضم في الزاي أنه جاء على الأصل، ووجه الإسكان للتخفيف؛ لأن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم فيه لغتان: الضم، والإسكان، ومثله من الجموع ما كان على وزن فعل[٤٨٦]. وجاء في روح المعاني: قراءة (هُزُؤاً) بضمتين مهموزاً؛ مصدر وصف به للمبالغة، وقد يؤول بما يستهزأ به[٤٨٧].

التفسير:

ولما كان مجيء العذاب الذي طلبه الكافرون أو حُذروا به؛ بيد الله ﷻ وليس بيد الرسول ﷺ أعقب ذلك ببيان مهمة الرسل وموقف الكافرين منهم.

يقول البقاعي: «ولما كان ذلك ليس إلى الرسول، إنما هو إلى الإله،

(٤٨١) انظر: النشر (١٦٢/٢)، الإتحاف (ص١٨١)، الميسر (ص٣٠٠)، المغني (١٤٢/١) في موضع الآية ٦٧ من سورة البقرة.

(٤٨٢) معجم المقاييس (ص ١٠٧٠).

(٤٨٣) اللسان (٤٦٥٩/٦) مادة: هزأ.

(٤٨٤) تفسير الماوردي (٣١٩/٣).

(٤٨٥) تفسير النيسابوري (مجلد ٨ج١٥ ص١٨١).

(٤٨٦) انظر: المغني (١٤٢/١) في موضع الآية ٦٧ من سورة البقرة.

(٤٨٧) انظر: تفسير الألوسي (٣٠٣/١٥).

بيّنه بقوله تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ﴾ على ما لنا من العظمة التي لا أمر لأحد معنا فيها ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بالخير على أفعال الطاعة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالشر على أفعال المعصية، فيطلب منهم الظالمون من أممهم ما ليس إليهم من فصل الأمر ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: يجددون الجدال كلما أتاهم أمر من قبلنا ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ من قولهم: لو كنتم صادقين لأتيتم بما نطلب منكم، مع أن ذلك ليس كذلك لأنه ليس لأحد غير الله من الأمر شيء ﴿لِيُدْحِضُواْ﴾ أي: ليزلقوا فيزيلوا ويبطلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ الثابت من المعجزات المثبته لصدقهم، ولما كان لكل مقام مقال، ولكل مقال حد وحال، فأتى في الجدال بصيغة الاستقبال، وكان اتخاذ الاستهزاء أمراً واحداً، أتى به ماضياً فقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ﴾ أي: كلفوا أنفسهم أن أخذوا ﴿ءَايَٰتِي﴾ بالبشارات التي هي المقصودة بالذات لكل ذي روح ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ من آياتي، بني للمفعول؛ لأن الفاعل معروف، والمخيف الإنذار، ﴿هُزُوًا﴾ مع ما بعدهما جداً عن ذلك، فلا بالرغبة أطاعوا، ولا للرهبة ارتاعوا، فكانوا شراً من البهائم»[488].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (هُزُواً): استمرار الكافرين بالسخرية من آيات الله التي أنزلها، وبخاصة من الآيات التي نزلت تحذرهم من العذاب. وهذه الاستمرارية استمرارية على مدى العصور، أي أن الكفر ملة واحدة. وذلك لأن صيغة (فُعُلا) تفيد الاستمرارية؛ حيث إن توالي الحركات يفيد ذلك، مع إفادة كثرة هذا الاستهزاء، وذلك لأن العرب[489] جعلت الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه.

وأفادت قراءة (هُزْءاً): أن الكافرين اتخذوا آيات الله موضعاً للاستهزاء. لما يفيده السكون من الاستقرار.

أما قراءة (هُزُؤاً) فأفادت المعاني السابقة جميعاً لجمعها بين ثقل الضمة

(٤٨٨) نظم الدرر (٤٨٢/٤).

(٤٨٩) انظر: معاني الأبنية في العربية (ص١٠٢).

وتواليها، وشدة الهمزة وثقلها، وما يفيده السكون من الثبات والاستقرار. لذلك فقد بيّنت أن الكافرين على مدى العصور قد جعلوا آيات الله موضعاً لسخريتهم الشديدة ولعبهم في كل مجالسهم.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الكافرين كان ديدنهم على مر العصور كلما جاءهم رسول من عند الله جعلوا آيات الله موضعاً لسخريتهم الثقيلة الشديدة ومحطاً للعبهم واستهزائهم. وفي هذا دليل على مدى كفرهم وعتوهم، واستكبارهم ونفورهم من طاعة الله، وجحودهم لفضل الله عليهم بأن أرسل عليهم من يرشدهم إلى طريق الحق.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩].

القراءات:

١. قرأ شعبة (لِمَهْلَكِهم) بفتح الميم واللام التي بعد الهاء.

٢. قرأ حفص (لِمَهْلِكِهم) بفتح الميم وكسر اللام.

٣. قرأ الباقون (لِمُهْلَكِهم) بضم الميم وفتح اللام[٤٩٠].

اللغة والبيان:

الهلاك: بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسا، ويقال للعذاب والخوف والفقر: الهلاك[٤٩١]. قراءة (لِمَهْلَكِهم) بفتح الميم واللام؛ مصدر ميمي قياسي من (هَلَكَ يهلَك مهلَكاً)، أي: وجعلنا لهلاكهم موعداً.

وقراءة (لِمَهْلِكِهم) بفتح الميم وكسر اللام؛ مصدر ميمي سماعي، أو اسم زمان على معنى (هَلَكَ يَهْلِك) أي: وقتاً لهلاكهم، أو اسم مكان، أي:

---

(٤٩٠) انظر: النشر (٢/٢٣٤).

(٤٩١) انظر: مفردات الراغب (ص ٥٧٧) مادة: هلك.

موضعاً لذلك الهلاك، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف: ٨٦]، أي: الموضع الذي تغرب فيه.

وقراءة (لِمُهْلَكِهِم) بضم الميم وفتح اللام؛ مصدر ميمي قياسي من (أهلَكَ) الرباعي مضاف إلى المفعول به، أي: أهلكهم الله مُهلَكاً، أي: إهلاكاً. على معنى: وجعلنا لإهلاكنا إياهم موعداً لا يتجاوزونه. أو اسم زمان، أي: لوقت إهلاكنا إياهم. فكل فعل ماض على أفعل فالمصدر منه مُفْعَل، أو إفعال، واسم الزمان منه مُفْعَل، وكذلك اسم المكان(٤٩٢).

التفسير:

لما كانت سنة الله في القرون الماضية والأمم الخالية من الكافرين الإهلاك؛ أعقب ذلك ببيان علة الإهلاك تعريضاً بالمشركين الذين ظنوا أنهم قد أفلتوا من العذاب لتأخره عليهم.

يقول ابن كثير: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ أي: الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم ﴿وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا﴾ أي: جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين، لا يزيد ولا ينقص، أي: وكذلك أنتم أيها المشركون احذروا أن يصيبكم ما أصابهم، فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي، ولستم بأعز علينا منهم، فخافوا عذابي ونذر»(٤٩٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لِمَهْلَكِهِم) بفتح الميم واللام: أن الله قد جعل لهلاك الكافرين موعداً لن يُخلفه. وعليه فهذه القراءة بيّنت تحقق الإهلاك للكافرين وتعجيله لهم.

وأفادت قراءة (لِمَهْلِكِهِم) بفتح الميم وكسر اللام: أن الله قد جعل

---

(٤٩٢) انظر: معاني الزجاج (٣/٢٩٧)، الفريد (٣/٣٥٢)، الحجة في القراءات (ص١٣٤)، الكشف (٢/٦٥ ـ ٦٦).

(٤٩٣) تفسير ابن كثير (٥/١٨٠).

وقتاً لهلاك الكافرين، ومكاناً لذلك الإهلاك. وعليه فهذه القراءة بيّنت ضرب وقت ومكان معينين لهذا الإهلاك.

أما قراءة (**لِمُهْلَكِهم**) بضم الميم وفتح اللام فأفادت: أن الله قد جعل وقتاً ومدة معلومة، ومكاناً محدداً لإهلاك الكافرين لن يخلفه. وعليه فهذه القراءة بيّنت وقت الإهلاك المحدد والمحدود بمدته الزمنية المعلومة التي لا تزيد ولا تنقص، كما أنه بمكان محدد.

يقول البقاعي: «وجعلنا بما لنا من العظمة لإهلاكهم بالفعل وقتاً نحله بهم فيه، ومكاناً لم نخلفه، كما أنا جعلنا لهؤلاء موعداً في الدنيا بيوم بدر والفتح وحنين ونحو ذلك، وفي الآخرة لن نخلفه»[٤٩٤].

الجمع بين القراءات:

وبهذا تكون كل قراءة قد بيّنت جانباً مما خفي من القراءة الأخرى من معلومات، وإن كانت قراءة (**لِمُهْلَكِهم**) قد جمعت المعاني جميعاً. لأنها احتملت: المصدر، واسم المكان، واسم الزمان. وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه في إيجازه وتنوع بيانه.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣].

القراءات:

١. قرأ حفص (**أَنسَانِيهُ**) بضم هاء الكناية.

٢. قرأ الباقون (**أنسانيهِ**) بكسر هاء الكناية[٤٩٥].

١. قرأ الكسائي (**أنسانيهِ**) بإمالة الألف.

---

(٤٩٤) نظم الدرر (٤/٤٨٥).

(٤٩٥) انظر: النشر (١/٢٤٠).

٢. قرأ ابن كثير (**أنسانيهي إلا**) بإثبات ياء في الوصل بعد الهاء[٤٩٦].

اللغة:

النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع؛ إما لضعف قلبه؛ وإما عن غفلة؛ وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره، يقال: نسيته نسياناً[٤٩٧].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن اعتذار يوشع لموسى عليه السلام عن نسيانه لذكر ما حدث للحوت عند الصخرة التي أويا إليها من أمور عجيبة.

يقول الصابوني: «قال الفتى يوشع بن نون حين طلب موسى عليه السلام منه الحوت للغداء أرأيت حين التجأنا إلى الصخرة التي نمت عندها ماذا حدث من الأمر العجيب؟ لقد خرج الحوت من المِكْتَل، ودخل البحر، وأصبح عليه مثل الكوة، وقد نسيت أن أذكر لك ذلك حين استيقظت، وقد أنساني الشيطان أن أخبرك عن قصته الغريبة، واتخذ الحوت طريقه في البحر، وكان أمره عجباً، يتعجب الفتى من أمره؛ لأنه كان حوتاً مشوياً فدبت فيه الحياة، ودخل البحر»[٤٩٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**أَنسَانِيهُ**) بضم هاء الكناية؛ قوة النسيان الذي تعرض له يوشع - فتى موسى عليه السلام - حيث إنَّه تذكَّر بعد أن سارا مسافة طويلة، وذلك حينما طلب منه موسى عليه السلام الطعام. ولأن الضمة من أقوى الحركات فناسب ذلك قوة النسيان. بالإضافة إلى ندرة النسيان في هذا الموطن؛ وذلك مناسبة لندرة استخدام الضمة في مثل هذا الموطن؛ حيث إن الحدث الذي رآه يوشع من بث الحياة في الحوت ودخوله البحر حدث

(٤٩٦) انظر: الإتحاف (ص٣٦٩).
(٤٩٧) مفردات الراغب (٥٤٦) مادة: نسي.
(٤٩٨) انظر: صفوة التفاسير (١٧٣/٢).

لا يمكن أن يُنسى[٤٩٩].

يقول الألوسي: «وضم حفص الهاء في (أنسانيه) وهو قليل في مثل هذا التركيب؛ قلة النسيان في مثل هذه الواقعة... وفي إيثار أن والفعل على المصدر نوع مبالغة لا تخفى»[٥٠٠].

أما قراءة (**أنسانيهِ**) بكسر هاء الكناية؛ فأفادت استحياء يوشع من موسى عليه السلام بسبب هذا النسيان، ومن غلبة الشيطان الذي تسبب في هذا النسيان. لذلك ابتدأ بقوله (أرأيت) التي تفيد التعجيب، ونسبة التسبب في النسيان إلى الشيطان بقوله (وما أنسانيه إلا الشيطان). وفيه أيضاً بيان لاستحيائه بسبب قلة اهتمامه بالمحافظة على هذا التذكر.

يقول الزمخشري: «قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان»[٥٠١].

ويقول أبو السعود: «والحال وإن كانت غريبة لا يُعهد نسيانها لكنه لما تعوَّد بمشاهدة أمثالها عند موسى عليه السلام وألفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها»[٥٠٢].

وقراءة (**أنسانيهِ**) بإمالة الألف؛ أفادت شدة الاستحياء بسبب هذا النسيان. لما يوحيه كسر السين وإمالة الألف من انكسار، أما قراءة (**أنسانيهي إلا**) فأفادت طول مدة النسيان التي أعقبت الحدث؛ بدليل أنهما سارا مسافة طويلة، ولم يتذكر يوشع أمر الحوت إلا بعدما بلغ منهما الجوع مبلغاً، فطلب موسى عليه السلام منه أن يأتيه بالطعام، حينها تذكر.

---

(٤٩٩) انظر: بلاغة الكلمة (ص١١٨).

(٥٠٠) انظر: روح المعاني (٣١٨/١٥).

(٥٠١) الكشاف (٧٦/٣).

(٥٠٢) تفسير أبي السعود (٢٥٩/٣).

الجمع بين القراءات:

يظهر من خلال الجمع بين القراءات مدى استحياء يوشع من موسى عليه السلام، واعتذاره له بسبب شغل الشيطان له، وتعجيبه له مما وقع له من النسيان القوي الطويل لأمر الحوت ودخوله في الماء بعد أن دبت فيه الحياة على رغم أن هذا الأمر لا يُنسى لغرابته وندرته.

٢٩ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤].

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر والكسائي (**نبغي**) بإثبات الياء وصلاً.

٢. قرأ ابن كثير ويعقوب (**نبغي**) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣. قرأ الباقون (**نبغ**) بحذفها وصلاً ووقفاً تبعاً للرسم(٥٠٣).

اللغة والبيان:

نبغ: نَطْلُبُه(٥٠٤). أي: ما كنا نريد(٥٠٥).

قد تُحذف ياء المتكلم ويُجْتَزَأ عنها بالكسرة، وذلك لا يكون إلا لغرض، فإنه قد تُذكر الياء في مقام الإطالة والتفصيل، وتُحذف ويُجْتَزَأ عنها بالكسرة في مقام الإيجاز والاختصار، وقد تُحذف لغرض آخر يقتضيه المقام إضافة إلى ذلك(٥٠٦).

التفسير:

بعدما أخبر يوشع موسى عليه السلام بما كان منه من نسيان أمر الحوت واعتذر منه على هذا النسيان، فقال موسى لفتاه بأن ذلك المكان الذي

---

(٥٠٣) انظر: النشر (٢/٢٣٧).

(٥٠٤) كلمات القرآن (ص ١٨٠).

(٥٠٥) معاني الزجاج (٣/٣٠٠).

(٥٠٦) بلاغة الكلمة (ص٢٤).

فقدت فيه الحوت هو المكان الذي كنا نطلبه، فعادا يقصان أثرهما.

يقول الشوكاني: «قال موسى لفتاه: ذلك الذي ذكرت من فقد الحوت في ذلك الموضع هو الذي كنا نطلبه، فإن الرجل الذي نريده هو هناك، فرجعا على الطريق التي جاءا منها يقصان أثرهما لئلا يخطئا طريقهما»[٥٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**نبغي**) بإثبات الياء: أن انطلاق الحوت في البحر هو ما يطلبه موسى عليه السلام ومن أجل ذلك قطع الرحلة الطويلة.

وجاءت قراءة (**نبغ**) بحذف الياء لتبيّن أن انطلاق الحوت في البحر ليس هو ما يبغيه موسى عليه السلام على وجه الحقيقة؛ وإنما يبغي الشخص الذي يريد أن يتعلم منه وهو الخضر عليه السلام، والموجود في ذلك المكان الذي انطلق فيه الحوت، والذي كان علامة لإيجاده.

الجمع بين القراءتين:

جاءت قراءة الحذف مبيّنة لقراءة الإثبات، على خلاف القاعدة المشهورة عند أهل اللغة بأن زيادة المبنى زيادة في المعنى! فسبحان الذي أوجز فبيّن.

٣٠ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٦].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو ويعقوب (**رَشَداً**) بفتح الراء والشين.

٢. قرأ الباقون (**رُشْداً**) بضم الراء وإسكان الشين[٥٠٨].

١. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (**تعلمني**) بإثبات الياء وصلاً.

---

(٥٠٧) انظر: فتح القدير (٣/٣٧٥).

(٥٠٨) انظر: النشر (٢/٢٣٤).

٢. قرأ ابن كثير ويعقوب **(تعلمني)** بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣. قرأ الباقون **(تعلمن)** بحذف الياء وصلاً ووقفاً تبعاً للرسم[(٥٠٩)].

اللغة والبيان:

رشداً: صواباً. أو إصابة خير[(٥١٠)].

قراءة **(رَشَداً)** بفتح الراء والشين، معناه: الصلاح في الدين.

وقراءة **(رُشْداً)** بضم الراء وإسكان الشين، معناه: الصلاح في المال، وحد البلوغ. والدليل قوله تعالى ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] أي: صلاحاً[(٥١١)].

وقال أبو عمرو بن العلاء: (الرُشد) بالضم هو: الصلاح، وبالفتح هو: العلم[(٥١٢)].

وقال الراغب: وقال بعضهم: الرَّشَدُ أَخَصُّ مِنَ الرُّشْدِ، فإنّ الرُّشْدَ يُقالُ في الأمورِ الدُّنْيَوِيَةِ والأُخْرَوِيَّةِ، والرَّشَدُ يُقالُ في الأُمُورِ الأُخرَوِيَّةِ لا غَيرُ[(٥١٣)].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أدب موسى عليه السلام وهو يطلب العلم من الخضر بعد أن وجده عند مجمع البحرين.

يقول البقاعي: «قال له موسى طالباً منه على سبيل التأدب والتلطف بإظهار ذلك في قالب الاستئذان: هل أتبعك اتباعاً بليغاً حيث توجهت؛

---

(٥٠٩) انظر: النشر (٢/٢٣٧).

(٥١٠) كلمات القرآن (ص١٨٠).

(٥١١) انظر: الحجة في القراءات (ص١٣٤).

(٥١٢) انظر: المغني (٢/٣٧٩).

(٥١٣) مفردات الراغب (ص ٢٢١) مادة: رشد.

والاتباع: الإتيان لمثل فعل الغير لمجرد كونه آتياً به؛ وبيّن أنه لا يطلب منه غير العلم بقوله ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ وزاد في التلطف بالإشارة إلى أنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه فقال: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ وبناه للمفعول لعلم المخاطبين ـ لكونهم من الخلص ـ بأن الفاعل هو الله ﷻ، وللإشارة إلى سهولة كل أمر على الله ﷻ ﴿رَشَدًا﴾ أي علماً يرشدني إلى الصواب فيما أقصده، ولا نقص في تعلم نبي من نبي... وأتى عليه السلام في سؤاله له بهذه الأنواع من الآداب والإبلاغ في التواضع لما هو عليه من الرسوخ في العلم، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، فكان تعظيمه لأرباب العلوم أكمل»[٥١٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**رُشْداً**)؛ أن موسى عليه السلام طلب من الخضر أن يعلمه مما علمه الله علماً يسترشد به في أمر دينه ودنياه، أي: يكون فيه الصلاح في الدنيا والآخرة.

وأفادت قراءة (**رَشَداً**)؛ أن موسى عليه السلام طلب من الخضر أن يعلمه مما علمه الله علماً ذا رشد يسترشد به في أمر دينه، أي: فيه الصلاح في الدين.

وعلى ذلك فقراءة (**رَشَداً**) خصصت ما طلبه موسى عليه السلام من علم يبتغي تعلمه من العبد الصالح، وهو علم يكون فيه الصلاح في الدين.

ومما هو معروف ومنطقي أن أي علم يتعلمه الإنسان ابتغاء صلاح آخرته لا بد وأن يكون فيه صلاح دنياه، وعلى ذلك يمكن اعتبار أن القراءتين بمعنى واحد؛ وهو إصابة الخير أو الصلاح.

وأفادت قراءة (**تعلمني**) بإثبات الياء؛ حرص موسى عليه السلام على التعلم

---

(٥١٤) انظر: نظم الدرر (٤/٤٩١).

من علم العبد الصالح الذي هو من تعليم الله له، مزيداً من العلم ولو استغرق ذلك بعضاً من الوقت، وصبره على ذلك بدليل: أنَّ موسى عليه السلام لم يحدد مدة من الزمن يتعلم من خلالها، أو مقداراً من العلم يتعلمه من الخضر حينما طلب منه أن يعلمه، بل ترك أمر التعليم ومدته إلى الخضر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى حينما قال الخضر لموسى عليه السلام إنه لن يستطيع الصبر على ما سيرى أجابه عليه السلام بقوله ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا﴾.

وهذا يدلل على حرصه على التعلم ولو استغرق هذا الأمر زمناً من الوقت. كما فيه دليل على تواضع موسى عليه السلام واعترافه بحاجته إلى العلم؛ فإثبات الياء فيه مزيد من اعترافه بذلك، وإقراره على نفسه بالجهل في بعض الأمور، وعلى أستاذه بالعلم.

وأفادت قراءة **(تعلمن)** بحذف الياء؛ حرص موسى عليه السلام على التعلم فور التقائه بالخضر.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات؛ حرص موسى عليه السلام على سرعة ابتداء التعلم من الخضر علماً بقدر ما يستطيع، فيه الصلاح والإرشاد له في دينه ودنياه استجابة لأمر الله، وتواضعه لأستاذه واعترافه بالجهل في بعض الأمور، وصبره على هذا الأمر ـ التعلم ـ ولو استغرق مدة من الزمن.

٣١ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٧٠].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر **(تَسْأَلَنِّي)** بفتح اللام وتشديد النون.

٢. قرأ الباقون **(تَسْأَلْنِي)** بإسكان اللام وتخفيف النون.

٣. اتفق القراء العشرة على إثبات الياء بعد النون في الحالين ـ الوصل

والـوقـف ـ إلا ابـن ذكـوان فـقـرأ بـالإثـبـات والـحـذف فـي الـوصـل والوقف[٥١٥].

البيان:

قراءة (تَسْأَلَنِّي) بفتح اللام وتشديد النون؛ على أنَّ النون المشددة هنا هي نون التوكيد الثقيلة التي تدخل في الأمر والنهي والشرط للتوكيد، فالفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وكُسرت نون التوكيد وحقها الفتح لمجانسة الياء، وحُذفت نون الوقاية لاجتماع الأمثال.

وقراءة (تَسْأَلْنِي) بإسكان اللام وتخفيف النون؛ على أنَّ الفعل مجزوم بلا الناهية. والنون للوقاية، والياء مفعول[٥١٦].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن اشتراط الخضر على موسى عليه السلام إذا صحبه ألا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يخبره بالأمر.

يقول الزمخشري: «فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غَبِيَ عليك وجهُ صحته، فحميت[٥١٧]، وأنكرت في نفسك ألا تفاتحني بالسؤال، ولا تراجعني فيه، حتى أكون أنا الفاتح عليك. وهذا من آداب المتعلم مع العالم، والمتبوع مع التابع»[٥١٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَسْأَلَنِّي): التوكيد من الخضر على موسى عليه السلام ألا يبادر بسؤاله عن أي أمر من الأمور العجيبة التي يراها حتى يبدأه الخضر ببيان أمرها وتفسيرها. تحقيقاً لحصول أكمل أحوال المتعلم مع المعلم من الصبر والالتزام بأوامره.

---

(٥١٥) انظر: النشر (٢/٢٣٤).

(٥١٦) انظر: الكشف (٢/٦٧)، المغني (٢/٣٨٠).

(٥١٧) فحميت: أنفت وسخطت. انظر: مختار الصحاح (ص١٧٦) مادة. حمى.

(٥١٨) الكشاف (٣/٧٨).

يقول ابن عاشور: «والفاء في قوله ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾ تفريع على وعد موسى إياه بأنه يجده صابراً، ففرع على ذلك نهيه عن السؤال عن شيء مما يشاهده من تصرفاته حتى يبيّنه له من تلقاء نفسه، وأكد النهي بحرف التوكيد تحقيقاً لحصول أكمل أحوال المتعلم مع المعلم، لأن السؤال قد يصادف وقت اشتغال المسؤول بإكمال عمله فتضيق له نفسه، فربما كان الجواب عنه بدون شَرَهِ نفس، وربما خالطه بعض القلق فيكون الجواب غير شاف. فأراد الخضر أن يتولى هو بيان أعماله في الإبّان الذي يراه مناسباً ليكون البيان أبسط، والإقبال أبهج فيزيد الاتصال بين القرينين»[٥١٩].

أما قراءة (تَسْأَلْنِي) فأفادت نهي الخضر لموسى عليه السلام من سؤاله عن أي أمر يراه قبل أن يبيّنه له هو. وفي هذا تعليم للصبر.

وأفادت قراءة (تسألني) بإثبات الياء وحذفها على اعتبار أنّ الإثبات للنهي عن دوام السؤال، والحذف للنهي عن السرعة في السؤال بعد رؤية الحدث. والله أعلم.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات مدى حرص الخضر على تطبيق آداب العالم والمتعلم من خلال تعليمه لموسى عليه السلام حيث طلب منه وأكد عليه ألا يسأله عن أي شيء يراه بمجرد حدوثه، وأن عليه الانتظار، وألا يلح في ذلك حتى يبيّنه هو له.

٣٢ ـ قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف: ٧١].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**لِيَغْرَقَ أَهْلُها**) بالياء وفتح الراء، (أهلُها) بالرفع.

---

(٥١٩) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٧٣ ـ ٣٧٤).

٢. قرأ الباقون (**لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا**) بالتاء وكسر الراء ونصب (أهلَها)[٥٢٠].

البيان:

قراءة (**لتُغرِق أَهْلَها**) بالتاء؛ مضارع (أغرق) الثلاثي المزيد بهمزة[٥٢١]، وذلك على الخطاب من موسى للخضر، فالمخاطب هو الفاعل، ودلّ بالتاء على حد المواجهة والحضور[٥٢٢]، وتعدى فعله إلى الأهل. فنصبهم، وناسب ذلك ما قبله وما بعده، فالذي قبله قوله (أخرقتها) والذي بعده قوله (لقد جئت)[٥٢٣].

وقراءة (**ليَغْرَق أَهْلُها**) بالياء؛ مضارع (غرق) الثلاثي، و(أهلُها) بالرفع فاعل (يغرق). وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة[٥٢٤].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بداية رحلة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، بعدما أخذ العبد الصالح عليه العهد على ألا يبادره بسؤال عما يرى من أمور مستنكرة حتى يبادره هو ببيانها. والبداية بقصة السفينة وما أحدثه فيها من خرق فعله الخضر وأنكره موسى عليه.

أخرج البخاري في صحيحه: «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول، فلما ركبا في السفينة، لم يَفَجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول[٥٢٥] عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

---

(٥٢٠) انظر: النشر (٢/٢٣٥).

(٥٢١) المغني (٢/ ٣٨١).

(٥٢٢) الحجة في القراءات (ص١٣٤).

(٥٢٣) انظر: الكشف (٢/٦٨)، الفريد (٣/٣٥٨).

(٥٢٤) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢/١٢٦).

(٥٢٥) نول: عطاء. انظر: معجم المقاييس (ص١٠٠٤) مادة: نَوَلَ.

صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾، قال: وقال رسول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمُك من علم الله، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر»(٥٢٦).

يقول ابن كثير: «يقول تعالى مخبراً عن موسى وصاحبه، وهو الخضر، أنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا، واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه، فركبا في السفينة، وقد تقدم في الحديث كيف ركبا في السفينة، وأنهم عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول؛ يعني بغير أجرة تكرمة للخضر، فلما استقلت بهم السفينة في البحر، ولججت أي دخلت اللُّجَّة، قام الخضر فخرقها واستخرج لوحاً من ألواحها، ثم رقعها، فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكراً عليه ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، وهذه اللام لام العاقبة لا لام التعليل. كما قال الشاعر(٥٢٧):

لِدُوا للموتِ وابنُوا للخراب

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، قال مجاهد: منكراً، وقال قتادة: عجباً»(٥٢٨).

يقول القرطبي: «ولم يقل لتغرقني لأن الذي غلب عليه ـ موسى عليه السلام ـ في الحال فرط الشفقة عليهم، ومراعاة حقهم»(٥٢٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**لتُغرِق أهلَها**): أن موسى عليه السلام أسند الغرق إلى

---

(٥٢٦) أخرجه البخاري في كتاب التفسير. باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾... حديث رقم (٤٧٢٥) قال: حدثنا الحميدي....به. (فتح الباري (٨/٤٠٩ ـ ٤١٠)).

(٥٢٧) القائل هو أبو العتاهية، والشطر الثاني منه قوله: * فكلكم يصير إلى تباب *. (انظر: الأغاني (٤/٧٤)).

(٥٢٨) تفسير ابن كثير (٥/١٨٩).

(٥٢٩) تفسير القرطبي (٦/٢١).

الخضر، لأنه هو خارق السفينة، والخارق هو فاعل الغرق في المعنى(٥٣٠). والتقدير: لتغرق أنت أهل هذه السفينة(٥٣١).

وأفادت قراءة (**لِيَغْرَق أَهْلُها**): أن موسى عليه السلام أسند الغرق إلى أهل السفينة. كأنه قال: أخرقت السفينة لترسو في البحر فيغرق فيه أهلها؟(٥٣٢).

الجمع بين القراءتين:

يظهر بالجمع بين القراءتين الأدب الجمّ الذي تحلى به موسى عليه السلام، حيث إن قراءة إسناد الغرق إلى أهل السفينة أزالت ما قد يظنه ظانّ أن تصرف موسى بتوجيه الخطاب إلى الخضر هو سوء أدب منه، ومن هنا يكون مدخل للطاعنين في عصمة الأنبياء. ومن ناحية أخرى بيّنت أن الخطاب القرآني يتنوع من أجل أن يبيّن فوائد عدة لا تُدرك إلا بفهم معاني القراءات، وفهم المقصود من هذا الخطاب، وخطاب الالتفات من أهم الخطاب في القرآن الذي بين هذه المعاني السامية.

يقول محمد سالم محيسن: «وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إذ سياق الآية ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا﴾ يقتضي الخطاب فيقال: (لتغرق) ولكن التفت إلى الغيبة ليسند موسى عليه السلام الغرق إلى أهل السفينة، ولم يسنده إلى الخضر تأدباً معه، ولو ظل الأسلوب القرآني على الخطاب لفاتت هذه الفائدة»(٥٣٣).

٣٣ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف: ٧٣].

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (**عُسُراً**) بضم السين.

---

(٥٣٠) انظر: الكشف (٢/٦٨).

(٥٣١) التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٥٥).

(٥٣٢) انظر: حجة القراءات (ص٤٢٣).

(٥٣٣) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢/١٢٦).

٢. قرأ الباقون (عُسْراً) بإسكان السين[٥٣٤].

اللغة والبيان:

عسراً: نقيض اليسر[٥٣٥]. أي: صعوبة ومشقة[٥٣٦].

أي: عاملني باليسر لا بالعسر[٥٣٧]. ولا تُضيِّق عليَّ الأمر في صحبتي إياك[٥٣٨]. ولا تكلفني ما لا أقدر عليه من التحفظ عن السهو والنسيان[٥٣٩].

عُسْراً وعُسُراً: الإسكان، والضم، لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم: والإسكان هو الأصل، وهو لغة تميم وأسد، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين[٥٤٠].

والتثقيل لزيادة المبالغة. فإن (فُعلا) بضمة وبضمتين من صيغ جموع الكثرة، فيفيده ذلك مبالغة، وإن لم يكن جمعاً[٥٤١].

التفسير:

بعد حادثة خرق السفينة وإنكار موسى عليه السلام على الخضر ما فعل، وتذكير الخضر لموسى بالعهد الذي بينهما من عدم سؤاله عن شيء حتى يخبره بأمره؛ اعتذر موسى عليه السلام من الخضر وطلب منه ألا يشق عليه.

يقول ابن عاشور: «اعتذر موسى بالنسيان وكان قد نسي التزامه بما غشي ذهنه من مشاهدة ما ينكره، والنهي مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذة؛ لأنه قد يؤاخذه على النسيان مؤاخذة مَن لا يصلُح للمصاحبة لما

---

(٥٣٤) انظر: النشر (٢/١٦٢).

(٥٣٥) مفردات الراغب (ص ٣٧٤). مادة: عسر.

(٥٣٦) كلمات القرآن (ص١٨١).

(٥٣٧) معاني الزجاج (٣/٣٠٢).

(٥٣٨) مجمع البيان (٦/٣٤٦).

(٥٣٩) تفسير الماوردي (٣/ ٣٢٨).

(٥٤٠) المغني (٢/٣٨٤).

(٥٤١) سبق الإشارة إلى هذه النقطة عند تفسير الآية ٤٤ من السورة (ص١٦٢).

ينشأ عن النسيان من خطر. فالحَزامة الاحتراز من صحبة من يطرأ عليه النسيان، ولذلك بنى كلام موسى على طلب عدم المؤاخذة بالنسيان ولم يُبن على الاعتذار بالنسيان، كأنه رأى نفسه محقوقاً بالمؤاخذة، فكان كلاماً بديع النسج في الاعتذار، والمؤاخذة: مفاعلة من الأخذ، وهي هنا للمبالغة لأنها من جانب واحد كقوله تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]. وما مصدرية، أي: لا تؤاخذني بنسياني»[٥٤٢].

ويقول القاسمي: «﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ أي: لا تحمل عليَّ من أمري في تحصيل العلم منك عسراً لئلا يلجئني إلى تركه. أي: لا تعسِّر عليَّ متابعتك، بل يسرها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة»[٥٤٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**عُسْراً**): أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من الخضر ألاَّ يؤاخذه على نسيانه للعهد الذي بينهما، وألاَّ يشق عليه في اتباعه لتحصيل العلم؛ بل يسهل عليه الأمر لئلا يلجئه ذلك إلى تركه.

وأفادت قراءة (عُسُراً): أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من الخضر ألاَّ يشق عليه في تحصيله للعلم، وألاَّ يبالغ في المشقة عليه طوال الرحلة؛ لأن هذا سيجعله غير قادر على الاستمرار فيها، وذلك لأن تتابع الضمات فيه ثقل وزيادة في المشقة.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اعتذر للخضر عن نسيانه للعهد الذي بينهما وهو عدم سؤاله عن أي شيء عجيب يراه من الخضر حتى يخبره الخضر بسبب فعله، ولا يؤاخذه على ذلك النسيان، كما طلب منه أن يهون عليه أمر متابعته في رحلة العلم، وألاَّ يشق عليه، وألا يداوم

---

(٥٤٢) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٧٦).

(٥٤٣) محاسن التأويل (٤٠٨١/١١).

على ذلك طوال الرحلة، بل يتغاضى عن أسئلته. ويعامله باليسر حتى لا يتركه.

٣٤ ـ قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف: ٧٤].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس **(زاكية)** بالألف وتخفيف الياء.

٢. قرأ الباقون **(زَكِيَّة)** بغير ألف بعد الزاي وتشديد الياء[٥٤٤].

١. قرأ نافع وابن ذكوان وشعبة وأبو جعفر ويعقوب **(نُكُراً)** بضم الكاف.

٢. قرأ الباقون **(نُكْراً)** بسكون الكاف[٥٤٥].

اللغة والبيان:

اختلف في معنى (زاكية) و (زَكِيَّة) على أقوال:

(زاكية): اسم فاعل من (زكى) بمعنى: طاهرة من الذنوب، وصالحة؛ لأنها صغيرة، ولم تبلغ بعد حد التكليف[٥٤٦].

و(زَكِيَّة): صفة مشبهة من (الزكاء) بمعنى الطهارة أيضاً[٥٤٧]. أي: مُطَهَّرة[٥٤٨]. والقراءتان بمعنى واحد، إلا أن **(زَكِيَّة)** أبلغ من **(زاكية)** لأنها صفة مشبهة تدل على الثبوت، كما أن فعيلاً المحول من فاعل يدل على المبالغة[٥٤٩].

(٥٤٤) انظر: النشر (٢/٢٣٥).
(٥٤٥) انظر: النشر (٢/١٦٣).
(٥٤٦) انظر: المغني (٢/٣٨٣).
(٥٤٧) المستنير (١/٣٢٢).
(٥٤٨) مجاز القرآن (١/٤١٠).
(٥٤٩) انظر: القراءات وأثرها: بازمول (٢/٩٠٨)، البحر المحيط (٦/١٤٢)، روح المعاني (١٥/٣٣٩).

وقال قتادة: (زاكية) نامية، و(زَكِيَّة) تقيَّة ديِّنة. وقال الحسن: بريئة[550]. أي: لم يُرَ ما يوجب قتلها[551]. قال ابن خالويه: (زاكية) أنها لم تذنب قط، و(زَكِيَّة) أنها أذنبت ثم تابت. قلت: وهو قول أبي عمرو بن العلاء[552].

هذا على رأي من رأى أن الغلام لم يبلغ الحلم، ويرى البعض أن الغلام كان بالغاً.

قيل: كان شاباً بالغاً لأن غير البالغ لا يستحق القتل، وقد يُسمَّى الرجل غلاماً.

ومنه قول ليلى الأخيلية:

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها[553].

قلت: وكذلك رأى أبو حيان، وابن عطية، والبقاعي. ودللوا على كبر الغلام بقوله تعالى على لسان موسى ﷺ: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس[554].

شيئاً نُكراً: أي: داهية: أمراً عظيماً[555]. والنكر: ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس[556].

---

(٥٥٠) حجة القراءات (ص٤٢٤).

(٥٥١) معاني الزجاج (٣/٣٠٣).

(٥٥٢) انظر: الحجة (ص١٣٤)، تفسير الماوردي (٣/٣٣٠)، روح المعاني (١٥/٣٣٩). وقد ناقش الألوسي تخريج أبي عمرو لقراءته، واختياره للقراءة والتخريج. فانظره في نفس المصدر.

(٥٥٣) مجمع البيان (٦/٣٤٦).

(٥٥٤) انظر: البحر المحيط (٦/١٤٢)، المحرر الوجيز (٣/٥٣٢).

(٥٥٥) مجاز القرآن (١/٤١٠).

(٥٥٦) التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٥٦).

وقيل: أي: شيئاً أنكر من الأول[٥٥٧]، أي: من خرق السفينة.

والإسكان، والضم، لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم: والإسكان هو الأصل، وهو لغة تميم وأسد، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين[٥٥٨].

التفسير:

بعد حادث خرق الخضر للسفينة، ونزول موسى عليه السلام مع الخضر من السفينة، وسلامتهما من الغرق، بدأت أحداث قصة جديدة في تلك الرحلة؛ وهي قتل العبد الصالح للغلام.

يقول البقاعي: «بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الغرق والغصب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ لم يبلغ الحلم وهو في غاية القوة ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ حين لقيه ـ كما دلت عليه الفاء العاطفة على الشرط ـ ثم أجاب الشرط بقوله مشعراً بأن شروعه في الإنكار في هذه أسرع: ﴿قَالَ﴾ أي موسى عليه السلام: ﴿أَقَتَلْتَ﴾ يا خضر ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ بكونها على الفطرة الأولى من غير أن تدنس بخطيئة توجب القتل ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قتلتها ليكون قتلك لها قوداً[٥٥٩]؛ وهذا يدل على أنه كان بالغاً حتى إذا قتل قتيلاً أمكن قتله به إلا أن يكون شرعهم لا يشترط البلوغ، ثم استأنف قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ﴾ في قتلك إياها ﴿شَيْـًٔا﴾ وصرح بالإنكار في قوله: ﴿نُّكْرًا﴾ لأنه مباشرة. والخرق تسبب لا يلزم منه الغرق»[٥٦٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (زاكية): أنَّ موسى عليه السلام قد أنكر على الخضر قتل

---

(٥٥٧) تفسير أبي السعود (٣/٢٦١).

(٥٥٨) المغني (٢/٣٨٤).

(٥٥٩) القَوَدُ: قَتْلُ القاتل بالقتيل، وسُمي قَوَداً لأنه يُقادُ إليه. (المقاييس في اللغة ص٨٦٧ مادة قود).

(٥٦٠) نظم الدرر (٤/٤٩٣).

الغلام لكونه صغيراً لم يبلغ الحلم، فنفسه طاهرة.

وأفادت قراءة (زكيّة): أنَّ موسى عليه السلام أنكر على الخضر قتل الغلام إنكاراً شديداً؛ لكونه يرى أن نفس الغلام طاهرة في ذاتها، كما أنها مطهرة وبريئة لأنها لم تقترف ذنباً يوجب القتل. وذلك على قول من اعتبره صغيراً لم يبلغ الحلم.

وقد خرّج النووي تخصيص موسى عليه السلام لحق القصاص بالنفي بقوله تعالى على لسان موسى ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: بأنه الأنسب بمقام القتل، أو أن شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبي، وقد نقل المحدثون كالبيهقي أنَّه كان في الإسلام كذلك قبل الهجرة، وقال السبكي[٥٦١] أنه كان قبل أُحد ثم نُسخ، أما من قال بأن الغلام كان بالغاً فقال: وصفه موسى عليه السلام بذلك لأنه لم يره أذنب، فهو وصف ناشيء من حسن الظن»[٥٦٢].

أما قراءة (نُكْراً) فأفادت أن ما فعله الخضر من قتل الغلام هو أمر عظيم تنكره العقول وتنفر منه النفوس.

وقراءة (نُكُراً) تفيد ما أفادته قراءة التخفيف؛ إلا أنّ توالي الضم على حرفين متتابعين يفيد الثقل، مما يوحي بأن هذا الفعل في غاية العظم والإنكار، بالإضافه إلى استغراقه لمعنى أنه أشد نكراً من خرق السفينة.

يقول ابن عاشور: «وكلام موسى في إنكار ذلك جرى على نسق كلامه في إنكار خرق السفينة، سوى أنه وصف هذا الفعل بأنه نُكُر، وهو ـ بضمتين ـ: الذي تنكره العقول وتستقبحه. فهو أشد من الشيء الإمْر؛ لأن

---

(٥٦١) هو: قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، والد تاج الدين السبكي مؤلف (طبقات الشافعية الكبرى) فقيه مصري شافعي، ولي قضاء الشام، ولد بسبك سنة ٦٨٣هـ، وتوفي سنة ٧٥٦هـ. مؤلف مكثر. من كتبه: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) و(الابتهاج في شرح المنهاج). (انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (١٠/١٣٩ وما بعدها)، طبقات الشافعية (٣/٣٧ ـ ٤٢)، المنجد في الأعلام ص٢٩٥).

(٥٦٢) انظر: روح المعاني (١٥/ ٣٣٩).

هذا فساد حاصل والآخر ذريعة فساد»(٥٦٣).

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن موسى عليه السلام قد أنكر على الخضر قتله للغلام إنكاراً شديداً واعتبره غاية في الفظاعة، لأنه قتل نفساً طاهرة بريئة لم ترتكب ذنباً. حتى أنه أشد فظاعة من خرق السفينة؛ لأن خرق السفينة قتلٌ مُتَرَقَّب، أما هذا فقتل بيِّن. وحتى لو كان الغلام بالغاً فإن هذا الفعل به في غاية الفظاعة؛ لأنه لم يرتكب ذنباً ظاهراً له يوجب القصاص منه.

٣٥ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف: ٧٦].

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو جعفر **(لدُنِي)** بضم الدال وتخفيف النون.

٢. قرأ شعبة بوجهين:

الأول: إسكان الدال مع الإشمام مع تخفيف النون.

الثاني: اختلاس ضمة الدال مع تخفيف النون.

٣. قرأ الباقون **(لدُنِّي)** بضم الدال وتشديد النون(٥٦٤).

اللغة والبيان:

(لدن): بمنزلة (عند) وإذا استقبلتها الألف واللام أسقطت نونها ورجعت إلى (لدى) كقولك لدن زيد، ولد الرجل(٥٦٥). ولكن لدن أخص من (عند)؛ لأنه يدل على ابتداء نهاية. نحو أقمت عنده من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، فيوضع (لدن) موضع نهاية الفعل. وقد يوضع موضع

---

(٥٦٣) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٧٨).

(٥٦٤) انظر: النشر (٢/٢٣٥)، الميسّر (ص٣٠٢)، المغني (٢/٣٨٤ ـ ٣٨٥).

(٥٦٥) كتاب حروف المعاني (١ /٢٦).

(عند) فيما حُكِيَ. يقال: أصبت عنده مالاً، ولدنه مالاً. قال بعضهم: لدن أبلغ من (عند) وأخص[٥٦٦]. كما في هذه الآية.

(لدنّي): الاسم (لدن)، والنون الثانية وقاية زيدت ليسلم سكون النون فيه كما زيدت في عني ومني لذلك، وأدغمت الأصلية في المزيدة، أما **(لدني)**: ففيها وجهان:

١ ـ حُذفت نون الوقاية كما حُذفت في (قد) فقيل: قدي وقدني.

٢ ـ أصله (لَدُ) وهي لغة من (لَدُنْ) والنون للوقاية. وبتخفيفها مع إشمام الدال شيئاً من الضم تنبيهاً على أصلها، إذ أصلها الضم، وإنما أسكنت تخفيفاً، كقولهم في عَضُد، عَضْدٌ[٥٦٧].

هذا تخريج القراءات من ناحية نحوية، أما من ناحية ما يفيده كل من التخفيف والتشديد فلم يتطرق إليه العلماء بصورة مباشرة، لذلك كان لزاماً التطرق إليه لأن كل قراءة لا بد أن تفيد معنىً جديداً.

التفسير:

بعدما أنكر موسى عليه السلام على الخضر قتله للغلام؛ ذكَّره الخضر بما حذره من عدم صبره على ما سيرى من أمور عجيبة، حينها اعتذر موسى عليه السلام وعبّر عن ندمه، ومدح صبر الخضر عليه.

يقول الرازي: «حكى تعالى عن ذلك العالم أنه ما زاد على أن ذكره ما عاهده عليه إلا أنه زاد ههنا لفظة (لك) لأن هذه اللفظة تؤكد التوبيخ، فعند هذا قال موسى ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته، وهذا كلام نادم شديد الندامة»[٥٦٨].

وقال الصابوني: «﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: قد أُعذرت إليّ في

---

(٥٦٦) مفردات الراغب (ص٥٠٤). مادة: لدن.

(٥٦٧) انظر: الفريد (٣/٣٦١)، معاني الزجاج (٣/٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٥٦٨) انظر: التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٥٦). ببعض التصرف.

ترك مصاحبتي فأنت معذور عندي لمخالفتي لك ثلاث مرات»[٥٦٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لدني) بالتخفيف: إعذار موسى عليه السلام للخضر إن ترك مصاحبته، وندمه على سؤاله.

وأفادت قراءة الاختلاس والإشمام مع التخفيف إعذار موسى للخضر مع استحيائه من الخضر على ما بدر منه، لأن خفاء الصوت بالحركة أو اختلاسها يوحي بضعف الصوت مما يوحي بالحياء والندم.

أما قراءة التثقيل فأفادت مزيداً من الإعذار للخضر من قبل موسى عليه السلام والندم على ما بدر منه من سؤاله، مع مدح لصبر الخضر عليه.

يقول الرازي: «ثم قال ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ والمراد منه أنه يمدحه بهذه الطريقة من حيث احتمله مرتين أولاً وثانياً، مع قرب المدة»[٥٧٠].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن موسى عليه السلام أدرك خطأه بمبادرته بالسؤال وعدم صبره على ما يرى من أمور عجيبة، وقد ندم على ذلك بحياء لقلة صبره بمقتضى طبع الاستعجال، ولكنه في نفس الوقت أكبر احتمال الخضر له رغم قرب المدة بين كل سؤال وآخر، ووجد له العذر في تركه إن تركه.

٣٦ ـ قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف: ٧٧].

(٥٦٩) صفوة التفاسير (١٧٤/٢).

(٥٧٠) التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٥٦).

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (**لَتَخِذْتَ**) بتخفيف التاء وكسر الخاء من غير ألف وصل.

٢. قرأ الباقون (**لاتَّخَذْتَ**) بتشديد التاء وفتح الخاء وألف وصل.

٣. قرأ ابن كثير وحفص ورويس بخلف عنه، بإظهار الذال عند التاء.

٤. قرأ الباقون بإدغام الذال في التاء، وهو الوجه الثاني لرويس[٥٧١].

اللغة والبيان:

قال الراغب: **تخذ** بمعنى أخذ[٥٧٢].

(**لَتَخِذْتَ**) فعل ماض من (تخذ، يتخذ) على وزن (علم، يعلم). (**لاتَّخَذْتَ**) فعل ماض من (اتخذ، يتخذ) على وزن (افْتَعَلَ) فأدغمت فاء الكلمة في (تاء) (افتعل)[٥٧٣]. وليس من الأخذ في شيء[٥٧٤]. ويجيء بناء افتعل للدلالة على المطاوعة، أو للدلالة على التصرف باجتهاد ومبالغة[٥٧٥]. أما بناء (تخذ) فَعَلَى وزن فَعِلَ. ويأتي للدلالة على عَرَض، والمراد بالعَرَض: المعنى العارض للذات غير الراسخ أو المستقر فيها، وأنه مما يحصل ويسرع زواله[٥٧٦].

التفسير:

يقول المنصوري: «﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي

---

(٥٧١) انظر: النشر (٢/٢٣٦).

** تنبيه: تفسير الآية سيتناول فقط فرش الحروف لأن التفسير يتأثر فيه أما الأصول فغالباً لا أثر لها في التفسير.

(٥٧٢) انظر: مفردات الراغب (ص٨٤). مادة: تخذ.

(٥٧٣) المغني (٢/٣٨٦).

(٥٧٤) تفسير النسفي (٣/١٧).

(٥٧٥) شرح ابن عقيل (٢/٥١١). قسم تكملة في تصريف الأفعال.

(٥٧٦) انظر: معاني الأبنية في العربية (ص ٨١ ـ ٨٢).

أنطاكية[٥٧٧]، وقيل: برقة، وقيل هي بلدة في الأندلس ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ روي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما، واستضافاهم فأبوا أن يضيِّفوهما، ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي يقارب ويداني أن يسقط، فاستعيرت الإرادة المشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك، والانقضاض: الإسراع في السقوط، ومنه انقضاض الطير والكوكب ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ مسحه بيده فقام، وقيل: نقضه وبناه، وفي حديث أُبيٍّ[٥٧٨]: فقال الخضر بيده هكذا فأقامه ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ تحريضاً على أخذ الأجرة، أو تعريضاً بأنه فضول، كأنه لمَّا رأى الحرمان، ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه؛ لم يتمالك الصبر»[٥٧٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**لَتَخِذْتَ**): أن موسى عليه السلام عرض على الخضر أخذ الأجرة على إقامة الجدار.

يقول القرطبي: «وفي حديث أبي بن كعب: لو شئت لأوتيت أجراً. وهذه صدرت من موسى سؤالاً على وجه العرض لا الاعتراض»[٥٨٠].

وأفادت قراءة (**لاتَّخَذْتَ**): أن موسى عليه السلام حرَّض الخضر وحثه على أخذ الجُعل أو الأجرة على إقامة الجدار.

---

(٥٧٧) مدينة تجارية في تركيا تقع على امتداد نهر أورونتس، على بعد ١٠كم من البحر الأبيض المتوسط، أنشأت نحو عام ٣٠٠ ق. م وكانت عاصمة سوريا خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، وأصبحت جزءاً من تركيا عام ١٩٢٣م بموجب معاهدة لوزان. (الموسوعة العربية العالمية (٢٥٩/٣)، وانظر وصف ياقوت الحموي للمدينة قديماً في معجم البلدان (٣١٦/١ وما بعدها)).

(٥٧٨) الحديث أخرجه الترمذي (٣٠٩/٥) كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الكهف، حديث رقم (٣١٤٩). وقال: هذا حديث حسن.

(٥٧٩) المقتطف (٢٧٤/٣).

(٥٨٠) تفسير القرطبي (٣٢/٦).

يقول الألوسي: «قال موسى عليه السلام ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ تحريضاً للخضر عليه السلام، وحثاً على أخذ الجعل والأجرة على فعله ليحصل لهما بذلك الانتعاش والتقوي بالمعاش فهو سؤال له لِمَ لم يأخذ الأجرة، واعتراض على ترك الأخذ، فالمراد لازم فائدة الخبر إذ لا فائدة في الإخبار بفعله»(٥٨١).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين: أن موسى عليه السلام لم يعرض على الخضر أخذ الأجرة على إقامة الجدار فقط؛ بل حرَّضه على ذلك لشدة حاجتهما إلى الطعام والضيافة. هذا من جانب، ومن جانب آخر لأن أهل القرية قد رفضوا سابقاً استضافتهما أو حتى إطعامهما حينما طلبا منهم ذلك، لذلك فهؤلاء القوم لا يستحقون فعل الخضر.

٣٧ ـ قال تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف: ٨١].

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (**يُبَدِّلَهما**) بتشديد الدال.

٢. قرأ الباقون (**يُبْدِلَهما**) بتخفيف الدال(٥٨٢).

١. قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (**رُحُماً**) بضم الحاء.

٢. قرأ الباقون (**رُحْمَاً**) بسكون الحاء(٥٨٣).

---

(٥٨١) تفسير الألوسي (٧/١٦).

(٥٨٢) انظر: النشر (٢/٢٣٦).

(٥٨٣) انظر: النشر (٢/١٦٣).

اللغة والبيان:

رحماً: رحمة وعطفاً[٥٨٤]. وهو مصدر رحمت[٥٨٥]. **وأقرب رحماً**: أي: أقرب عطفاً وأمسُّ بالقرابة[٥٨٦].

(يُبَدِّلهما): مضارع (بدَّل) الثلاثي مضعف العين. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً﴾ [النحل: ١٠١].

(يُبْدِلَهما): مضارع (أبدل) الثلاثي المزيد بهمزة[٥٨٧] «ومنه قول العرب: أبدلت الشيء من الشيء؛ إذا أزلت الأول، وجعلت الثاني مكانه، ومنه قول أبي النجم[٥٨٨]:

* عَزْلُ الأمير للأمير المُبْدَل *

فكذلك الولد الذي أراد الله تعالى إبدال أبويه به غير الأول. ولفظها إذا قالوا: بدَّلت الشيء من الشيء، فمعناه غيرت حاله وعينه، والأصل باقٍ. كقولك: بدلت قميصي جبة، وخاتمي حلقة. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ فالجلد الثاني هو الأول ولو كان غيره لم يجب عذابه، لأنه لم يباشر معصية. فأما إذا قالوا أبدلت غلامي جارية وفرسي ناقة، لم يقولوه إلا بالألف»[٥٨٩].

---

(٥٨٤) تفسير غريب القرآن (ص٢٧٠). وانظر: الحجة في القراءات السبع (ص١٣٦)، تفسير النسفي (١٨/٣).

(٥٨٥) معاني القرآن للفراء (١٥٧/٢).

(٥٨٦) معاني القرآن للزجاج (٣٠٥/٣).

(٥٨٧) انظر: الكشف (٧٢/٢)، المغني (٣٨٧/٢)، الهادي (٢١/٣)، الحجة في القراءات السبع (ص١٣٥)، الدر المصون (٤٧٨/٤).

(٥٨٨) البيت في اللسان (٢٣١/١) مادة: بدل، وفي تهذيب اللغة (١٣٢/١٤).

(٥٨٩) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص١٣٥ ـ ١٣٦). وهذا المعنى ذكره الأزهري في كتابه معاني القراءات (ص٢٧٣) فانظره. وانظر أيضاً: الكشف (٧٢/٢).

التفسير:

بعدما تمت رحلة الخضر مع موسى عليه السلام ورأى فيها موسى أموراً عجيبة من فعل الخضر لم يصبر عليها، وقبل الفراق بينهما نبأ الخضر موسى عليه السلام عن حكمة تلك الأمور العجيبة التي أنكرها عليه حسب وعده له بذلك. فأخبره عن تأويل الفعلة الأولى وهي: خرق السفينة، وهذه الآية تتحدث عن تأويل الفعلة الثانية وهي قتل الغلام؛ فبيّن له الحكمة من قتله وهي: أن الله أراد أن يحفظ على والديه إيمانهما ويرزقهما أطهر نفساً منه، وأكثر براً بهما منه لأن ذلك الغلام كان فاسداً مفسداً في باطنه، وهذا من العلم الذي أعلمه الله للخضر. فهو تنفيذ لأمر الله رحمة بالعباد.

يقول الألوسي في تفسيره: «﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾ بأن يرزقهما بدله ولداً خيراً منه طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة. وفي التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليهما ما لا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخير إليهما، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ والمراد أقرب رحمة عليهما وبراً بهما، وأخرج ابن أبي شيبة. وابن المنذر. وابن أبي حاتم عن عطية أن المعنى: هما به أرحم منهما بالغلام، ولعل المراد على هذا أنه أحب إليهما من ذلك الغلام إما لزيادة حسن خُلُقه أو خَلْقه أو الاثنين معاً، وهذا المعنى أقرب للتأسيس من المعنى الأول على تفسير المعطوف عليه بما سمعت، إلا أنه يؤيد التفسير ما روي عن ابن عباس أنهما أُبدلا جارية ولدت نبياً، وقال الثعلبي[٥٩٠]: إنها أدركت يونس بن متى فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت نبياً هدى الله تعالى على يده أمة من الأمم، ووجه التأييد أن الجارية بحسب العادة تحب أبويها وترحمهما، وتعطف عليهما، وتبر بهما أكثر من الغلام،

(٥٩٠) هو: أبو اسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرىء المفسر، وهو غير الثعالبي أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري صاحب تفسير الجواهر الحسان، فالثعلبي له تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، توفي سنة ٤٢٧هـ. (انظر في ترجمته: وفيات الأعيان (١/٧٩ ـ ٨٠). طبقات المفسرين: السيوطي (١/٢٨)، شذرات الذهب (٢/٢٣٠ ـ ٢٣١)).

قيل أبدلهما غلاماً مؤمناً مثلهما[591]»[592].

يقول سعيد حوى: «وفي المرة الثانية قال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ لأنه إفساد من حيث الفعل، إنعام من حيث التبديل، فلم ينسبه إلى نفسه منفردة صراحة، ولم ينسبه إلى الله صراحة، وفي المرة الأولى قال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ نسبه إلى نفسه فقط؛ لأنه إفساد في الظاهر وهو من فعله فكانت دقته في التعبير نموذجاً على كمال أدبه، فهو تعليم لنا، وأدب من أدب الأولياء مع الله»[593].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة **(يُبَدِّلَهما)**: أن الغاية من قتل الغلام هو: إرادة الله أن يرزق الأبوين المؤمنين غلاماً مسلماً طاهر النفس باراً بهما، وذلك حفاظاً عليهما ورحمة بهما.

أما قراءة **(يُبْدِلَهما)** فأفادت: بأن بديل الغلام لم يكن من جنسه بل هي أنثى طاهرة النفس طيبة الخلق رحيمة عطوفة بارة بهما.

وقراءة **(رُحْماً)** أفادت أن الذي سيرزقانه بدل ابنهما المقتول سيكون أقرب رحمة وعطفاً بوالديه.

أما قراءة **(رُحُماً)** فأفادت تبادل المعنى بين الأهل وبديل الغلام المقتول؛ وذلك لأن (رُحُماً) على وزن فُعُلاً وهو من صيغ جموع الكثرة التي تفيد المبالغة، فإذا كان على وزن فُعُلا كان أكثر إفادة للمعنى.

واحتمل معنيين؛ الأول خاص ببديل الغلام المقتول. والآخر خاص بهما: أما الأول: الذي سيكون بديلاً لابنهما المقتول فسيكون أقرب عطفاً ورحمة بوالديه. أما الآخر الخاص بهما: فسيكون الأبوان أرحم به من الغلام

---

(591) هذا قول ابن جريج، ذكره الثعلبي في تفسيره (ص1300). (انظر كتابه في شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية .www. Tafsir.net

(592) انظر: تفسير الألوسي (16/11 ـ 12) باختصار.

(593) الأساس في التفسير (3214/6).

المقتول. ويؤيد ذلك ما ذكره الألوسي آنفاً.

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن قراءة (**يُبْدِلَهما**) بيّنت جنس المبدل الذي لم توضحة القراءة الأخرى، وأنها ستكون جارية على قدر كبير من حسن الخُلق وأقرب رحمة وعطفاً بوالديها، وأنهما سيكونان أرحم بها وأكثر محبة لها من حبهما للغلام.

٣٨ ـ فأتبع من قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾ [الكهف: ٨٥].

أتبع من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩﴾ [الكهف: ٨٩].

ومن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢﴾ [الكهف: ٩٢].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (**فاتَّبَعَ**) بوصل الهمزة وتشديد التاء.

٢. قرأ الباقون (**فأَتْبَعَ**) بقطع الهمزة وإسكان التاء[٥٩٤].

اللغة والبيان:

(**أتبع**) فعل ماض على وزن (أفعل) يتعدى إلى مفعولين: فـ(سبباً) هو المفعول الثاني، والمفعول الأول محذوف تقديره: فأتبع سبباً سبباً، أو أتبع أمره سبباً.

(**اتَّبَعَ**) فعل ماض على وزن (افتعل) من (تبع) الثلاثي، ثم أُدغمت تاء الافتعال في فاء الكلمة[٥٩٥].

---

(٥٩٤) انظر: النشر (٢/٢٣٦).

(٥٩٥) انظر: المغني (٢/٣٨٩)، الكشف (٢/٧٣).

قال أبو زيد[٥٩٦]: رأيت القوم فأتْبعْتُهم إتباعاً: إذا سبقوك فأسرعت نحوهم، ومروا عليّ فاتَّبعتهم اتّباعاً إذا ذهبت معهم ولم يسبقوك[٥٩٧].

وقال أبو عبيد: (اتَّبع) بالوصل في السير، و(أتبع) بالقطع معناه اللحاق[٥٩٨]. وهو عبارة عن المُجِدِّ المُسرع الحثيث الطلب، وبالوصل إنما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات[٥٩٩].

ويُقال: تَبِعَهُ واتَّبَعَهُ: قفا أثره، وذلك تارة بالجسم، وتارة بالارتسام والائتمار، ويُقال: أَتْبَعَهُ: إذا لَحِقَهُ[٦٠٠]. ودليل ذلك قوله تعالى ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]. أي: لحقه.

والسبب ها هنا: الطريق[٦٠١]. وقال أبو عبيدة[٦٠٢]: (فأتبع سبباً) أي: طريقاً وأثراً ومنهجاً[٦٠٣].

التفسير:

الآيات الثلاث ترسم بداية خط سير الرحلات الثلاث لبطل القصة الرابعة التي وردت في سورة الكهف؛ وهي قصة ذي القرنين[٦٠٤] الذي

---

(٥٩٦) هو: سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري، صاحب كتاب النوادر، روى القراءات عن أبي عمرو بن العلاء، توفي ٢١٥هـ. انظر: البلغة (١/١٠٣).

(٥٩٧) حجة القراءات (ص٤٢٨)، الحجة للقراء (٥/١٦٧).

(٥٩٨) محاسن التأويل (١١/ ٤١٠٠). وانظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٦ ص٩).

(٥٩٩) الدر المصون (٤/٤٨٠).

(٦٠٠) انظر: مفردات الراغب (ص ٨٣). مادة: تبع.

(٦٠١) الحجة في القراءات السبع (ص١٣٦).

(٦٠٢) هو: معمر بن المثنى التيمي البصري، النحوي اللغوي، كان عالماً بجميع العلوم، قدم بغداد أيام الرشيد وقرأ عليه بها بعض كتبه، له كتاب في مثالب العرب وكتاب في مثالب أهل البصرة. توفي سنة ٢٠٨هـ. انظر: البلغة (١/٢٢٤).

(٦٠٣) مجاز القرآن (١/٤١٣).

(٦٠٤) اختلف المفسرون في اسم ذي القرنين ونسبه وزمان وجوده، وسبب تلقيبه بهذا اللقب (ذو القرنين)، وتباينت أقوالهم في ذلك، لأنه لم يرد نص صريح من قرآن أو سنة يوضح ذلك، وكل ما جاء في شأنه أنه ملك صالح مكن الله له في الأرض=

مكَّن الله له في الأرض، وآتاه من أسباب العلم والصلاح ما مكنه أن يبلغ مشارق الأرض ومغاربها لينشر دين الله، وليحكم العالم بحكم الله.

وهذه القصة هي إحدى ثلاث أمور سألت قريش عنها النبي ﷺ بإيعاز من اليهود، والتي كانت سبباً لنزول سورة الكهف كما سبق ذكره عند الحديث عن سبب نزول السورة.

يقول سيد قطب: «لقد سأل سائلون عن ذي القرنين سألوا الرسول ﷺ فأوحى إليه الله بما هو وارد هنا من سيرته. وليس أمامنا مصدر آخر غير القرآن في هذه السيرة. فنحن لا نملك التوسع فيها بغير علم. وقد وردت في التفاسير أقوال كثيرة، ولكنها لا تعتمد على يقين. وينبغي أن تؤخذ بحذر، لما فيها من إسرائيليات وأساطير، وقد سجل السياق القرآني لذي القرنين ثلاث رحلات: واحدة إلى المغرب، وواحدة إلى المشرق، وواحدة إلى مكان بين السدين.. فلنتابع السياق في هذه الرحلات الثلاث»[٦٠٥].

يقول ابن عاشور: «السبب الوسيلة. والمراد هنا معنى مجازي وهو الطريق؛ لأن الطريق وسيلة إلى المكان المقصود، وقرينة المجاز ذكر الاتباع والبلوغ في قوله ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾. والدليل على إرادة غير معنى السبب في قوله تعالى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ إظهار اسم السبب دون إضماره؛ لأنه لما أُريد به معنى غير ما أُريد بالأول حسن إظهار اسمه تنبيهاً على اختلاف المعنيين، أي: فاتبع طريقاً للسير وكان سيره للغزو كما دل عليه قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾»[٦٠٦].

= وآتاه من أسباب التمكين ما جعله يملك مشارق الأرض ومغاربها، ويحقق العدل وينشر دين الله في الأرض. وكما هو معروف فإن القصص القرآني المقصود منه العبرة والعظة، والعبرة تتحقق بدون الحاجة إلى تحديد الاسم أو الزمان والمكان. **الباحثة.**

(٦٠٥) الظلال (٤/٢٢٩٠).

(٦٠٦) التحرير والتنوير (مجلد ٨ج١٦ ص٢٤ ـ ٢٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**اتَّبَعَ**): أنّ ذا القرنين سار في طريقه إلى الغزو سالكاً طريقاً مؤدية إلى مبتغاه، وأفادت قراءة (**أتبع**): أنه سلك طريقه بكل جد وهمة حرصاً على الوصول إلى مبتغاه بأقصى سرعة وبكل طاقته فألحق طريقاً بطريق حتى وصل إلى هدفه. فعدل في الحكم ورفع الظلم عن العباد ومكّن لدين الله في الأرض.

يقول ابن الجوزي: «والمعنى تبع طريقاً يؤديه إلى مغرب الشمس وكان إذا ظهر على قوم أخذ منهم جيشاً فسار بهم إلى غيرهم»(٦٠٧).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين حرص ذو القرنين على الغزو في سبيل الله ﷻ، حيث إنه لم يكن جاداً في هدفه فقط، بل حريصاً على الوصول إلى مبتغاه بأقصى ما يستطيع من قدرة، ومما دلل على ذلك؛ أنه لم يلتفت لملك أو مال أو جاه، وإنما كان حريصاً على نشر دين الله في البلاد المفتوحة بين العباد والعدل بينهم، ورفع الظلم عنهم، فإذا اطمأن إلى ذلك ترك كل شيء وتابع رحلته في سبيل الله. فجاءت قراءة القطع تفسيراً لقراءة التشديد.

يقول البقاعي: «فأراد بلوغ المغرب، ولعله بدأ به لأن باب التوبة فيه ﴿**فاتَّبَعَ**﴾ أي بغاية جهده هذا على قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو بالتشديد، والمعنى على قراءة الباقين بقطع الهمزة وإسكان الفوقانية: ألحق بعض الأسباب ببعض، وذلك تفسير لقراءة التشديد»(٦٠٨).

٣٩ ـ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ

---

(٦٠٧) زاد المسير (١٨٥/٥).

(٦٠٨) نظم الدرر (٥٠١/٤).

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: ٨٦].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب (حَمِئَةٍ) بغير ألف بعد الحاء، وبالهمزة.

٢. قرأ الباقون (حاميَةٍ) بالألف وفتح الياء من غير همز(٦٠٩).

اللغة والبيان:

(حاميةٍ): اسم فاعل من (حمى يحمي). و(حَمِئَةٍ): صفة مشبهة مشتقة من (الحمأة)(٦١٠).

الحمي: الحرارة المتولدة من الجواهر المحمية، كالنار والشمس، ومن القوة الحارة في البدن، قال تعالى: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، أي: حارة.

والحمْأَةُ والحَمَأُ: طين أسود منتن، قال تعالى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ويُقال: حَمَأْتُ البئر: أخرجتُ حَمْأَتَها، وأَحْمَأْتُها: جعلتُ فيها حَمَأً، وقرئ: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذاتِ حَمَإٍ(٦١١).

ويقول الأزهري: من قرأ (حمئة) أراد: في عين ذات حمأة، قد حميت فهي حمئة، ومن قرأ (حامية) أراد: حارة، وقد تكون حارة ذات حمأة، فيكون فيها المعنيان(٦١٢).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بداية رحلة ذي القرنين؛ فبدأت رحلته باتجاه

(٦٠٩) انظر: النشر (٢/٢٣٦).

(٦١٠) انظر: المغني (٢/٣٩٠).

(٦١١) انظر: مفردات الراغب (ص ١٤٨ ـ ١٤٩). مادة: حمى. ومفاتيح الأغاني (ص٢٦١).

(٦١٢) معاني القراءات (ص٢٧٤).

أقصى الغرب، فوصل إلى عين ماء قد اختلط طينها الأسود بمائها الحار، ووجد في ذلك المكان قوماً خيّره الله ﷻ في أمرهم.

يقول المنصوري: «حتى إذا بلغ منتهى الأرض من جهة الغرب، بحيث لا يتمكن أحد عن مجاوزته، ووقف على حافة البحر المحيط الغربي، الذي يُقال له أوقيانوس، وجد الشمس تغرب في عين[(٦١٣)] ذات حمأة، وهي الطين الأسود، ولعله بلغ ساحل المحيط، فرآها كذلك، إذ لم يكن في مطمع بصره غير الماء، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ ولم يقل: كانت تغرب، كما أن راكب البحر يرى الشمس تغيب في البحر»[(٦١٤)].

ويقول الشنقيطي: «المراد بالعين في الآية البحر المحيط، وهو ذو طين أسود. والعين تطلق في اللغة على ينبوع الماء. والينبوع: الماء الكثير، فاسم العين يصدق على البحر لغة. وكون مَن على شاطىء المحيط الغربي يرى الشمس في نظر عينه تسقط في البحر أمر معروف»[(٦١٥)].

يقول البيضاوي: «ووجد عند تلك العين قوماً، قيل كان لباسهم جلود الوحش، وطعامهم ما لفظه البحر، وكانوا كفاراً، فخيَّره الله ﷻ بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإيمان بالإرشاد وتعليم الشرائع. وقيل: خيّره بين القتل والأسر وسماه إحساناً في مقابلة القتل»[(٦١٦)].

(٦١٣) رجح ابن عاشور أن يكون المقصود بالعين هي: عين من عيون النفط الواقعة على ساحل بحر الخزر حيث مدينة (باكو) والتي فيها منابع للنفط، واحتج على ذلك بأن النفط لم يكن معروفاً يومئذ. والمؤرخون المسلمون يسمونها البلاد المنتنة. (انظر: التحرير والتنوير (٢٦/١٦)). ويميل الدكتور عبدالعليم خضر في كتابه «مفاهيم جغرافية في القصص القرآني ـ قصة ذي القرنين» إلى تحديد بحر إيجة، وأنه البحر الغربي الذي بلغه، وأن خليج أزمير الذي يصب فيه نهر (غديس) الذي يحمل معه الأتربة والطين البركاني من الأناضول هو العين الحمئة. (هامش مباحث في التفسير الموضوعي ص٣٠٤).

(٦١٤) انظر: المقتطف (٢٧٨/٣) بتصرف.

(٦١٥) أضواء البيان (٤٣٠/٢).

(٦١٦) انظر: تفسير البيضاوي (٥٢٠/٣).

ويقول سعيد حوى: «﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ . . .﴾ الآية. هذا القول الموجه لذي القرنين، هل كان إلهاماً فيكون ولياً؟ أو كان وحياً له فيكون نبياً؟ أو يكون وحياً بواسطة نبي معه فيكون صديقاً؟ ليس عندنا ما نستطيع الجزم به. والآية تفيد أنه خُيِّر بين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم، وبين أن يتخذ فيهم حسناً بإكرامهم وتعليمهم الشرائع إن آمنوا»(٦١٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(حمئة)**: أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين ذات طين أسود نتن.

قال ابن كثير: «والحمئة مشتقة على إحدى القراءتين من (الحمأة) وهو الطين، كما قال تعالى ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]، أي: طين أملس. وقد تقدم بيانه، وقال ابن جرير(٦١٨): حدثني يونس أخبرنا ابن وهب، أنبأنا نافع بن أبي نعيم: سمعت عبدالرحمن الأعرج يقول كان ابن عباس يقول ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ثم فسرها ذات حمأة، قال نافع: وسئل عنها كعب الأحبار فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس(٦١٩) وبه قال مجاهد(٦٢٠) وغير واحد»(٦٢١).

وأفادت قراءة **(حامية)**: أنه وجدها تغرب في عين ماء حارة.

قال عبدالله بن عمرو: نظر النبي ﷺ إلى الشمس حين غربت، فقال:

---

(٦١٧) الأساس في التفسير (٣٢٢٥/٦).

(٦١٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (مجلد ٨ج١٦ ص١٠). ولم أعثر عليه في مصدر آخر حسب اطلاعي.

(٦١٩) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي (ص٢٥١). وقال: حارة، ويقال طينة سوداء منتنة إن قرأت بغير ألف.

(٦٢٠) انظر: تفسير مجاهد (٣٨٠/١).

(٦٢١) تفسير ابن كثير (١٩٨/٥).

«نار الله الحامية لولا ما يَزَعُها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض»(٦٢٢).

الجمع بين القراءتين:

الآية بالقراءتين جمعت وصفين في تلك العين التي وجد ذو القرنين الشمس تغرب فيها؛ فهي عين حارة، وهي ذات طين أسود منتن.

يقول الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين، فيكون القارئ (في عين حامية) واصفها بصفتها التي هي لها، وهي الحرارة، ويكون القارئ (في عين حمئة) واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين»(٦٢٣).

٤٠ ـ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٨].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر **(جزاءُ الحسنى)** برفع الهمزة من غير تنوين.

٢. قرأ الباقون **(جزاءً الحسنى)** بفتح الهمزة منونة منصوبة مع كسر التنوين وصلاً للساكنين(٦٢٤).

١. قرأ أبو جعفر **(يُسُراً)** بضم السين.

---

(٦٢٢) تفسير القرطبي (٤٦/٦). والحديث ذكره ابن كثير في تفسيره (١٩٩/٥) بتكرار قوله «نار الله الحامية» وبزيادة (من) في بدايته وقال فيه: رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون، وفي صحة رفع هذا الحديث نظر، ولعله من كلام عبدالله بن عمرو. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١/٨) رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسمه وبقية رجاله ثقات.

(٦٢٣) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٦ ص١٠).

(٦٢٤) انظر: النشر (٢٣٦/٢)، الميسر (ص٣٠٣).

٢. قرأ الباقون (يُسْراً) بإسكان السين[٦٢٥].

اللغة والبيان:

الجزاء: الغِناء والكفاية، والجزاء: ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. يقال: جزيته كذا وبكذا[٦٢٦].

(جزاءً الحسنى): جزاءً: وفيه وجهان:

أحدهما: مصدر في موضع الحال، أي: فله الحسنى مجزياً بها والعامل فيه معنى الاستقرار الحاصل من (له) وذو الحال الهاء في (له) أي: ثبت أو استقر له الحسنى.

والثاني: مصدر محض على المعنى: أي: يجزون بها جزاءً[٦٢٧].

(جزاءُ الحسنى): جزاءُ: مبتدأ مؤخر خبره الجار والمجرور قبله، والحسنى مضاف إليه[٦٢٨]. على أنه يريد بـ(الحسنى): أعمالهم الصالحة في إيمانهم، فوعدهم بجزاء الأعمال الصالحة[٦٢٩].

وقيل: (الحسنى) بمعنى: الجنة، وأُضيف الجزاء إليها وهي الجزاء[٦٣٠]، أي: الحسنى هي الجزاء، أي: فله الجنة، كقوله تعالى: ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥][٦٣١].

---

(٦٢٥) انظر: النشر (٣٩٢/٢)، الميسر (ص٣٠٣).

(٦٢٦) انظر: مفردات الراغب (ص ١٠٥). مادة: جزا.

(٦٢٧) انظر: الفريد (٣٦٧/٣)

(٦٢٨) المغني (٣٩١/٢).

(٦٢٩) المحرر الوجيز (٥٤٠/٣).

(٦٣٠) يضاف الاسم إلى نفسه إذا اختلف لفظ المضاف والمضاف إليه، وهو هو في الحقيقة. (انظر: حجة القراءات (ص٤٣٠)).

(٦٣١) انظر: الفريد (٣٦٧/٣)، حجة القراءات (ص٤٣٠).

(يسْراً) و (يُسُراً): لغتان بمعنى واحد إلا أن (يُسُراً) تفيد المبالغة، لأن التثقيل يفيد المبالغة[٦٣٢]. والقول اليسر: هو الكلام الحسن. وصف باليسر المعنوي لكونه لا يثقل سماعه، وهو مثل قوله تعالى ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]. أي: جميلا[٦٣٣].

التفسير:

حينما خيَّر الله تعالى ذا القرنين في أهل أقصى المغرب بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام؛ اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فبيّنت الآية السابقة شأن من دعاه ذو القرنين إلى الإيمان فأبى، وهذه الآية تبيّن شأن وجزاء من دعاه فآمن، وعمل بمقتضى الإيمان.

يقول أبو حيان: «ولما ذكر ما يستحقه من آمن وعمل صالحاً؛ ذكر جزاء الله له في الآخرة وهو الحسنى، أي: الجنة لأن طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حمله على أن آمن لأجل جزائه في الآخرة، وهو عظيم بالنسبة للإحسان في الدنيا، ثم أتبع ذلك بإحسانه له في الدنيا بقوله ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: لا نقول له ما يتكلفه مما هو شاق عليه، أي: قولاً ذا يسر وسهولة، كما قال ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، ولما ذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل، بل اقتصر على القول أدباً مع الله تعالى، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه فعلاً وقولاً»[٦٣٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**جزاءُ الحسنى**): أنّ مَن آمن مِنهم وأتبع إيمانه بالعمل الصالح؛ له في الآخرة جزاء الأعمال الصالحة التي عملها أو الجنة.

---

(٦٣٢) تم الإشارة إلى هذا المفهوم مرات عدة في كلمات مختلفة. انظر على سبيل المثال (عقباً) من الآية ٤٤ من سورة الكهف.

(٦٣٣) التحرير والتنوير (مجلد ٨ج١٦ ص٢٧).

(٦٣٤) البحر المحيط (١٥٢/٦).

يقول الطبري: «وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاؤها، يعني جزاء هذه الأفعال الحسنة والوجه الثاني: أن يكون معنياً بالحسنى: الجنة، وأضيف الجزاء إليها، كما قيل ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠] والدار: هي الآخرة، وكما قال: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] والدين: هو القيم»(٦٣٥).

وأفادت قراءة **(جزاءً الحسنى)**: أنّ مَن آمن مِنهم وأتبع إيمانه بالعمل الصالح فله في الآخرة الجنة جزاءً.

ويقول الطبري: «أي: أن لهم الجنة جزاء، فيكون الجزاء نصباً على التفسير»(٦٣٦).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن قراءة النصب قد حددت المقصود من معنى قراءة الرفع؛ وذلك لأن قراءة الرفع احتملت وجهين من التفسير، أما قراءة النصب فاحتملت وجهاً واحداً وهو أعلاهما ثواباً.

٤١ ـ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف: ٩٣].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص **(السَّدَّيْن)** بفتح السين.

٢. قرأ الباقون **(السُّدَّيْن)** بضم السين.

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف **(يُفْقِهُون)** بضم الياء وكسر القاف.

٢. قرأ الباقون **(يَفْقَهُون)** بفتح الياء والقاف(٦٣٧).

---

(٦٣٥)(٦٣٦) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٦ ص١١).

(٦٣٧) انظر: النشر (٢/٢٣٦)، المغني (٢/٣٩٢ ـ ٣٩٤).

اللغة والبيان:

السُّد: ما كان خِلقة، أي: من فعل الله كالجبال والشعاب. **والسَّد**: ما كان صَنْعة، أي: من فعل الآدميين[٦٣٨]. وقيل: **السَّد**: المصدر من سددته سداً. **والسُّد**: الاسم[٦٣٩].

يفقهون: يفهمون[٦٤٠]. **(يُفقِهُون)**: من الفعل الرباعي (أفقه) وهو متعد لمفعولين، المفعول الأول: محذوف تقديره: أحداً. والمفعول الثاني: قولاً. والمعنى: لا يكادون يُفهمون السامع كلامهم.

(يَفقَهُون): من الفعل الثلاثي (فقه) وهو يتعدى لمفعول واحد، وهو: قولاً. والمعنى: لا يكادون يفهمون كلام غيرهم لجهلهم بلسان من يخاطبهم، وقلة فطنتهم[٦٤١].

التفسير:

تتحدث الآية عن الطريق الثالث الذي سلكه ذو القرنين وهو طريق معترض بين المشرق والمغرب، حيث وجد بالقرب من جبلين عظيمين قوماً لا يفهمون لسان غيرهم ولا يُفْهِمُون غيرهم.

يقول ابن عاشور: «ويظهر أن هذا السبب اتجه به إلى جهة غير جهتي المغرب والمشرق، فيحتمل أنها الشمال أو الجنوب. وعيَّنه المفسرون أنه للشمال، وبنوا على أن ذا القرنين هو إسكندر المقدوني، فقالوا: إن جهة السدين بين أرمينيا وأذربيجان. ونحن نبني على ما عيَّناه[٦٤٢] في الملقب

---

(٦٣٨) انظر: مفردات الراغب (ص٢٥٥)، مجاز القرآن (١/٤١٤)، معاني القرآن للزجاج (٣/٣١٠)، الكشف (٢/٧٥).

(٦٣٩) انظر: الحجة للقراء (٥/١٧١)، النكت والعيون (٣/٣٤) ونسبه إلى ابن عباس وقتادة والضحاك.

(٦٤٠) المستنير (١/٣٢٦). وانظر: نظم الدرر (٤/٥٠٣).

(٦٤١) انظر: الكشف (٢/٧٦)، المغني (٢/٣٩٤)، الحجة في القراءات السبع (ص١٣٧).

(٦٤٢) رجح ابن عاشور في تفسيره أن يكون ذو القرنين هو أحد ملوك الصين، واسمه (تسينشي هوانقتي) وكان موجوداً في حدود سنة سبع وأربعين ومائتين قبل الميلاد. (انظر حجته في هذا الاختيار (٨/١٦/١٩ ـ ٢٣)).

بذي القرنين، فنقول: إن موضع السدين هو الشمال الغربي لصحراء (قوبي) الفاصلة بين الصين وبلاد المغول شمال الصين وجنوب منغوليا. وقد وُجد السد هنالك، ولم تزل آثاره إلى اليوم شاهدها الجغرافيون والسائحون، وصُوِّرت صوراً شمسية في كتب الجغرافيا وكتب التاريخ العصرية. ومعنى ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أنهم لا يعرفون شيئاً من قول غيرهم فلغتهم مخالفة للغات الأمم المعروفة بحيث لا يعرفها تراجمة ذي القرنين؛ لأن شأن الملوك أن يتخذوا تراجمة ليترجموا لغات الأمم الذين يحتاجون إلى مخاطبتهم، فهؤلاء القوم كانوا يتكلمون بلغة غريبة لانقطاع أصقاعهم عن الأصقاع المعروفة، فلا يوجد من يستطيع إفهامهم مراد الملك، ولا هم يستطيعون الإفهام. ويجوز أن يكون المعنى أنهم قوم متوغلون في البداوة والبلاهة فلا يفهمون ما يقصده من يخاطبهم»[٦٤٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**السُّدَّيْن**): أن ذا القرنين قد وصل في رحلته إلى جبلين عظيمين.

وأفادت قراءة (**السَّدَّيْن**): وعلى اعتبار المصدر: أن هذين الجبلين قد سدا أو حجزا جانبي الطريق لضخامتهما وعظمهما.

يقول أبو حيان: «وسمي الجبلان سدين لأن كل واحد منهما سد فجاج الأرض»[٦٤٤].

أما قراءة (**يُفْقِهُون**) فأفادت: أن أهل تلك البلاد لا يفهمون أحداً حديثهم لعجمتهم.

يقول الزمخشري: «وقرىء يُفقِهون أي: لا يفهمون السامع كلامهم، ولا يبينونه؛ لأن لغتهم غريبة مجهولة»[٦٤٥].

---

(٦٤٣) التحرير والتنوير (٣١/١٦/٨).
(٦٤٤) البحر المحيط (١٥٣/٦).
(٦٤٥) الكشاف (٨٧/٣).

وقراءة (يَفْقَهُون) أفادت: أن هؤلاء القوم لا يفهمون لغة غيرهم سواء من أتباع ذي القرنين أو من أقوال غيرهم من الناس لغرابة لغتهم وبعدها عن لغات غيرهم.

يقول البقاعي: «أي: لا يقربون من أن يفهموه ممن مع ذي القرنين فهماً جيداً كما يفهم غيرهم، ودل وصفهم بما يأتي على أنهم يفهمون فهماً ما بَعدَ بُعدٍ ومحاولة طويلة، لعدم ماهر بلسانهم ممن مع ذي القرنين، وعدم ماهر منهم بلسان أحد ممن معه، وهذا يدل على أن بينهم وبين بقية سكان الأرض غير يأجوج ومأجوج براري شاسعة، وفيافي واسعة، منعت من اختلاطهم بهم، وأن تطيعهم بلسان غيرهم بعيد جداً لقلة حفظهم لخروج بلادهم عن حد الاعتدال، أو لغير ذلك»[646].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن ذا القرنين قد وصل في رحلته الثالثة إلى مكان بين جبلين قد سدا جانبي الطريق، لعظمهما. وأنه وجد من ورائهما أمة من الناس لا يكادون يفهمون كلام أتباعه ولا كلام غيرهم، ولا يستطيعون إفهام لغتهم لغيرهم، لأنهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم، إما لبعد لغتهم عن لغات غيرهم، بسبب بعدهم عن الناس، أو لقلة فطنةٍ فيهم، لأن الفطن يستطيع إفهام غيره، وفهم ما يراد بالقول بالقرائن وفحوى الحال.

٤٢ ـ قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

القراءات:

١. قرأ عاصم (**يأجوج ومأجوج**) بالهمز.

٢. قرأ الباقون (**ياجوج وماجوج**) بغير همز[647].

---

(٦٤٦) نظم الدرر (٥٠٣/٤ ـ ٥٠٤).

(٦٤٧) انظر: النشر (٣٠٦/١).

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**خَرَاجاً**) بفتح الراء وألف بعدها.

٢. قرأ الباقون (**خَرْجاً**) بإسكان الراء من غير ألف فيها.

١. قرأ حفص وحمزة والكسائي وابن كثير وأبو عمرو وخلف العاشر (**سَدًّا**) بفتح السين.

٢. قرأ نافع وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ويعقوب (**سُدًّا**) بضم السين[٦٤٨].

اللغة والبيان:

اختلف العلماء في **يأجوج ومأجوج**، فقيل: هما اسمان أعجميان لقبيلتين لا اشتقاق لهما.

وقيل: هما اسمان عربيان مشتقان من: أجيج النار، وهو التهابها، وشدةُ توقُّدِها. وقيل: من الأَجة: وهو الاختلاط، أو شدة الحر. وقيل من الأجِّ، وهو سرعة العَدْو. وقيل من الأُجاج، وهو الماء الملح الزعاق[٦٤٩]. فيكون وزنه: يفعولاً ومفعولاً[٦٥٠]. وعلى اعتبار عدم الهمز فيهما يكون وزنهما واحداً وهو: فاعول.

وحيث إن الأسماء الأعجمية سوى هذا الحرف غير مهموزة نحو: طالوت وجالوت[٦٥١]. لذلك يمكن اعتبار أن القراءة بالهمز على أنهما عربيان مشتقان، والقراءة بغير همز على اعتبار أنهما أعجميان[٦٥٢].

(٦٤٨) انظر: النشر (٢/٢٣٦)، المغني (٢/٣٩٢ ـ ٣٩٣). وانظر معاني القراءتين عند موضع (السدين) الآية ٩٣ من السورة ص٢٢٧.

(٦٤٩) انظر: الدر المصون (٤/٤٨٢).

(٦٥٠) الكشف (٢/٧٧).

(٦٥١) حجة القراءات (ص٤٣٣).

(٦٥٢) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص١٣٧).

الخراج: مختص في الغالب بالضريبة على الأرض في كل شهر أو في كل عام[(٦٥٣)].

أما **الخرج**: فهو الجُعل[(٦٥٤)]. وقال أبو عمر: الخرج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه[(٦٥٥)].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن شكاية ساكني البلاد التي وصل إليها ذو القرنين مما يلي السدين مما يلقون من يأجوج ومأجوج، ورجاؤهم عنده ما ينفعهم من منع إفساد تينك القبيلتين، وما عرضوه عليه مقابل ذلك.

يقول البقاعي: «﴿قَالُوا۟﴾ أي: مترجموهم أو جيرانهم - الذين من دونهم - كما في مصحف ابن مسعود ممن يعرف بعض كلامهم، أو بالإشارة كما يخاطب إليكم: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ مسنا الضر ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ وهما قبيلتان من الناس من أولاد يافث، لا يطاق أمرهم، ولا يطفأ جمرهم، وقد ثبت في الصحيحين في حديث بعث النار أنهم من ذرية آدم عليه السلام[(٦٥٦)]

---

(٦٥٣) انظر: مفردات الراغب (ص ١٦٣) مادة: خرج، الكشف (٧٧/٢)، الفريد (٣٧٠/٣).

(٦٥٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١٥٩/٢)، حجة القراءات (ص٤٣٣)، الكشف (٧٨/٢)، الفريد (٣٧٠/٣).

(٦٥٥) اللباب (٥٦٤/١٢).

(٦٥٦) الحديث أخرجه البخاري (١٢٢١/٣) حديث رقم (٣١٧٠) ومسلم (٢٠١/١) حديث رقم (٢٢٢) وأحمد (٣٢/٣). من حديث أبي سعيد الخدري. واللفظ لمسلم: «قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ: يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول أخرج بعث النار، قال وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك حين يشيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ قال فاشتد ذلك عليهم، قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ فقال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً، ومنكم رجل، قال ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر=

﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بأنواع الفساد ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾[٦٥٧] نخرجه لك من أموالنا.. على أن تجعل في جميع ما بيننا وبينهم من الأرض التي يمكن توصلهم إلينا منها بما آتاك الله من المكنة سداً يصل بين هذين الجبلين»[٦٥٨].

يقول ابن عاشور: «وافتتاحهم الكلام بالنداء أنهم نادوه نداء المستغيثين المضطرين. ونداؤهم إياه بلقب ذي القرنين يدل على أنه مشهور بمعنى ذلك اللقب بين الأمم المتاخمة لبلاده»[٦٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بيّنت قراءة (ياجوج وماجوج) بغير همز اسم قبيلتين لهما شأن كبير في التسبب بالإفساد في الأرض والإضرار بالعباد.

أما قراءة (يأجوج ومأجوج) بالهمز فقد بيّنت حال هاتين القبيلتين من الكثرة وأنهما أخلاطٌ من أصناف، وسرعتهما في العدو والإغارة، وأنهما غاية في الاضطراب والإفساد والإهلاك فهما كالنار المتقدة التي تقضي على الأخضر واليابس، وكالملح المر الذي يصيب كل ما يصل إليه فيسبب الفساد والهلاك.

يقول ابن عاشور: «واختلف المفسرون في أنه اسم عربي أو معرَّب. وغالب ظني أنه اسم وضعه القرآن حاكى به معناه في لغة تلك الأمة، المناسب لحال مجتمعهم فاشتق لهما من مادة الأج. وهو الخلط. إذ علمت

= أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار».

(٦٥٧) قال أبو حيان: استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على ما طلبوا على جهة حسن الأدب إذ سألوه ذلك كقول موسى للخضر ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [الكهف: ٦٦]. تفسير البحر المحيط (١٥٤/٦))

(٦٥٨) نظم الدرر (٥٠٤/٤).

(٦٥٩) التحرير والتنوير (٣٢/١٦).

أن تلك الأمة كانت أخلاطاً من أصناف»[٦٦٠].

وأفادت قراءة (الخرج) أن أهل تلك البلاد التي وصل إليها ذو القرنين قد استنجدوا به ليخلصهم من أذى يأجوج ومأجوج فعرضوا عليه أن يجعلوا له جعلاً ـ أي: مالاً يجمعونه منهم ـ مقابل تخليصهم.

يقول مكي بن أبي طالب: «كأنهم قالوا له: نجعل لك جُعلاً ندفعه إليك الساعة من أموالنا مرة واحدة، على أن تبني بيننا وبينهم سداً»[٦٦١].

وأفادت قراءة (خراجاً) مدى شدة حاجة ساكني تلك المنطقة إلى الخلاص بحيث عرضوا على ذي القرنين أن يجعلوا ضريبة على أموالهم وأراضيهم يخرجونها له كل شهر أو عام باستمرار مقابل بناء السد وتخليصهم.

ويقول مكي بن أبي طالب في ذلك: «أي: فهل نجعل لك أجرة نؤديها إليك في كل وقت نتفق عليه كالجزية على أن تبني بيننا وبينهم سداً أي حاجزاً. فالخراج ما يؤدى في كل شهر أو في كل سنة»[٦٦٢].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن القرآن الكريم قد وصف حال يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض ومدى فسادهم من خلال أسمائهم. كما بيَّن شدة حاجة من جاورهم إلى الخلاص من أذاهم حيث عرضوا على ذي القرنين جعلاً يجعلونه من أموالهم مقابل خلاصهم وبناء سد يسد ما بين الجبلين من فرجة، فيمنع تينك القبيلتين من الإغارة عليهم، وإن كلفهم هذا الأمر بجانب الجعل أن يخرجوا ضريبة سنوية أو شهرية على أرضهم يدفعونها لذي القرنين مقابل ذلك.

٤٣ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ

(٦٦٠) التحرير والتنوير (٣٤/١٦).

(٦٦١)و(٦٦٢) الكشف (٧٨/٢).

﴿وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٥].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير (مَكَّنَنِي) بإظهار النونين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.

٢. قرأ الباقون (مَكَّنِّي) بالإدغام(٦٦٣).

اللغة والبيان:

مَكَّنِّي: أي: بسط الله لي من القدرة والملك(٦٦٤).

ويقول ابن الجوزي: وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان:

أحدهما: أنه العلم بالله وطلب ثوابه.

والثاني: ما ملك من الدنيا(٦٦٥).

الردم: سد الثلمة بالحجر(٦٦٦). والردم أكثر من السد، لأن الردم ما جُعل بعضه فوق بعض، يُقال: ثوب مُردَّم، إذا كان قد رُقِع رقعة فوق رقعة(٦٦٧).

التفسير:

الآية استكمالٌ لقصة ذي القرنين مع المستغيثين من يأجوج ومأجوج. فحينما عرضوا عليه جعلاً أو فريضة من أموالهم لقاء بناء سد لهم يقيهم من بأس يأجوج ومأجوج؛ أجابهم بلسان الشاكر لأنعم الله، المستغني عن أموال العباد لقاء مرضاة الله. وطلب الاستعانه بهم في بناء ردم أكبر وأحصن من السد الذي يرجونه.

يقول ابن عطية: «قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة

(٦٦٣) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، المغني (٢/٣٩٦).

(٦٦٤) البحر المحيط (٦/١٥٥).

(٦٦٥) زاد المسير (٥/١٩٢).

(٦٦٦) مفردات الراغب (ص ٢١٨) مادة: ردم.

(٦٦٧) معاني الزجاج (٣/٣١١).

والملك خير من خرجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وبعمل منكم بالأيدي...، وهذا من تأييد الله تعالى لذي القرنين، فإنه تَهَدَّى في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه، فإن القوم لو جمعوا له خرجاً لم يعنه منهم أحد، ولوكلوه إلى البنيان، ومعونتهم بالقوة أجمل به، وأمر يطاول مدة العمل، وربما أربى على المُخرَج، والردم أبلغ من السد، إذ السد كل ما سد به، والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع»[٦٦٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(مكَّنني)** بإظهار النونين: أن تمكينه ظاهر وبائن للعيان من امتلاكة للمال والقوة والسلطان.

وأفادت قراءة **(مكَّنِّي)**: أن هذا التمكين منه ما هو ظاهر للعيان ومعروف، ومنه ما هو مختص بذي القرنين لا يطلع عليه أحد لأنه تمكين إيماني ونفسي وهداية من الله. وعلى ذلك فإظهار النون إشارة إلى التمكين الظاهري، وإدغامها إشارة إلى التمكين الباطني. والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن الله ﷻ قد مكّن لذي القرنين تمكينين استطاع من خلالهما أن يملك مشارق الأرض ومغاربها.

الأول: تمكين بالملك والسلطان.

الثاني: تمكين بالعلم والإيمان والهداية.

يقول البقاعي: «ولما كانت لمكنته حالتان: إحداهما ظاهرة، وهي ما شوهد من فعله بعد وقوعه، وباطنة ولا يقع أحد عليها بحدس ولا توهم، لأنها مما لم يؤلف مثله، فلا يقع المتوسم عليه، قرأ ابن كثير بإظهار النون في (مكنني) وغيره بالإدغام، إشارة إليهما»[٦٦٩].

---

(٦٦٨) المحرر الوجيز (٣/٥٤٢).

(٦٦٩) نظم الدرر (٤/٥٠٤).

٤٤، ٤٥ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الكهف: ٩٥ ـ ٩٦].

القراءات:

١. قرأ شعبة بخلف عنه (**ردماً ائتوني**) بكسر تنوين (ردماً) وهمزة ساكنة بعده في الوصل. ويبتدئ (**إِيتوني**) بهمزة وصل مكسورة، ويبدل بالهمزة الساكنة بعدها ياء.

٢. قرأ الباقون (**ردماً آتوني**) بإسكان التنوين في (ردماً) وهمزة قطع مفتوحة وبعدها ألف ثابتة وصلاً ووقفاً وهو الوجه الثاني لشعبة.

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (**الصُّدُفَيْن**) بضم الصاد والدال.

٢. قرأ شعبة (**الصُّدْفَيْن**) بضم الصاد وإسكان الدال.

٣. قرأ الباقون (**الصَّدَفَيْن**) بفتح الصاد والدال[٦٧٠].

١. قرأ شعبة بخلف عنه، وحمزة (**قال ائتوني**) وصلاً.

٢. قرأ الباقون (**قال آتوني**) وصلاً. وهو الوجه الثاني لشعبة[٦٧١].

اللغة والبيان:

آتوني: أعطوني[٦٧٢]. وهو أراد به تكليف المناولة بالأنفس[٦٧٣].

ائتوني: جيئوني، أو هو بمعنى أحضروا لأن جاء وحضر متقاربان[٦٧٤]. وهي أشبه بقوله ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لأنه كلفهم المعونة على عمل

---

(٦٧٠) انظر: النشر (٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧)، المغني (٢/٣٩٦ ـ ٣٩٧).

(٦٧١) انظر: الميّسر (ص٣٠٣).

(٦٧٢) معاني القرآن للفراء (٢/١٦٠)، الفريد (٣/٣٧١).

(٦٧٣) انظر: الحجة للقراء السبعة (٥/١٧٦).

(٦٧٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٨).

السد، ولم يقبل الخراج الذي بذلوه، فإنما هو معونة على ما كلفهم من قوله ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[٦٧٥]. فيكون معناه: جيئوني بما هو معونة[٦٧٦].

الصدف: كل شيء مرتفع كالجبل. أو هو: جانب الجبل[٦٧٧]. والصُّدُفان والصَّدَفان والصُّدْفان. كلها لغات مشهورة في هذه الكلمة، وهما: الجبلان المتقابلان، فكأن أحدهما صادف صاحبه، ولذلك لا يقال ذلك لما انفرد بنفسه عن أن يلاقي مثله من الجبال[٦٧٨].

ما بين الصدفين: أي: ما بين الناحيتين من الجبلين[٦٧٩]. بينهما طريق[٦٨٠].

ولكن البقاعي وبكلام بغاية الروعة والدلالات استثمر الحركات ودلالاتها ليبيّن معنى كل قراءة من القراءات في كلمة (الصدفين)، حيث قال: «وقراءة من فتح الصاد والدال دالة على أن تقابلهما في غاية الاستقامة، فكأنهما جدار فتح فيه باب، وقراءة ضم الصاد والدال دالة على أنه مع ذلك في غاية القوة حتى إن أعلاه وأسفله سواء، وقراءة ضم الصاد وإسكان الدال دالة على أشد ثبات وأتقنه في كل منهما، فلا ينتخر شيء منهما على الزمان بريح ولا غيرها من فساد في أحد الجانبين برخاوة من سياخ[٦٨١] أو غيره»[٦٨٢].

التفسير:

بعدما رفض ذو القرنين أن يأخذ أجراً على بناء السد، طلب الاستعانه

(٦٧٥) الحجة للقراء السبعة (١٧٥/٥).
(٦٧٦) حجة القراءات (ص٤٣٤).
(٦٧٧) اللسان (٢٤١٦/٣ ـ ٢٤١٧). مادة: صدف.
(٦٧٨) انظر: المحتسب (٣٤/٢)، الفريد (٣٧١/٣ ـ ٣٧٢).
(٦٧٩) التبيان في تفسير غريب القرآن (٢٧٩/١)، مجاز القرآن (٤١٤/١).
(٦٨٠) معاني القراءات (ص٢٧٧).
(٦٨١) سياخ: غوص في الأرض. انظر: اللسان (٢١٤١/٣) مادة: سوخ.
(٦٨٢) انظر: نظم الدرر (٥٠٥/٤).

بهم في بناء ردم أكبر وأحصن من السد الذي يرجونه، وذلك بأن يمدوه بالعمال والآلات التي تساعد في إنجاز العمل، ثم شرع في بنائه بمساعدتهم.

يقول البغوي: «قال لهم ذو القرنين ما قواني عليه ربي خير من جُعلكم، فإني لا أريد المال، بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم أجعل بينكم وبينهم ردماً أي سداً، قالوا وما تلك القوة؟ قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة؟ قال جيئوني بقطع الحديد فأتوه بها وبالحطب، وجعل بعضها على بعض، فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى إذا سوى بين طرفي الجبلين قال انفخوا، وفي القصة أنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ثم قال انفخوا يعني في النار، حتى إذا صار الحديد ناراً قال آتوني قطراً أفرغ عليه، والإفراغ الصب، والقطر هو النحاس المذاب، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس، قال قتادة: هو كالبُرد المُحَبَّر طريقة سوداء وطريقة حمراء[(٦٨٣)]، وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعاً وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ»[(٦٨٤)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**ائتوني**) بعد (ردم) مكسورة التنوين وبهمزة ساكنة بعده في الوصل: أن ذا القرنين طلب من أولئك القوم أن يجيئوه بقطع الحديد.

قال البيضاوي: «قراءة أبي بكر (ردماً ائتوني) بكسر التنوين موصولة الهمزة، على معنى: جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها كما في: أمرتك الخير، ولأن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة دون الخراج على

(٦٨٣) هذا جزء من حديث رواه الطبري في جامع البيان (٢٠/١٦) عن قتادة قال: «ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال: انعته لي، قال: كأنه البرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد رأيته» وقال فيه ابن كثير: هذا حديث مرسل. (٢٠٣/٥).

(٦٨٤) انظر: تفسير البغوي (١٨٢/٣). بتصرف. والبُرد المُحَبَّر: الثوب الملون.

العمل»[٦٨٥].

أما قراءة **(قال ائتوني)** بالقطع وصلاً فأفادت: أن ذا القرنين طلب منهم أن يحضروا للعمل لمساعدته في بناء الردم. وأن يأتوه بالقطر ليفرغه على زبر الحديد.

يقول ابن عاشور: «وقرأه حمزة وأبو بكر عن عاصم (ائتوني) على أنه أمر من الإتيان. أي: أمرهم أن يحضروا للعمل»[٦٨٦]. والمعنى جيئوني به أفرغه عليه»[٦٨٧].

وأفادت قراءة **(ردماً آتوني)** و **(آتوني أفرغ)** بأن ذا القرنين طلب منهم أن يعطوه زبر الحديد، والقطر والمقصود بها هو: استدعاء العطية التي بغير معنى الهبة، وإنما هو استدعاء للمناولة، وعمل الأبدان؛ لأنه رفض أخذ العطية والأجر على المساعدة.

يقول القرطبي: «أي أعطوني زبر الحديد وناولونيها، أمرهم بنقل الآلة، وهذا كله إنما استدعاء العطية التي بغير معنى الهبة، وإنما هو استدعاء للمناولة، لأنه قد ارتبط من قوله: إنه لا يأخذ منهم الخرج، فلم يبق إلا استدعاء المناولة، وأعمال الأبدان»[٦٨٨].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن ذا القرنين طلب من أولئك القوم أن يساعدوه في بناء ردم يحجز عنهم يأجوج ومأجوج، وأن هذا الطلب لا ينافي عزوفه عن قبول الخرج أو الخراج، وقد وضّحت قراءة القطع وبيّنت أن المقصود هو الاستعانة بهم في المساعدة والمناولة وليس المقصود من قراءة المد الإعطاء بمعنى الهبة، وعلى ذلك فقراءة القطع وضّحت قراءة المد.

(٦٨٥) تفسير البيضاوي (٣ / ٥٢٣).

(٦٨٦) التحرير والتنوير (٣٨/١٦).

(٦٨٧) زاد المسير (١٩٣/٥).

(٦٨٨) تفسير القرطبي (٥٦/٦).

كما اتضح بالجمع بين قراءات (الصدفين) صفات هذا البناء الذي استعان ذو القرنين بأهل تلك البلاد على بنائه ليحجز عنهم قومي يأجوج ومأجوج ويقيهم من شرورهم، حيث إن تقابل الجبلين في غاية الاستقامة، فكأنهما جدار فتح فيه باب، وهما في غاية القوة حتى إن أعلاهما وأسفلهما سواء، وأنهما في غاية الثبات والقوة، فلا ينتخر شيء منهما على الزمان بريح ولا غيرها من فساد في أحد الجانبين، وبالتالي فالردم في غاية الاستقامة والعلو والقوة والثبات فلا يتعرض للانهيار أو السقوط بسبب قوة الجبلين ومتانتهما وقدرتهما للصمود في وجه العوامل الجوية. فكأنه وصف للردم لا وصف للجبلين. وهذا من إعجاز القرآن في ألفاظه ودلالاته.

٤٦ ـ قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف: ٩٧].

القراءات:

١. قرأ حمزة **(اسطّاعوا)** بتشديد الطاء.

٢. قرأ الباقون **(اسطَاعوا)** بتخفيف الطاء[٦٨٩].

اللغة والبيان:

الاستطاعة: القدرة على الشيء[٦٩٠]. وهي: استفالة من الطوع، وذلك وجود ما يصير به الفعل متأتيا، وهي عند المحققين اسم للمعاني التي بها يتمكن الإنسان مما يريده من إحداث الفعل، وهي أربعة أشياء: بنية مخصوصة للفاعل. وتصور للفعل، ومادة قابلة لتأثيره، وآلة إن كان الفعل آلياً كالكتابة، ويضاده العجز، وقيل: الاستطاعة أخص من القدرة[٦٩١].

(٦٨٩) انظر: النشر (٢/٢٣٧).

(٦٩٠) اللسان (٤/٢٧٢١).

(٦٩١) انظر: مفردات الراغب (ص٣٤٦ ـ ٣٤٧)، بصائر ذوي التمييز (٢/١٨٧).

وأصل (اسطاعوا): استطاعوا بالتاء، ولاتحاد التاء والطاء في المخرج، حذفت التاء ليخفَّ اللفظ[٦٩٢].

أما (اسطَّاعوا) فأصلها أيضاً استطاعوا وأدغمت التاء في الطاء لأنهما أختان[٦٩٣]. وبذلك جمع بين السين وهي ساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة أيضاً[٦٩٤].

والتضعيف يُقصد به المبالغة، كما أن تكرار الحرف إشارة إلى تكرار الحدث[٦٩٥]. ونظراً لأن من صفات الطاء الشدة؛ فإن الشِّدة هنا مضعفة لتشديد الطاء في (اسطّاعوا).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن متانة الردم الذي بناه ذو القرنين بحيث لم يستطع قوما يأجوج ومأجوج أن يعلوه لارتفاعه وملاسته ولا أن يثقبوه لمتانته.

يقول المنصوري: «فعلوا ما أُمروا به فصار جبلاً صلداً، فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه وينقبوه فلم يستطيعوا ولم يقدروا أن يعلوه لارتفاعه وملاسته، ولم يستطيعوا أن ينقبوه لثخنه وصلابته، وهذه خارقة عظيمة، لأن تلك الزبر الكثيرة بالنفخ فيها تكون كالنار، وإفراغ القطر عليها أي: النحاس المذاب شبه مستحيل، فكان ما كان، والله على كل شيء قدير. وقيل: بناه من الصخور مرتباً بعضها ببعض بكلابيب من حديد ونحاس مذاب»[٦٩٦].

---

(٦٩٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٣١٢)، اللسان (٤/٢٧٢١)، مفاتيح الأغاني (ص٢٦٤) ويعتبر الكرماني أن التاء والطاء متقاربان في المخرج.

(٦٩٣) انظر: حجة القراءات (ص٤٣٥).

(٦٩٤) الحجة للقراء (٥/١٧٨). وقد ناقش أبو علي قضية الجمع بين ساكنين، وبين أقوال العلماء، ثم وجد مسوغاً لذلك واستشهد عليه من أشعار سيبويه. فانظره: (٥/١٧٩ ـ ١٨٢).

(٦٩٥) انظر: بلاغة الكلمة (ص٤٢).

(٦٩٦) انظر: المقتطف (٣/٢٨٢).

وقال القرطبي: «ما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوه ويصعدوا فيه؛ لأنه أملس مستو مع الجبل، والجبل عال لا يرام، وارتفاع السد مائتا ذراع وخمسون ذراعاً، وروي في طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ، وفي عرضه خمسون فرسخ؛ قاله وهب بن منبه. قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ لبعد عرضه وقوته، وروي في الصحيح عن أبي هريرة[٦٩٧] عن النبي ﷺ قال: (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وعقد وهب بن منبه بيده تسعين ـ وفي رواية ـ وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، وذكر الحديث»[٦٩٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(اسطَاعوا)** بتخفيف الطاء: أن يأجوج ومأجوج لم يقدروا على أن يعلوا الردم لملاسته.

وأفادت قراءة **(اسطّاعوا)** بتشديد الطاء: انتفاء القدرة مطلقاً في حق يأجوج ومأجوج على تسلق الردم، رغم محاولاتهم المستمرة، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى: ايحاءات حروف الكلمة؛ وذلك لأن اجتماع ساكنين في كلمة واحدة يوحي بسكون الحركة، وبذلك عجزوا عجزاً شديداً عن علو الردم أو حتى تسلقه. كما أن وجود التشديد في حرف من حروف الكلمة يوحي بقوة الحرف وشدته، فما بالنا إذا اجتمع مع شدة النطق بالحرف صفة الشدة فيه؟ وبذلك تكون المشقة مضاعفة، والحركة أكثر بطئاً وصعوبة.

أما الناحية الثانية: فهي أنهم لا يملكون مقومات الاستطاعة الكاملة

(٦٩٧) أخرجه البخاري (١٢٢١/٣) كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج حديث رقم (٣١٦٩). ومسلم (٢٢٠٨/٤) كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج. حديث رقم (٢٨٨١). من طريق وهيب... به.

(٦٩٨) انظر: تفسير القرطبي (٥٨/٦).

فهم قوم كما وصفهم العلماء؛ همجيون لا يعرفون غير الاعتداء والقتل والسلب. لذلك تركوا التسلق لعصيانه عليهم.

ومما يدل على تركهم للتسلق: الحديث الذي رواه أبو هريرة. وحديث آخر بيَّن فيه أن همهم الذي داوموا عليه هو النقب في الردم، حيث لم يُشر الحديث إلى التسلق. وهذا يدل على استعصائه عليهم رغم تكراره عدة مرات، ثم تركه وانشغالهم بما هو أكثر سهولة منه، ألا وهو النقب، رغم تكرار المحاولات فيه، حتى يتم لهم الأمر بمشيئة الله.

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيستثني فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً[٦٩٩] في رقابهم فيقتلهم بها، قال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم»[٧٠٠].

(٦٩٩) النَغَف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. الواحدة: نَغَفَة. (مختار الصحاح (ص٦٩٥)).

(٧٠٠) أخرجه ابن ماجة (١٣٦٤/٢) كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، حديث رقم (٤٠٨٠). والترمذي (٣١٣/٥) كتاب التفسير. حديث رقم (٣١٥٣) عن قتادة ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم في مستدركه (٥٣٤/٤) حديث رقم (٨٥٠١) وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال فيه ابن كثير: وهذا إسناده جيد قوي، ولكن في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من إرتقائه ولا من نقبه، لإحكام بنائه وصلابته وشدته. ثم قال: ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن قراءة تشديد الطاء أكدت قراءة عدم التشديد، وكلتاهما قد أكدت استحالة قدرة يأجوج ومأجوج على تسلق الردم. وأن خروجهم سيكون عن طريق النقب عندما يشاء الله. وهذا على الرغم مما قيل من أقوال في الحديث الذي تم الاستئناس فيه لتدعيم هذا الرأي، لأن هذا الحديث يدعمه الحديث الذي روي في الصحيحين[٧٠١] عن زينب بنت جحش زوج الرسول ﷺ في أن الخروج سيكون عن طريق الفتح في الردم. وكذلك حديث أبي هريرة الذي روي في الصحيحين أيضاً وسبق ذكره[٧٠٢].

٤٧ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٩٨].

القراءات:

١. قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (دكّاءَ) بالمد والهمز مفتوحاً من غير تنوين.
٢. قرأ الباقون (دكًّا) بالتنوين من غير مد[٧٠٣].

اللغة والبيان:

الدك: الدق[٧٠٤]. دكّاً: أي: دكّه دكّاً[٧٠٥]. أي: مدكوكاً، أو ذا

---

(٧٠١) عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد أقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وحلق. قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث».

(٧٠٢) انظر: ص٢٤٣.

(٧٠٣) انظر: النشر (٢/٢٠٤).

(٧٠٤) مختار الصحاح (ص٢٢٨). مادة: دكك.

(٧٠٥) مفاتيح الأغاني (ص٢٦٥).

دك[٧٠٦].

دكّاء: أي: جعله مثل دكّاء، والعرب تقول: ناقة دكّاء: أي: لا سنام لها[٧٠٧]. وهي على وزن فعلاء. وهي: كل ما انبسط من الأرض من مُرتَفَع. وهي: الأرض الملساء[٧٠٨]. وقيل: أي: مساوياً للأرض فليغور فيها أو يذوب حتى يصير تراباً[٧٠٩].

التفسير:

حين فرغ ذو القرنين من بناء السد ورأى أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يعلوا الردم أو أن ينقبوه، أو أن يعتدوا على من دونه قال هذا الذي بنيته وأعانني عليه الله من فضله وآثار رحمته بهم؛ أن حجز عنهم فساد يأجوج ومأجوج، ولكن حين تحين مشيئة الله يدكه دكاً فيجعله أرضاً مستوية ملساء كأن لم يكن من قبل.

يقول د. وهبة الزحيلي: «قال ذو القرنين لأهل تلك الديار: هذا السد نعمة وأثر من آثار رحمة ربي بهؤلاء القوم أو بالناس؛ لحيلولته بين يأجوج ومأجوج وبين الفساد في الأرض، فإذا حلَّ أجل ربي بخروجهم من وراء السد، جعله ربي مدكوكاً منهدماً، مستوياً ملصقاً بالأرض، وكان وعد ربي بخرابه وخروج يأجوج ومأجوج وبكل ما وعد به حقاً ثابتاً لا يتخلف، كائناً لا محالة»[٧١٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**دكًا**): أنه حين يأتي موعد خروج يأجوج ومأجوج سيجعل الله الردم يندق ويتفتت حتى يستوي بالأرض.

---

(٧٠٦) الفريد (٣٧٣/٣).

(٧٠٧) انظر: حجة القراءات (ص٤٣٥).

(٧٠٨) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣١٢/٣).

(٧٠٩) حاشية الجمل (٤٨/٣).

(٧١٠) التفسير المنير (٢٨/١٦).

وأفادت قراءة (دكّاء): أنه حينما يأتي موعد خروج يأجوج ومأجوج سيجعل الله ذلك الردم كالأرض المستوية الملساء. زيادة في بيان اندثاره.

الجمع بين القراءتين:

بيّنت قراءة المد حال هذا الردم المتفتت وما آل إليه، فأصبح كالأرض المستوية الملساء.

يقول الطبري عند تفسير الآية ١٤٣ من سورة الأعراف: «واختلف القراء في قراءة قوله: (دكاً) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة: (دكا) مقصوراً بالتنوين، بمعنى: دك الله الجبل دكاً؛ أي فتته، واعتباراً بقول الله: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الفجر: ٢١]. وقوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤] وقرأته عامة قراء الكوفيين: «جعله دكاء» واختلف أهل العربية في معناه إذا قرئ كذلك. فقال بعض نحويي البصرة: العرب تقول: ناقة دكاء: ليس لها سنام، وقال: الجبل مذكر، فلا يشبه أن يكون منه إلا أن يكون جعله مثل دكاء حذف مثل وأجراه مجرى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وكان بعض نحويي الكوفة يقول: معنى ذلك: جعل الجبل أرضا دكاء، ثم حذفت الأرض وأقيمت الدكاء مقامها إذ أدت عنها روي عنه ﷺ أنه قال: «فساخ الجبل» ولم يقل: فتفتت، ولا تحول تراباً. ولا شك أنه إذا ساخ فذهب ظهر وجه الأرض، فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها، وصارت دكاء بلا سنام. وأما إذا دك بعضه فإنما يكسر بعضه بعضاً ويتفتت ولا يسوخ وأما الدكاء فإنها خلف من الأرض، فلذلك أنثت على ما قد بينت. فمعنى الكلام إذن: فلما تجلى ربه للجبل ساخ، فجعل مكانه أرضا دكاء»(٧١١).

٤٨ ـ قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

---

(٧١١) انظر: تفسير الطبري: (مجلد ٦ ج٩ ص٣٨) ببعض الاختصار.

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**أن يَنْفَد**) بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون (**أن تَنْفَد**) بالتاء على التأنيث[٧١٢].

اللغة والبيان:

النفاد: الفناء. يُقال: نَفِدَ يَنْفَدُ[٧١٣]. أي: يفنى ويفرغ[٧١٤].

قال الأزهري: من قرأ (تنفد) فلأن الكلمات جماعة مؤنثة. ومن قرأ (ينفد) ذهب إلى معنى الكَلِم، وتقدُّم الفعل[٧١٥]. أي أن (كلمات) تأنيث مجازي وإن كان لفظه مؤنثاً[٧١٦] بمعنى (الكلم) الذي يفيد جمع الكثرة.

كلمات ربي: قال قتادة: كلام الله وحكمته. وقال مجاهد: علم ربي[٧١٧].

مداداً: هو اسم لما تمد به الدواة من الحبر[٧١٨]. وسمي المداد مداداً؛ لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة[٧١٩]. والمداد كله مخلوق، وكلام الله الذي يكتب بالمداد غير مخلوق[٧٢٠].

مدداً: عوناً وزيادة[٧٢١].

---

(٧١٢) انظر: النشر (٢/٢٣٧).
(٧١٣) انظر: مفردات الراغب (ص٥٥٦).
(٧١٤) انظر: كلمات القرآن (ص١٨٤).
(٧١٥) معاني القراءات (ص٢٧٩).
(٧١٦) انظر: اللباب (١٢/٥٧٧ ـ ٥٧٨).
(٧١٧) انظر: الدر المنثور (٥/٤٦٨).
(٧١٨) البحر المحيط (٦/١٥٩).
(٧١٩) اللباب (١٢/٥٧٧).
(٧٢٠) كتب ورسائل ابن تيمية في التفسير (١٢/٥٦٨).
(٧٢١) مجمع البيان (٦/٣٦٩).

سبب نزول الآية:

رُوي في سبب نزولها: ما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل؟ فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه، فنزلت: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ الآية(٧٢٢).

التفسير:

لما ادعت يهود أنها قد أوتيت علماً كثيراً، وتباهت بالتوراة وبأن فيها علم كل شيء؛ بيَّن سبحانه في هذه الآية أن ما أوتي اليهود من علم الله لا يعدو قطرة من علمه غير المتناهي، يتكلم بمشيئته وقدرته شيئاً بعد شيء. فهو لم يزل متكلماً إذا شاء، وأن كلماته لا نهاية لها. وهذا مذهب السلف.

يقول د. وهبة الزحيلي في تفسير الآية: «أي: قل أيها الرسول لهم: لو كُتبت كلمات علم الله وحكمته، وكان ماء البحر حبراً للقلم الذي يكتب به، والقلم يكتب، لنفد البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك، ولو جيء بمثل البحر آخر وآخر وهكذا لنفد أيضاً، ولم تنفد كلمات الله. وهذا دليل على كثرة كلمات الله، وسعة علم الله وحكمته وأسراره، بحيث لا تضبطها الأقلام والكتب، ونظير الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧](٧٢٣).

(٧٢٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٠٤/٥) في كتاب التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل. حديث رقم (٣١٤٠) من طريق عكرمة عن ابن عباس. وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وأخرجه أحمد في مسنده (٢٥٥/١). وذكره السيوطي في لباب النقول (ص١٧٩). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص٢٣٠).

(٧٢٣) التفسير المنير (٤٢/١٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(أن ينفد)**: الإشارة إلى علم الله؛ بأنه غير متناهٍ لا ينفد ولا يفنى.

يقول ابن عاشور: «لما ابتدأت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن، ثم أُفيض فيها من أفانين الإرشاد والإنذار والوعد والوعيد، وذُكر فيها من أحسن القصص ما فيه عبرة وموعظة، وما هو خفي من أحوال الأمم؛ حُوِّل الكلام إلى الإيذان بأن كل ذلك قليل من عظيم علم الله تعالى. فهذا استئناف ابتدائي، وهو انتقال إلى التنويه بعلم الله تعالى مفيض العلم على رسوله ﷺ لأن المشركين لما سألوه عن أشياء يظنونها مفحمة للرسول، وأن لا قبل له بعلمها علمه الله إياها، وأخبر عنها أصدق خبر، وبينها بأقصى ما تقبله أفهامهم، وبما يقصر عنه علم الذين أغروا المشركين بالسؤال عنها. وكان آخرها خبر ذي القرنين، أتبع ذلك بما يُعلم منه سعة علم الله تعالى، وسعة ما يجري على وفق علمه من الوحي إذا أراد إبلاغ بعض ما في علمه إلى أحد من رسله. وفي هذا رد عجز السورة على صدرها»(٧٢٤).

وأفادت قراءة **(أن تنفد)**: الإشارة إلى كلام الله وحكمته. وأن كلمات الله لا يلحقها فناء ولا تتناهى لأن علمه ومقدرته لا تتناهى، وكما أن العلم والقدرة من صفات الله؛ كذلك الكلام من صفاته عز في علاه، وأنه ليس بمخلوق كما كان يدعي المشركون. وفي ذلك أيضاً رد على كل من أنكر صفة الكلام لله أو أولها.

يقول ابن قدامة: «فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولاً للبشر، وهذا مما أنكره الله على المشركين، ولأن الله تعالى قال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ فلو كانت البحار مداداً يكتب به لنفدت البحار وتكسرت الأقلام، ولم يلحق الفناء كلمات الله ﷻ كما لا يلحق الفناء علم الله، لأن من فني كلامه

(٧٢٤) التحرير والتنوير (١٦/٥١ ـ ٥٢).

لحقته الآفات وجرى عليه السكوت، فلما لم يجر ذلك على ربنا ﷻ صح أنه لم يزل متكلماً، ولا يزال متكلماً، وقد نفى النفاد عن كلامه كما نفى الهلاك عن وجهه»[(٧٢٥)].

ويقول ابن الجوزي: «وإنما لم تنفد كلمات الله لأن كلامه صفة من صفات ذاته، ولا يتطرق إلى صفاته النفاد»[(٧٢٦)].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أنه: كما أن العلم صفة من صفات الله؛ فكذلك كلام الله صفة من صفاته، وكما أن صفة العلم غير متناهية فكذلك كلامه. وأن علمه يتكلم به سبحانه متى شاء وبقدر ما يشاء. وفي ذلك رد على كل الفرق المنحرفة بمجموعها.

ويمكن أن يكون هناك وجه آخر من التفسير في بيان المعنى بالجمع بين قاعدتين في اللغة العربية وهي:

القاعدة الأولى: أن العرب قد تُؤَنِّث للكثرة، وتُذكِّر للقلة[(٧٢٧)].

القاعدة الثانية: أن الاسم إذا قُصد إلى جمع قِلّتِه جُمع بالألف والتاء، وإذا قُصد فيه الكثرة جُرِّد من التاء، فيكون المجرد بمعنى الجمع الكثير، نحو: نملة ونمل ونملات[(٧٢٨)].

فيكون معنى القراءتين على النحو الآتي:

قراءة **(أن ينفد)** أفادت أن قليل كلمات الله المعبر عنه بجمع القلة وهو: (كلمات) لا ينفد وهو إلى ما لا نهاية.

---

(٧٢٥) لمعة الاعتقاد: ابن قدامة المقدسي (٩٦/١).

(٧٢٦) زاد المسير (٢٠١/٥ ـ ٢٠٢).

(٧٢٧) معاني القرآن للفراء (٤٣٥/١).

(٧٢٨) انظر: شرح الرضي على الشافية (١٩٦/٢).

أما قراءة (**أن تنفد**) فأفادت أن كلام الله ـ وهو معنى كلمات الله ـ لا ينفد وهو إلى ما لا نهاية.

الجمع بين القراءتين:

يمكن أن يُقال بالجمع بينهما: إذا كان قليل كلمات الله بهذه الكثرة فلا ينفد ولا ينتهي فما بالنا بكثيره؟. وهو ما أشار إليه البقاعي، وإن كانت إشارته تدور حول التعبير عن كلام الله بجمع القلة؛ وهو قوله تعالى: (كلمات) دون التطرق إلى القراءتين بشكل مباشر، حيث يقول: «ولعله عبَّر بجمع السلامة إشارة إلى أن قليلها بهذه الكثرة فكيف بما هو أكثر منه؟ وذلك أمر لا يدخل تحت وصف»[٧٢٩].

فسبحان من أظهر معاني عدة بكلمات قليلة، وجعل كل لفظ في كتابه معجزاً في بيانه.

(٧٢٩) نظم الدرر (٥١١/٤)

الفصل الثالث

تفسير سورة مريم من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة مريم.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة مريم المتضمنة للقراءات.



الفصل الثالث
سورة مريم

مقدمة:

سورة مريم هي السورة الثالثة والأخيرة في هذا البحث، والقصص هو مادة هذه السورة؛ فقد استغرق حوالي ثلثيها، وللسورة كلها جو خاص يظللها ويشيع فيها، ويتمشى في موضوعاتها، والظل الغالب في الجو هو ظل الرحمة والرضى والاتصال؛ وإنك لتحس لمسات الرحمة الندية ودبيبها اللطيف في الكلمات والعبارات والظلال. كما تحس انتفاضات الكون وارتجافاته لوقع كلمة الشرك التي لا تطيقها فطرته، كذلك تحس أن للسورة إيقاعاً موسيقياً خاصاً؛ فحتى جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وفيه عمق. فأما المواضع التي تقتضي الشدة والعنف، فتجيء فيها الفاصلة مشددة دالاً ـ حرف الدال ـ في الغالب. وتنوع الإيقاع الموسيقي والفاصلة والقافية بتنوع الجو والموضوع يبدو جلياً في هذه السورة(٧٣٠).

والقصص فيها امتداد للقصص في سورة الكهف؛ فهناك ظهرت قدرة الله البالغة في حفظ أصحاب الكهف، وإحيائهم بعد موتهم، وإعطاء الرحمة والعلم للخضر عليه السلام، وفي منح ذي القرنين أسباب الملك والسلطان والسيادة، وهنا تظهر رحمة الله وفضله على زكريا إذ يمنحه يحيى

(٧٣٠) انظر: الظلال (٤/٢٢٩٩ ـ ٢٣٠٠).

على كبر وشيخوخة، وتظهر قدرة الله البالغة في خلق عيسى من أم دون أب[٧٣١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «سورة مريم مضمونها: تحقيق عبادة الله وحده، وأنّ خواص الخلق هم عباده، فكل كرامة ودرجة رفيعة في هذه الإضافة، وتضمنت الرد على الغالين الذين زادوا في النسبة إلى الله حتى نسبوا إليه عيسى بطريق الولادة، والرد على المفرطين في تحقيق العبادة وما فيها من الكرامة، وجحدوا نِعَم الله التي أنعم بها على عباده المصطفين. . . . فهذه السورة (سورة المواهب) وهي ما وهبه الله لأنبيائه من الذرية الطيبة والعمل الصالح والعلم النافع»[٧٣٢].

ونصيب هذه السورة من القراءات ليس كثيراً بالمقارنة مع السورة السابقة ـ سورة الكهف ـ التي استغرقت القراءات قدراً كبيراً منها.

(٧٣١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن (٢١٤/١).

(٧٣٢) التفسير الكامل: شيخ الإسلام ابن تيمية (٢١١/٤).

المبحث الأول
تعريف عام بسورة مريم

ويشتمل على:

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- مناسبتها لسورة الكهف.
- فضل السورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.



المبحث الأول
تعريف عام بالسورة

سورة مريم سورة مكية عند الجمهور، وعن مقاتل[٧٣٣]: أن آية السجدة مدنية، نزلت بعد مهاجرة المؤمنين إلى الحبشة[٧٣٤]. أما عدد آياتها في عدّ أهل المدينة ومكة فهو تسع وتسعون، وفي عدّ أهل الشام والكوفة ثمان وتسعون[٧٣٥]. وعدد كلماتها ألف ومائة واثنتان وتسعون، وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان[٧٣٦].

وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول؛ نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه[٧٣٧]، وهي السورة التاسعة عشرة بحسب الرسم القرآني[٧٣٨].

---

(٧٣٣) هو: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، مولاهم الخرساني المفسر، روى عن مجاهد والضحاك وغيرهما، وروى عنه سعيد بن الصلت وغيره، مدحه أهل التفسير وضعّفه أهل الحديث، توفي سنة نيف وخمسين ومائة. (انظر: شذرات الذهب (٢٢٧/١)، سير أعلام النبلاء (٢٠١/٧ ـ ٢٠٢)).

(٧٣٤) البحر المحيط (١٦٣/٦). وانظر: زاد المسير (٢٠٤/٥).

(٧٣٥) التحرير والتنوير (٥٨/١٦)، وانظر: روح المعاني (٥٧/١٦)، مجمع البيان (٣٧١/٦). وقد ورد فيهما أن للمدنيين قولان.

(٧٣٦) بصائر ذوي التمييز (٣٠٥/١).

(٧٣٧) التحرير والتنوير (٥٨/١٦).

(٧٣٨) الأساس في التفسير (٣٢٤٥/٦).

أسماء السورة ووجه التسمية:

سميت السورة بسورة **مريم** لاشتمالها على قصتها[٧٣٩]؛ فقد بُسطت فيها قصة مريم مع ابنها وأهلها قبل أن تُفصَّل في غيرها، ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران التي نزلت في المدينة[٧٤٠].

وسُميت بسورة **كهيعص**؛ فقد رُوي ذلك عن ابن عباس[٧٤١]، وكذلك وقعت تسميتها في صحيح البخاري في كتاب التفسير[٧٤٢].

كما روي عن أم سلمة مثل ذلك؛ فقد أخرج الإمام أحمد[٧٤٣]، وابن أبي حاتم[٧٤٤]، والبيهقي في الدلائل[٧٤٥] عن أم سلمة أن النجاشي قال لجعفر بن أبي طالب: هل معك مما جاء به يعني: رسول الله ﷺ عن الله شيء؟ قال: نعم، فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»[٧٤٦].

---

(٧٣٩) في رحاب التفسير (٢٣٠٩/١٣). وانظر: التفسير المنير (٤٦/١٦).

(٧٤٠) التحرير والتنوير (٥٨/١٦).

(٧٤١) انظر: روح المعاني (٥٦/١٦)، التحرير والتنوير ((٥٧/١٦)، فتح القدير (٤٠١/٣). قال الشوكاني: أخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت بمكة سورة (كهيعص).

(٧٤٢) هكذا (كهيعص) عنون اسم السورة في صحيحه في كتاب التفسير. كما عنون ابن حجر شرحه بقوله: قوله (بسم الله الرحمن الرحيم - سورة كهيعص). (انظر: فتح الباري (٨/ ٤٢٦ - ٤٢٧)).

(٧٤٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٢/١).

(٧٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم في الثقات (٦٥/١).

(٧٤٥) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٤٤/٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٧٦/٥).

(٧٤٦) فتح القدير (٤٠١/٣).

مناسبتها لسورة الكهف:

يقول السيوطي في تناسق الدرر: «أقول: ظهر لي في وجه مناسبتها لما قبلها: أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب: قصة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر، وما فيها من الخارقات، وقصة ذي القرنين. وهذه السورة فيها أعجوبتان: قصة ولادة يحيي بن زكريا، وقصة ولادة عيسى، فناسب تاليهما»[٧٤٧].

فضل السورة:

لم يرد في فضل سورة مريم أحاديث صحيحة مرفوعة إلى النبي ﷺ، أما ما أورده البيضاوي وغيره من العلماء من حديث مرفوع إلى النبي ﷺ والذي جاء فيه: «من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدَّق به..» فهو حديث موضوع[٧٤٨].

وكل ما ورد ذكره في كتب السنن هو: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده[٧٤٩]، عن محمد ابن اسحق من حديث أم سلمة، في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة: أن جعفر بن أبي طالب ﷺ قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه فبكى النجاشي والأساقفة حتى اخضلت لحاهم، وقال النجاشي: هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.

أغراض السورة:

هذه السورة شأنها شأن غيرها من السور المكية؛ تعالج أمور العقيدة.

(٧٤٧) تناسق الدرر (ص١٠١). وانظر: التفسير المنير (٤٦/١٦).

(٧٤٨) انظر هذا الحديث والحكم عليه في حاشية الشهاب على البيضاوي (٣٢٠/٦).

(٧٤٩) انظر الخبر بتمامه في مسند أحمد بن حنبل (٢٠١/١ ـ ٢٠٢) حديث رقم (١٧٤٠). وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال ابن اسحق، وقد صرح بالسماع (انظر: مجمع الزوائد (٢٧/٦)).

فيدور سياق السورة على محور التوحيد، ونفي الولد والشريك، ويلم بقضية البعث[٧٥٠]. ويظهر أن هذه السورة نزلت للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير[٧٥١].

الموضوعات التي تناولتها السورة:

افتتحت السورة بقصة ولادة يحيي بن زكريا عليهما السلام من أب شيخ كبير وأم عاقر خلافاً للمعتاد، واستجابة لدعاء زكريا عليه السلام، ثم بإيتاء يحيي النبوة في صباه. الآيات (١ ـ ١٥).

الآيات (١٦ ـ ٣٦): تناولت كرامة مريم العذراء بخارق العادة في حملها من غير زوج وقصة ولادة عيسى عليه السلام وكلامه في المهد لتبرئة والدته، ووصف نفسه بصفات النبوة والكمال.

الآيات (٣٧ ـ ٤٠): تناولت ما أحدثته حادثة الولادة من خلاف عقدي بين النصارى في شأن عيسى عليه السلام.

الآيات (٤١ ـ ٥٠): تحدثت عن جانب من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه واعتزاله لملة الشرك، وإكرام الله له بالذرية بعد الكبر وعُقر زوجته، وجعل النبوة في ذريته.

الآيات (٥١ ـ ٦٥): أشارت إلى قصص النبيين موسى وهارون وإسماعيل وإدريس ونوح ـ عليهم السلام ـ لإثبات وحدة الرسالة، وأن الرسل جميعاً جاؤوا لدعوة الناس إلى توحيد الله، ونبذ الشرك والأوثان، وتحدثت عمن اهتدى بهم، ومَن خَلَفَهُم من الغواة، ومصير هؤلاء وهؤلاء. وتنتهي الآيات بإعلان الربوبية الواحدة لله.

الآيات (٦٦ ـ ٩٨): تبدأ الآيات بالحديث عن الجدل في قضية

(٧٥٠) انظر: الظلال (٢٢٩٩/٤).

(٧٥١) التحرير والتنوير (٥٨/١٦).

البعث، ومناقشة الله لهم، وتستعرض بعض مشاهد القيامة. وتتحدث عن أهوال ذلك اليوم الرهيب، وتعرض صورة من استنكار الكون كله لدعوى الشرك.

وتنتهي الآيات بمشهد عميق من مصارع القرون ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾[٧٥٢].

(٧٥٢) انظر: الظلال (٢٣٠١/٤)، التفسير المنير (٤٧/١٦ ـ ٤٨)، التحرير والتنوير (٥٨/١٦ ـ ٥٩)، أهداف كل سورة ومقاصدها (٢٢٢/١)، صفوة التفاسير (١٨٢/٢).

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة مريم بالقراءات العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١].

القراءات:

١. قرأ أبو بكر والكسائي بإمالة الهاء والياء.

٢. قرأ أبو عمرو بإمالة الهاء وفتح الياء.

٣. قرأ ابن عامر وحمزة وخلف بفتح الهاء وإمالة الياء.

٤. قرأ نافع وابن كثير وحفص وأبو جعفر ويعقوب بفتح الهاء والياء(٧٥٣).

٥. قرأ أبو جعفر بالسكت على كل حرف من حروف (كهيعص)(٧٥٤).

البيان:

القراءة بإمالة الهاء لئلا تلتبس بالهاء التي للتنبيه، وإمالة الياء لئلا تلتبس بياء النداء(٧٥٥). وإمالة هذه الحروف لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى، وإنما هي أسماء ما يُتهجى به ـ أسماء لهذه الأصوات ـ، فلما كانت

---

(٧٥٣) انظر: النشر (٥١/٢ ـ ٥٢)، الإتحاف (ص٣٧٥).

(٧٥٤) انظر: النشر (٣٢٩/١)، الميسر (ص٣٠٥).

(٧٥٥) انظر: حجة القراءات (ص٤٣٧). وانظر: الحجة في القراءات السبع (ص١٣٩).

أسماء غير حروف جازت فيها الإمالة[٧٥٦]، ويدلك على أنها أسماء أنها إذا أخبرت عنها أعربتها فتقول: هذه هاء، وياء[٧٥٧].

والقراءة بالسكت على حروف (كهيعص)؛ يلزم منها إظهار المخفى، فتظهر النون عند الصاد في (عص)، وليبيّن بهذا السكت أن الحروف مفصولة وإن اتصلت رسماً وفي كل واحد منها سر من أسرار الله تعالى الذي استأثر الله تعالى بعلمه[٧٥٨].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٥ ـ ٦].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو والكسائي (**يَرِثْني ويَرِثْ**) بجزم الفعلين.

٢. قرأ الباقون (**يَرِثُني ويَرِثُ**) برفع الفعلين[٧٥٩].

اللغة والبيان:

قال الراغب: **الوارثة والإرث**: انتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد، وسمي بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث[٧٦٠].

وقراءة الجزم (يَرِثْني ويَرِثْ) على أن الأول مجزوم جواباً للدعاء[٧٦١]،

(٧٥٦) مفاتيح الأغاني (ص٢٦٦). وانظر: الحجة للقراء (١٨٥/٥).

(٧٥٧) حجة القراءات (ص٤٣٧).

(٧٥٨) انظر: النشر (٣٢٩/١).

(٧٥٩) انظر: النشر (٢٣٨/٢)، المُيَسّر (ص٣٠٥).

(٧٦٠) مفردات الراغب (ص٥٩٠).

(٧٦١) انظر: الملخص في إعراب القرآن (ص٢٣٤).

في قوله: ﴿هَبْ لِي﴾. والولي على ذلك بمعنى (الوارث) فيكون تقديره: فهب لي من لدنك ولياً وارثاً يرثني. ولأن (ولياً) رأس آية استغنى عن أن يكون ما بعده صفة له، لذلك كان جواباً للدعاء، أما (ويرث) فهو معطوف على (يرثني)[٧٦٢].

أما قراءة الرفع (يَرِثُني ويَرِثُ) فالأول صفة للولي، كأنه قال: ولياً وارثاً[٧٦٣]. لأن الأولياء قد يكون فيهم الوارث وغير الوارث[٧٦٤]. وزكريا إنما سأل ولياً وارثاً علمه ونبوته[٧٦٥]. والثاني معطوف عليه، والمعنى: فهب لي من لدنك ولياً وارثاً لي ووارثاً من آل يعقوب[٧٦٦].

التفسير:

تتحدث الآيتان عن تضرع زكريا لربه بعد أن أصابه الكبر، أن يهبه ولداً صالحاً من صلبه يحافظ على دين الله، فيليه في النبوة والعلم؛ لأنه قد رأى ما حل بأبناء عمه وأقاربه من تضييع لحقوق الله والعباد، فخاف بموته أن يضيعوا الدين بعده، وألا يقوموا بدينه حق القيام، لذلك طلب من الله أن يهبه الولد الصالح بقدرته التي لا يعجزها شيء.

يقول الشنقيطي: «أي: خِفْتُ أقاربي وبني عمي وعصبتي أن يضيعوا الدين بعدي، ولا يقوموا لله بدينه حق القيام، فارزقني ولداً يقوم بعدي بالدين حق القيام. وبهذا التفسير تعلم أن معنى قوله (يرثني) أنه إرث علم ونبوة، ودعوة إلى الله والقيام بدينه، لا إرث مال. ويدل لذلك أمران:

أحدهما: قوله ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ومعلوم أن آل يعقوب

(٧٦٢) انظر: الكشف (٢/٨٤)، المغني (٣/٥).

(٧٦٣) مفاتيح الأغاني (ص٢٦٦). وانظر: معاني القراءات (ص٢٨١)، الحجة للقراء السبعة (٥/١٩١).

(٧٦٤) انظر: حجة القراءات (ص٤٣٨)، الملخص (ص٢٣٤)، الحجة للقراء السبعة (٥/١٩١).

(٧٦٥) الكشف (٢/٨٤).

(٧٦٦) المغني (٣/٥).

انقرضوا من زمان، فلا يورث عنهم إلا العلم والنبوة والدين.

والأمر الثاني: ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ لا يورث عنهم المال، وإنما يورث عنهم العلم والدين. فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما[٧٦٧] عن أبي بكر الصديق ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة . . .» فظاهر صيغة الجمع شمول جميع الأنبياء... وبهذا تعلم أن قوله هنا ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يعني وراثة العلم والدين لا المال... وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة عن زكريا ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك، وعند خلقك في أخلاقه وأقواله وأفعاله ودينه، وهو فعيل بمعنى مفعول»[٧٦٨].

قال الرازي: «واعلم أن زكريا عليه السلام قدَّم على السؤال ـ طلب الولد ـ أموراً ثلاثة: **أحدها**: كونه ضعيفاً، **والثاني**: أن الله تعالى ما رد دعاءه البتة، **والثالث**: كون المطلوب بالدعاء سبباً للمنفعة في الدين، ثم بعد تقرير هذه الأمور الثلاثة صرَّح بالسؤال. . . . وذلك مما يزيد الدعاء توكيداً لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته والتبري عن الأسباب الظاهرة»[٧٦٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(يَرِثْني ويَرِثْ)** بجزم الفعلين: أن زكريا عليه السلام دعا ربه أن يهب له ولداً وارثاً يرث العلم ويرث من آل يعقوب النبوة. وذلك رجاءً في الله أن يستجيب لدعائه. فطلبه للولد كان من أجل الوراثة للعلم والنبوة.

يقول الألوسي: «والمعنى إن تهب لي ذلك يرثني الخ، والمراد أنه

(٧٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفرائض. باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة. حديث رقم (٦٧٢٦) (فتح الباري (٥/١٢)). وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣٧٧/٣ ـ ١٣٧٩) في كتاب الجهاد. باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا فهو صدقة. حديث رقم (١٧٥٧).

(٧٦٨) انظر: أضواء البيان (٤٤٢/٢ ـ ٤٤٦) باختصار وببعض التصرف.

(٧٦٩) انظر: التفسير الكبير (١٨٢/٢١ ـ ١٨٣) باختصار.

كذلك في ظني ورجائي»[٧٧٠].

وأفادت قراءة (**يَرِثُني ويَرِثُ**) برفع الفعلين أن زكريا عليه السلام حينما سأل ربه الولد كان من جملة ذلك أن يكون هذا الولد وارثاً لعلمه ونبوته، موصوفاً بأن يكون كذلك صفته وحاله. لأنه ليس شرطاً أن يكون الولد شبهاً لأبيه في دينه وعلمه وسلوكه، أو أن يكون وارثاً لما يتمتع به الوالد من صلاح وتقوى، فأراد عليه السلام أن يكون وليه صالحاً مرضياً من الله هادياً مصلحاً لبني إسرائيل.

يقول النسفي: «أي: هب لي ولداً وارثاً مني العلم ومن آل يعقوب النبوة، ومعنى وراثة النبوة: أنه يصلح لأن يوحى إليه، ولم يرد أن نفس النبوة تورث»[٧٧١].

ويقول زادة في حاشيته على البيضاوي: «من جزم الفعلين قصد السببية على معنى إن تهب يرث، ومن رفعهما لم يقصدها وجعلهما صفة لـ(ولياً) فعلى هذا يكون (يرث) من جملة المطلوب»[٧٧٢].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن زكريا عليه السلام دعا ربه أن يهبه ولداً من صلبه يكون صالحاً مرضياً من الله وأن يكون وارثاً يرث عنه العلم والنبوة كما يرث عن آل يعقوب العلم والنبوة والدين ويقوم به حق القيام رجاءً في الله أن يستجيب له؛ لأنه إنما كان مقصده هو الحفاظ على دين الله.

٣ ـ قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم: ٧].

---

(٧٧٠) تفسير الألوسي (٦٣/١٦).
(٧٧١) تفسير النسفي (٢٣/٣).
(٧٧٢) حاشية زادة على البيضاوي (٥٢٨/٥).

القراءات:

١. قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر **(زكريا)** بالقصر من غير همز حيثما وردت في السورة.

٢. قرأ الباقون **(زكرياء)** بالهمز والمد حيثما وردت في السورة[٧٧٣].

١. قرأ حمزة والكسائي **(نَبْشُركَ)** بفتح النون وضم الشين من البشْر وهو البشرى والبشارة.

٢. قرأ الباقون **(نُبَشِّرُكَ)** بضم النون وتشديد الشين مكسورة من (بشَّرَ) المضعف على التكثير[٧٧٤].

البيان:

قراءة (زكريا) بالمد والقصر لغتان مشهورتان عند العرب[٧٧٥].

قال الأزهري: «في (زكريا) ثلاث لغات: **القصر** حتى لا يستبين في الألف نصب ولا رفع ولا خفض. **واللغة الثانية**: مد الألف فتُنصب وتُرفع ولا تُخفض ولا تُنوّن؛ لأنه اسم لا ينصرف، وبهاتين اللغتين نزل القرآن. وأما **اللغة الثالثة**: فلا تجوز القراءة بها، وهو قولك: (هذا زكَرِيٌّ قد جاء)[٧٧٦].

والقراءة في هذه السورة سواء بالمد أو القصر لا تأثير لها في تفسير الآية؛ حيث ورد ذكر زكريا عليه السلام في السورة مرتين: المرة الأولى في الآية الثانية من السورة في قوله تعالى ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾. والمرة الثانية في هذه الآية. وكما هو ملاحظ أن نصب لفظ زكريا في الآية الأولى ورفعه في الآية الثانية ليس له تأثير على تفسير الآيتين، وإنما تأثيره فقط في نوع المد.

(٧٧٣) انظر: النشر (١٨٠/٢) في موضع الآية (٣٧) من سورة آل عمران.
(٧٧٤) انظر: النشر (١٨٠/٢).
(٧٧٥) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (٣٤٢/١).
(٧٧٦) معاني القراءات (ص١٠٠).

أما قراءة (نبشرك) فقد تقدم الكلام عليها عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩][٧٧٧].

٤ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم: ٨].

القراءات:

١. قرأ حفص وحمزة والكسائي (**عِتِيّاً**) بكسر العين.

٢. قرأ الباقون (**عُتِيّاً**) بضم العين[٧٧٨].

اللغة والبيان:

عُتياً: أصله: عُتُوّاً وهو بزنة فُعُول[٧٧٩] وهو مصدر عتا يعتو، فأبدلت الواو ياءً، والضمة التي قبلها كسرة لتصح الياء، أما قراءة (**عِتِيّاً**) بكسر العين فلاتباع الكسر[٧٨٠]: وهو اليُبْس والجسارة في المفاصل والعظام كالعود القاحل، يُقال: عتا العود وعسا[٧٨١] إذا بلغ النهاية في الشدة والكبر[٧٨٢]. وقال الراغب: أي: حالة لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها[٧٨٣].

التفسير:

بعدما طلب زكريا عليه السلام من ربه ولداً وارثاً علمه ونبوته أتاه المَلَك ليبشره به، إلا أن زكريا عليه السلام تساءل متعجباً عن كيفية حدوث ذلك ـ لا مستبعداً لقدرة الله ـ مع أن امرأته كانت عاقراً لم تلد في شبابها فكيف يتم

(٧٧٧) انظر: ص ٢٧ من هذا البحث.

(٧٧٨) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، الميسر (ص٣٠٥).

(٧٧٩) الدر المصون (٤/٤٩٣).

(٧٨٠) انظر: مشكل إعراب القرآن (ص٤٥٠).

(٧٨١) الكشاف (٣/٩٥).

(٧٨٢) معاني القرآن للنحاس (٢/٧٢٠).

(٧٨٣) مفردات الراغب (ص٣٦٠).

ذلك بعد أن وصلت إلى سن اليأس؟ وهو قد وصل إلى سن كبيرة فقد فيها القدرة على الإنجاب.

يقول ابن كثير: «هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبُشر بالولد ففرح فرحاً شديداً، وسأل عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد، مع أن امرأته كانت عاقراً لا تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعتا، أي: عسا عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع»(٧٨٤).

ويقول أبو السعود: «وإنما قاله ﷺ مع سبق دعائه بذلك، وقوة يقينه بقدرة الله لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران؛ استعظاماً لقدرة الله تعالى وتعجيباً منها واعتداداً بنعمته تعالى عليه في ذلك بإظهار أنه من محض لطف الله عز وجل وفضله مع كونه في نفسه من الأمور المستحيلة عادة لا استبعاداً له»(٧٨٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(عِتِياً)**: شدة تعجب زكريا عليه السلام من كيفية حدوث ما بُشر به، مع أنه قد وصل إلى درجة من الكبر والضعف تمنع في العادة من حدوث الإنجاب.

وأفادت قراءة **(عُتِياً)**: المبالغة في وصف حالته وعدم قدرته على الإنجاب إلى الغاية التي ما بعدها غاية، لما في ضم العين من إفادة المبالغة والثقل.

وبهذا يتبيّن أن قراءة الكسر قد بينت الحالة التي وصف بها زكريا عليه السلام نفسه، وجاءت قراءة الضم لتزيد هذا الوصف مبالغة لتدل على مدى قدرة الله التي لا تتعلق بالأسباب.

(٧٨٤) تفسير ابن كثير (٥/٢٢١).

(٧٨٥) تفسير أبي السعود (٣/٢٧٦).

يقول الرازي في اللوامع: «ولله تعالى في كل صنع تدبيران: أحدهما المعروف الذي يسلكه الناس من توجيه الأسباب إلى المسببات، والآخر يتعلق بالقدرة المحضة، ولا يعرفه إلا أهل الاستبصار»(٧٨٦).

٥ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ [مريم: ٩].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي (**خَلَقْنَاكَ**) بالنون والألف على لفظ الجمع.

٢. قرأ الباقون (**خَلَقْتُكَ**) بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ التوحيد(٧٨٧).

البيان:

قراءة (**خَلَقْنَاكَ**) على لفظ الجمع؛ فيه معنى التعظيم أي: على إرادة التعظيم لله تعالى، ومناسبة لقوله تعالى ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾.

أما قراءة (**خَلَقْتُكَ**) على لفظ التوحيد؛ فلقوله تعالى قبله ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾(٧٨٨).

وكلا القراءتان من إخبار الله تعالى عن نفسه.

التفسير:

جاءت هذه الآية لتجيب زكريا عليه السلام عما تعجب منه؛ فيقول له سبحانه إن الذي خلقك وأوجدك ابتداءً من العدم، ـ وفي ذلك إشارة إلى خلق آدم عليه السلام ـ أسهل عليه ايجاد الولد بطريق التوالد.

يقول الزحيلي: «أي: قال الله تعالى من جهة المَلَك مجيباً زكريا عما

---

(٧٨٦) ذكره البقاعي في نظم الدرر (٥٢٣/٤).

(٧٨٧) انظر: النشر (٢٣٨/٢)، الميسر (ص٣٠٥).

(٧٨٨) انظر: الكشف (٨٥/٢)، الحجة في القراءات السبع (ص١٤١)، المستنير (٦/٢).

تعجب منه: الأمر كما قلت، سنهب لك ولداً على الرغم من العقم والهرم، هو عليَّ سهل ميسور، إذا أردت شيئاً قلت له: كن فيكون، وقد خلقتك ابتداء وأوجدتك من العدم المحض، ولم تك شيئاً قبل ذلك، فإيجاد الولد بطريق التوالد المعتاد أهون من ذلك وأسهل منه.

وهذا دليل على القدرة الإلهية الفائقة، فإنه تعالى يسهل عليه كل شيء، وقد قرر هنا أن الأمر سهل يسير عليه، وذكر ما هو أعجب مما سأل عنه زكريا، بحسب تقدير الناس، والحقيقة أن الأمرين على قدرة الله سواء، فسيان خلق الإنسان من العدم أو من طريق التوالد، ومن قدر على خلق الذات، فهو قادر على تبديل الصفات، فيعيد الله إليه وإلى زوجته القدرة على الإنجاب، كما قال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠]»[٧٨٩].

ويقول المنصوري: «﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ أي: أوجدتك من قبل يحيى، والمراد به ابتداء خلق البشر، إذ هو الواقع إثر العدم المحض، وإنما لم ينسب إلى آدم عليه السلام بأن يُقال: وقد خلقت أباك آدم من قبل ولم يك شيئاً، لتأكيد الاحتجاج، وتوضيح منهاج القياس، حيث نبَّه على أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه من العدم، وكان حال زكريا عليه السلام أولى بأن يكون معياراً لحال ما يشد به نسب الخلق المذكور إليه»[٧٩٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**خَلَقْتُكَ**): وحدانية الخالق وهو الله عز وجل.

أما قراءة (**خَلَقْنَاكَ**) فأفادت: مدى عناية الله بهذا المخلوق وعظمة هذا الخالق.

(٧٨٩) التفسير المنير (١٦/٥٦).

(٧٩٠) المقتطف (٣/٢٩٢). وانظر أصل هذا الكلام في تفسير أبي السعود (٣/٢٧٦ - ٢٧٧). ونحوه في تفسير الألوسي (١٦/٧٠).

الجمع بين القراءتين:

القراءتان دلتا على وحدانية الخالق وعظمته، وأنه لا يعجزه شيء، وكمال عنايته بزكريا عليه السلام.

٦ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٩].

القراءات:

١. قرأ قالون بخلف عنه وورش وأبو عمرو ويعقوب (**لِيَهَبَ**) بالياء بعد اللام.

٢. قرأ الباقون (**لِأَهَبَ**) بالهمزة، وهو الوجه الثاني لقالون(٧٩١).

اللغة والبيان:

الهبة: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض(٧٩٢).

قراءة (**لِيَهَبَ**): على إسناد الفعل إلى ضمير (ربك) في قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ والإسناد على هذا حقيقي، لأن الواهب في الحقيقة هو: الرب عز وجل.

وقراءة (**لِأَهَبَ**): على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وهو: المَلَك القائل ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ والإسناد على هذا مجازي من إسناد الفعل إلى سببه المباشر لأنه هو الذي باشر النفخ(٧٩٣).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تعريف جبريل عليه السلام بنفسه وبيان سبب

---

(٧٩١) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، الميسر (ص٣٠٦).

(٧٩٢) مفردات الراغب (ص٦٠٨).

(٧٩٣) المغني (٣/٧). وانظر: الحجة للقراء السبعة (٥/١٩٥)، الملخص في إعراب القرآن (ص٢٣٧)، الكشف (٢/٨٦)، الفريد (٣٨٧)، الحجة في القراءات السبع (ص١٤١)، حجة القراءات (ص ٤٤٠ ـ ٤٤١).

دخوله على مريم - عليها السلام - وهي في خلوتها، وبشراه لها، بعد فَرَقِها منه واستعاذتها بالله لعدم معرفتها به.

يقول أبو السعود: «﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ يريد - جبريل عليه السلام - أني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر، وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا﴾ أي: لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع، ويجوز أن يكون حكاية لقوله تعالى، ويؤيده القراءة بالياء، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها لتشريفها وتسليتها، والإشعار بعلة الحكم، فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها، وفي بعض المصاحف أمرني أن أهب لك غلاماً ﴿زَكِيًّا﴾ طاهراً من الذنوب أو نامياً على الخير، أي مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح»[(٧٩٤)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (لِيَهَبَ): أن جبريل عليه السلام جاء مريم مخبراً لها عن هبة الله لها بالغلام، فالواهب هو الله جل جلاله.

يقول الطبري: «بمعنى: إنما أنا رسول ربك أرسلني إليك ليهب الله لك غلاماً زكياً»[(٧٩٥)].

أما قراءة (لِأَهَبَ) فأفادت: أن جبريل عليه السلام أخبر عن نفسه أنه سيكون سبباً في هبة الغلام لأنه سينفخ في جيبها بأمر الله.

يقول الزمخشري: «إنما أنا رسول مَن استعذت به لأكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع»[(٧٩٦)].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن جبريل عليه السلام جاء مريم ليبشرها

---

(٧٩٤) تفسير أبي السعود (٣/٢٧٨).

(٧٩٥) تفسير الطبري (١٦/٤٧).

(٧٩٦) الكشاف (٣/٩٨).

بهبة الله لها غلاماً طاهراً نامياً على الخير، وأمره ﷺ أن ينفخ في جيبها ليكون ذلك سبباً في تحقق البشرى.

٧ ـ قال تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ٢٣].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ويعقوب (**مُتُّ**) بضم الميم.

٢. قرأ الباقونَ (**مِتُّ**) بكسر الميم[٧٩٧].

١. قرأ حفص وحمزة (**نَسياً**) بفتح النون.

٢. قرأ الباقون (**نِسياً**) بكسر النون[٧٩٨].

اللغة والبيان:

القراءتان (**مِتُّ**) و (**مُتُّ**) ترجعان إلى أصل الاشتقاق:

(**مِتُّ**): من (**مات يمات**) نحو (**خاف يخاف**).

(**مُتُّ**): من (**مات يموت**) نحو (**قام يقوم**)[٧٩٩].

النِّسي: الشيء الحقير الذي إذا أُلقي نُسِي[٨٠٠]. وهو الاسم[٨٠١].

النَّسْي: مصدر النسيان[٨٠٢]. أي من قولك (نسيت)[٨٠٣] أَنْسى نَسْياً

(٧٩٧) انظر: النشر (١٨٢/٢)، الميسر (ص٣٠٦).
(٧٩٨) انظر: النشر (٢٣٨/٢)، الميسر (ص٣٠٦).
(٧٩٩) انظر: روح المعاني (٨١/١٦ ـ ٨٢)، المغني (٣٧٣/١).
(٨٠٠) تفسير غريب القرآن (ص٢٧٣). وانظر: غريب القرآن وتفسيره للزيدي (ص٢٣٧)، مفاتيح الأغاني (ص٢٦٧)، معاني القراءات (ص٢٨٣).
(٨٠١) حجة القراءات (ص٤٤١).
(٨٠٢) معاني القرآن للفراء (١٦٥/٢). الملخص في إعراب القرآن (ص٢٣٨).
(٨٠٣) الحجة في القراءات السبع (ص١٤١).

ونِسياناً[٨٠٤] فهو مصدر موضوع موضع المفعول للمبالغة[٨٠٥].

وقال ابن الأنباري: «من كسر النون قال: النِّسْي اسم لما يُنسى، بمنزلة البُغض اسم لما يُبغَض، والسِّب اسم لما يُسَب، والنَّسْي بفتح النون اسم لما يُنسى أيضا على أنه مصدر ناب عن الاسم، كما يُقال: الرجل دِنْف ودَنْف، فالمكسور هو الوصف الصحيح، والمفتوح مصدر سد مسد الوصف»[٨٠٦].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن الحالة النفسية والجسدية التي مرت بها مريم ـ عليها السلام ـ عند مخاضها، وذلك بعدما نفخ المَلَك في جيبها بأمر الله لتحمل بعيسى عليه السلام، وانقضاء مدة حملها.

يقول د. القيسي: «فقد لجأت مريم ـ عليها السلام ـ إلى النخلة .. راجعة أعني أنها عادت إليها بعد أن كانت قد تجاوزتها، ماضية على وجهها، لكيلا يراها الناس وهي في ساعة الوضع، ولكن ألم المخاض الذي سابق حركتها.. لم يُمَكنْها من المضي في هربها، فحاولت أن تلجأ إلى أقرب ساتر أو كالساتر.. فلم تجد شيئاً أقرب من النخلة فرجعت إليها أي: جاءت إليها. والمجيء لا يكون إلا عندما يكون المرء في طريق الرجوع»[٨٠٧].

يقول البيضاوي: «فألجأها المخاض، وهو تحرك الولد في بطنها للخروج، إلى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وهو ما بين العذق والغصن، وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة فيها، وكان

(٨٠٤) حجة القراءات (ص٤٤١).

(٨٠٥) انظر: تفسير أبو السعود (٣/٢٧٩).

(٨٠٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٢٢٠).

(٨٠٧) سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن: د. عودة الله منيع القيسي (ص٦٥).

الوقت شتاء. والتعريف للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثمة غيرها، وكانت كالمتعالم عند الناس، ولعله تعالى ألهمها بذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها، ويطعمها الرطب الذي هو خُرْسَة النفساء[٨٠٨] الموافقة لها. قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس، ومخافة لومهم، وكنت ما من شأنه أن يُنسى ولا يُطلب، منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم»[٨٠٩].

ويقول ابن كثير: «وقوله تعالى إخباراً عنها ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة؛ فإنها عرفت أنها ستبتلي وتمتحن بهذا المولود، الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها، وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية، فقالت: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ أي: قبل هذا الحال ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ أي: لم أخلق ولم أك شيئاً»[٨١٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (مِتُّ): تمني مريم للموت حين بدأت فيها آلام المخاض، لما عرفت أن هذا المولود سيكون محل ابتلاء وامتحان لها. وتمنيها هذا كان مشوباً بالحزن والأسى، والاستحياء من الناس؛ لما تفيده الكسرة من الضعف الذي يوحي بالحزن والاستحياء. فهذه القراءة كانت وصفاً للحالة النفسية التي مرت بها السيدة مريم في هذا الموقف.

يقول ابن كثير: «وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل»[٨١١].

أما قراءة (مُتُّ) فأفادت: شدة تمنيها للموت مع شدة شعورها بآلام

(٨٠٨) الخُرْسَة: ما تُطْعَمُهُ المرأة عند وِلادِها. (اللسان (١٣١/٢) مادة فرس).

(٨٠٩) انظر: تفسير البيضاوي (١٠/٤ ـ ١١) باختصار.

(٨١٠) تفسير ابن كثير (٢٣٠/٥).

(٨١١) تفسير ابن كثير (٢٣٠/٥).

المخاض؛ لما في الضم من ثقل وقوة. وعليه جاءت هذه القراءة لتعبر عن الحالة النفسية والجسدية التي مرت بها مريم ـ عليها السلام ـ.

وقراءة **(نِسياً)** أفادت: تمني مريم أن تكون كأي شيء حقير يلقى فينسى من الذاكرة لحقارته وذلك من شدة تأثرها بما حدث لها، وشدة الامتحان الذي ستتعرض له.

أما قراءة **(نَسياً)** فأفادت: المبالغة في تمني كونها منسية من الذاكرة. فتنسى ولا يعتد بها، ولا تخطر على بال أحد، فتمحى من الذاكرة تماماً.

الجمع بين القراءات:

جاءت القراءات لتصف الحالة النفسية والجسدية التي مرت بالسيدة مريم ـ عليها السلام ـ حيث من شدة تأثرها بما حدث لها من حمل بدون بعل وخوفها على دينها مما ستتعرض له من ابتلاء تمنت الموت بشدة موافقة لشدة آلام المخاض، وتمنت حينها أن تكون كأي شيء حقير يلقى فيمحى من الذاكرة فلا يخطر ببال أحد ليتذكره؛ حتى لا تتعرض لهذا الامتحان العسير.

٨ ـ قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٤].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة ورويس **(مَنْ تَحْتَها)** بفتح الميم ونصب التاء.

٢. قرأ الباقون **(مِنْ تَحتِها)** بكسر الميم وخفض التاء(٨١٢).

البيان:

القراءة بكسر ميم (مِن) وجر تاء (تحتِها) على أن (مِن) حرف جر،

(٨١٢) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، الميسر (ص٣٠٦).

وما بعدها مجرور، والفاعل ضمير يعود على عيسى عليه السلام، أو على جبريل عليه السلام، والجار والمجرور متعلق بناداها.

أما القراءة بفتح ميم (مَن) ونصب تاء (تحتَها) على أن (مَن) اسم موصول فاعل (نادى) وتحت ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة[813].

التفسير:

بعدما بيّنت الآية السابقة الحالة النفسية والجسدية التي تعرضت لها مريم عليها السلام حين التجأت من وجع الولادة إلى جذع نخلة يابسة في وقت الشتاء، جاءت هذه الآية لتبيّن كيف تولاها الله برعايته؛ حيث جعل مَن يزيل عنها هذا الحزن والألم، ويطمئنها.

يقول ابن الجوزي: «قوله تعالى ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ ففيه وجهان: **أحدهما**: ناداها الملك من تحت النخلة، وقيل: كانت على نشز[814] فناداها الملك أسفل منها، **والثاني**: ناداها عيسى لما خرج من بطنها، قال ابن عباس: كل ما رفعت إليه طرفك فهو فوقك، وكل ما خفضت إليه طرفك فهو تحتك، ومن قرأ بفتح الميم ففيه الوجهان المذكوران، وكان الفراء يقول ما خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعاً. قوله تعالى ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه النهر الصغير، قاله جمهور المفسرين واللغويون، **والثاني**: أنه عيسى، فان قيل كيف ناسب تسليتها أن قيل لا تحزني فهذا نهر يجري؟ فالجواب من وجهين: **أحدهما**: أنها حزنت لجدب مكانها الذي ولدت فيه، وعدم الطعام والشراب والماء الذي تتطهر به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لك نهراً، وأطلعنا لك رطباً. **والثاني**: أنها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد عن غير زوج فأجرى الله تعالى لها نهراً فجاءها من الأردن، وأخرج لها الرطب من الشجرة اليابسة، فكان ذلك آية تدل على قدرة الله تعالى في إيجاد عيسى»[815].

(٨١٣) انظر: المغني (٣/٨ ـ ٩).

(٨١٤) النَشز: المكان المُرتَفِع من الأرض. مختار الصحاح (ص٦٨٥).

(٨١٥) انظر: زاد المسير (٥/٢٢١ ـ ٢٢٢) باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة **(مِنْ تَحْتِهَا)** بكسر الميم والتاء: أن عيسى عليه السلام كلّمها وهو تحتها، أي: من تحت ثيابها، لأن ذلك موضع ولادة عيسى عليه السلام، وقيل إن الذي ناداها هو جبريل عليه السلام من أسفل من مكانها، أي: من دونها، كما تقول: داري تحت دارك، وبلدي تحت بلدك، أي: دونها.

أما القراءة **(مَنْ تَحْتَهَا)** بفتح الميم والتاء فأفادت: أن الذي كلمها هو الذي تحتها، فيكون: إما المراد به الذي تحت الثياب وهو عيسى عليه السلام، وإما أن يكون الذي دونها وأسفل منها في المكان وهو جبريل عليه السلام[(٨١٦)].

وقد تباينت أقوال العلماء في تحديد المنادي بالنسبة للقراءتين على أقوال:

قال مكي بن أبي طالب: «وكون الضمير لـ(عيسى) في القراءة بفتح الميم أقوى في المعنى، وكون الضمير لجبريل عليه السلام في القراءة بكسر الميم أقوى في المعنى، ويجوز في القراءتين أن يكون لـ(عيسى) وأن يكون لـ(جبريل) عليهما السلام»[(٨١٧)].

يقول محمد عمر بازمول: «القول بأن الفاعل هو جبريل عليه الصلاة والسلام مروي عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وعمرو بن ميمون والبراء وسعيد بن جبير وقتادة[(٨١٨)] واستظهره القرطبي[(٨١٩)]. والقول بأن الفاعل هو عيسى عليه الصلاة والسلام مروي عن مجاهد والحسن

(٨١٦) انظر: الكشف (٢/٨٦ ـ ٨٧)، الفريد (٣/٣٩١)، المغني (٣/٩)، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٢/٧٩٣ ـ ٧٩٤).

(٨١٧) الكشف (٢/٨٧).

(٨١٨) انظر: الدر المنثور (٥/٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٨١٩) انظر: تفسير القرطبي (٦/٨٧).

وأبي بن كعب[٨٢٠] واختاره الطبري[٨٢١] واستظهره أبو حيان[٨٢٢] والشنقيطي[٨٢٣]»[٨٢٤].

قلت: وقد جزم الفراء بكونه جبريل عليه السلام على القراءتين[٨٢٥]. وكذلك فسَّر به المنصوري والسعدي والصابوني[٨٢٦]، واستظهره الزحيلي في تفسيره[٨٢٧].

وقد استدل الفريق القائل بأنه جبريل؛ بالقراءة الشاذة عن ابن عباس رضي الله عنه (فناداها ملك من تحتها)[٨٢٨]،وكذلك بما روي عنه من أنه قال: ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها[٨٢٩].

أما الفريق القائل إن المنادي هو عيسى عليه السلام فقد استدل على ترجيحه بقرينتين كما بينهما الشنقيطي وهي:

الأولى: أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل. لأن الله قال (فحملته) يعني عيسى (فانتبذت به) أي: بعيسى. ثم قال بعده (فناداها) فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى.

الثانية: أنها لما جاءت به قومها تحمله، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه... وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته[٨٣٠].

---

(٨٢٠) انظر: الدر المنثور (٥/٥٠٢).
(٨٢١) انظر: تفسير الطبري (١٦/٥٢ ـ ٥٣).
(٨٢٢) انظر: البحر المحيط (٦/١٧٣).
(٨٢٣) انظر: أضواء البيان (٢/٤٦٣).
(٨٢٤) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٢/٧٩٤).
(٨٢٥) انظر معاني القرآن للفراء (٢/١٦٥).
(٨٢٦) انظر: المقتطف (٣/٢٩٧)، تفسير السعدي (ص٤٩٢)، صفوة التفاسير (٢/١٨٦).
(٨٢٧) انظر: التفسير المنير (١٦/٧٦).
(٨٢٨) انظر: تفسير الألوسي (١٦/٨٢).
(٨٢٩) انظر: تفسير القرطبي (٦/٨٧).
(٨٣٠) أضواء البيان (٢/٤٦٣ ـ ٤٦٤).

والباحثة ترى أن كلاً من الرأيين له وجهة نظر واجتهاد مقبولة إلا أن الرأي القائل بأن جبريل هو المنادي يترجح على الرأي الآخر؛ وذلك لأن القراءة الشاذة المروية عن الصحابة هي في الأصل تفسير للقرآن. كما أن مريم عليها السلام عندما سمعت النداء لم تخف ولم تفزع لأن صوت المنادي مألوف لها، فلو كان المنادي هو عيسى عليه السلام لفزعت، وبذلك يكون المنادي هو جبريل عليه السلام، وذلك لأن جبريل عليه السلام حينما جاءها في المرة الأولى فزعت ولكن لأنها ألفت صوته لم تفزع هذه المرة بل اطمأنت إلى أن الله لن يتركها، لذلك حينما طلب منها أن تصمت حينما تأتي قومها تيقنت أن الله سيدافع عنها، وأنه سيحدث معجزة أخرى تنجيها من الاتهام، كما أنها فهمت أن هذا الوليد سيكون مدافعاً عنها بقدرة الله لذلك أشارت إليه عند قدومها إلى قومها.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن القراءة الأولى بيّنت مكان المناداة. والقراءة الثانية أشارت إلى شخصية المنادي دون ذكرها صراحة. وفي كل من القراءتين غموض حول شخصية المنادي، ومن هنا تساوت القراءتان، فكان لا بد من الاستعانة في تحديد الشخصية بدليل راجح فجاءت القراءة الشاذة وهي قراءة ابن عباس لتحديدها؛ وهو: جبريل عليه السلام.

وعلى ذلك يكون التفسير كالتالي:

يقول المنصوري: «فناداها جبريل عليه السلام من مكان أسفل من مكانها، وقيل من تحت النخلة، وقال لها لا تحزني لهذا الأمر، ولا تهتمي بمقالة الناس، فقد جعل ربك بمكان أسفل منك نهراً صغيراً. ضرب جبريل برجله الأرض فظهرت عين ماء عذبة، فجرى جدول دافق بالماء، وهذه آية على كرامة مريم عليها السلام»(٨٣١).

٩ - قال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا

(٨٣١) انظر: المقتطف (٣/٢٩٧). ببعض التصرف.

﴿٢٥﴾ [مريم: ٢٥].

القراءات:

١. قرأ حفص (**تُسَاقِط**) بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين.

٢. قرأ حمزة (**تَسَاقَط**) بفتح التاء والقاف وتخفيف السين.

٣. قرأ يعقوب وشعبة بخلف عنه (**يَسَّاقَط**) بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف.

٤. قرأ الباقون (**تَسَّاقَط**) بفتح التاء وتشديد السين وفتح القاف، وهو الوجه الثاني لشعبة[٨٣٢].

اللغة والبيان:

السقوط: طرح الشيء من مكان عال إلى مكان منخفض[٨٣٣].

قراءة حفص (**تُسَاقِط**): مضارع (ساقَطت تساقِط مساقطةً) والفاعل ضمير يعود على النخلة، ورطباً مفعوله. و(تساقط) على وزن تُفَاعِل، وهذا يدل على أن السقوط لا يكون دفعة واحدة، وإنما شيئاً بعد شيء.

وقراءة حمزة (**تَسَاقَط**): مضارع (تساقط) حُذفت منه إحدى التاءين تخفيفاً، والفاعل ضمير يعود على النخلة، ورطباً تمييز.

وقراءة (**تَسَّاقَط**): مضارع (تساقط) أدغمت التاء في السين، والفاعل ضمير يعود على النخلة، ورطباً تمييز.

وقراءة (**يَسَّاقَط**): أي: (يتساقط) مضارع (تساقط) أدغمت التاء في السين تخفيفاً، والفاعل ضمير يعود على (الجذع) ورطباً تمييز[٨٣٤].

---

(٨٣٢) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، الميسر (ص٣٠٦).

(٨٣٣) مفردات الراغب (٢٦٤) مادة: سقط.

(٨٣٤) انظر: المستنير (٢/٨ ـ ٩)، حجة القراءات (ص٤٤٢ ـ ٤٤٣)، الفريد (٣/٣٩٤).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن كرامة لمريم عليها السلام أمدها الله بها ليُذهب حزنها ويُطمئن قلبها إلى أن كل ما حدث لها هو من أمر الله، يظهر من خلالها قدرته ﷻ.

يقول الصابوني: «أي: حركي جذع النخلة اليابسة يتساقط عليك الرُّطب الشهيُّ الطريُّ، قال المفسرون: أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع بعد رؤيتها عين الماء العذب الذي جرى جدولاً، وذلك ليسكن ألمها وتعلم أن ذلك كرامة من الله لها»[٨٣٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة **(تُسَاقِط)**: كثرة الرطب النازل على مريم عليها السلام من النخلة كأنها مأمورة بإسقاطه، وكأن الهز هو من قبيل الأخذ بالأسباب، كما تدل القراءة على نزول الرطب من النخلة تدريجياً، شيئاً بعد شيء وليس دفعة واحدة.

أما قراءة **(تَسَاقَط)** فأفادت: سهولة تساقطه وكثرته.

وقراءة **(تَسَّاقَط)** أفادت: شدة تساقطه، مع الاستغراب من كونه من النخلة ليبسها وعدم إقنائها لكون الأمر في فصل الشتاء.

أما قراءة **(يَسَّاقَط)** فأفادت: أن الرطب يسقط من الجذع بشدة وكثرة، وفي هذا دليل على أن النخلة التي التجأت إليها مريم عليها السلام لم تكن سوى جذع جاف، لا أوراق ولا ثمار لها ولكن بقدرة الله تحولت إلى نخلة مثمرة.

يقول البقاعي: «والتعبير بصيغة التفاعل في قراءة الجماعة وحمزة للدلالة على أن التمر يسقط منها، ومن حقه أن يكون منتفياً لأنها غير متأهلة لذلك، فهو ظاهر في أنه على وجه خارق للعادة، وقراءة الجماعة بالإدغام

(٨٣٥) صفوة التفاسير (٢/١٨٦).

تشير مع ذلك إلى أنه مع شدته يكاد أن يخفى كونه منها ليبسها وعدم إقنائها، وقراءة حمزة بالفتح والتخفيف تشير إلى سهولة تساقطه وكثرته، وقراءة حفص عن عاصم بالضم وكسر القاف من فاعل، تدل على الكثرة وأنه ظاهر في كونه من فعلها»(٨٣٦).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الله أوحى إلى مريم عليها السلام أن تأخذ بالأسباب، وتهز النخلة ليسقط عليها بشدة وكثرة وتتابع رطباً ناضجاً طيباً، من نخلة لم تكن في ذلك الوقت من السنة مهيأة لتحمل هذا الثمر، وينضج بهذه السرعة ويتحول إلى طعام صالح للأكل والتغذية في حالتها تلك، وهي حالة النفاس. وفي ذلك تطمين لها وبيان لقدرة الله على الايجاد من العدم، فالذي قَدِرَ على أن يُثْمِر جذع النخلة في الشتاء قَدِرَ على أن يحبلها من غير زوج.

يقول البيضاوي: «روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر، وكان الوقت شتاء، فهزتها فجعل الله تعالى لها رأساً وخوصاً ورطباً. وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها، فإن مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش، والمنبهة لمن رآها عليه على أن من قدر على أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر على أن يحبلها من غير فحل، وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام»(٨٣٧).

١٠ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم: ٣٤].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب **(قولَ الحقّ)** بنصب اللام.

---

(٨٣٦) نظم الدرر (٥٢٩/٤).

(٨٣٧) تفسير البيضاوي (١٢/٤).

٢. قرأ الباقون (**قولُ الحقِّ**) برفع اللام[٨٣٨].

البيان:

لفظة (الحق) للعلماء فيها وجهان:

الأول: أن المراد بالحق ضد الباطل، بمعنى الصدق والثبوت.

فعلى ذلك فقراءة (**قولَ الحقِّ**) بنصب اللام: على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، وعامله محذوف تقديره: أقول قول الحق.

وعلى قراءة (**قولُ الحقِّ**) برفع اللام: فهو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو، أي: هو قول الحق، أو هذا الكلام قول الحق.

الثاني: أن المراد بالحق في الآية اسم من أسماء الله تعالى.

فعلى قراءة النصب يكون (قولَ الحق) منصوب على المدح، أي: أمدح قول الحق، أي: قول الله وكلمته الذي هو عيسى عليه السلام.

وعلى قراءة الرفع فهو بدل من عيسى، أو خبر بعد خبر، وعلى هذا الوجه فـ(قول الحق) هو (عيسى) لأنه بكلمة الله كان، وقد سماه الله تعالى كلمة. والقول والكلمة على هذا الوجه من التفسير بمعنى واحد[٨٣٩].

التفسير:

تتحدث هذه الآية عن علو شأن عيسى عليه السلام وثبوت بشريته وبنوته من مريم من غير أب، وبعده عما اختلف فيه النصارى واليهود؛ حيث ادعى النصارى أنه ابن لله، أو هو الله، وادعت اليهود ـ عليهم لعنة الله ـ أنه ساحر كذاب.

يقول السعدي: «أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات، عيسى بن

(٨٣٨) انظر: النشر (٢/٢٣٩)، الميسر (ص٣٠٧).

(٨٣٩) انظر: أضواء البيان (٢/٤٧٩)، الكشاف (٣/١٠٣)، البحر المحيط (٦/١٧٨)، الكشف (٢/٨٨ ـ ٨٩)، الملخص في إعراب القرآن (ص٢٤٣)، المغني (٣/١٠ ـ ١١).

مريم، من غير شك ولا مرية، بل قول الحق وكلام الله، الذي لا أصدق منه قيلاً، ولا أحسن منه حديثاً، فهذا الخبر اليقيني عن عيسى عليه السلام، وما قيل فيه مما يخالف هذا، فإنه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكاً من قائله لا علم له به، ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكون فيمارون بشكهم، ويجادلون بخرصهم، فمن قائل عنه: إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن إفكهم وتقوُّلهم علواً كبيراً»(٨٤٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أولاً: على اعتبار تفسير (الحق) بالصدق:

أفادت قراءة (قولَ الحق) أن الأخبار عن عيسى عليه السلام وبنوته للسيدة مريم عليها السلام وبالتالي ثبوت بشريته، وأنها ولدته من غير مس بشر؛ أخبار صادقة.

يقول أبو حيان: «أي: هذه الأخبار عن عيسى أنه ابن مريم ثابت صدق ليس منسوباً لغيرها، أي: إنها ولدته من غير مس بشر، كما تقول: هذا عبدالله الحق لا الباطل، أي: أقول الحق، وأقول قول الحق، فيكون الحق هنا الصدق»(٨٤١).

وأفادت قراءة (قولُ الحق) أن نسبة عيسى عليه السلام إلى أمه فقط قول الصدق، وما عدا ذلك فهو كذب وافتراء. وعلى ذلك فالقراءتان بمعنى واحد؛ وهي بشرية عيسى عليه السلام، وبنوته لمريم عليها السلام، لا ما ادعاه المغرضون.

يقول الرازي: «أن يكون قول الحق خبراً لمبتدأ محذوف كأنه قيل: ذلك عيسى بن مريم ووصفنا له هو قول الحق، فكأنه تعالى وصفه أولاً ثم ذكر أن هذا الموصوف هو عيسى ابن مريم، ثم ذكر أن هذا الوصف أجمع

---

(٨٤٠) تفسير السعدي (ص٤٩٣).

(٨٤١) البحر المحيط (١٧٨/٦).

هو قول الحق على معنى أنه ثابت لا يجوز أن يبطل كما بطل ما يقع منهم من المرية، ويكون في معنى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾»[٨٤٢].

ثانياً: على اعتبار تفسير (الحق) باسم الله تعالى:

فيفيد قوله (قول الحق) سواء بالرفع أو بالنصب أن الله سمى عيسى عليه السلام كلمة الله، وقول الله؛ لأن الله أوجده بكلمته التي قالها كن فكان. والقراءتان بمعنى واحد.

الجمع بين تفسيري القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين تفسيري القراءتين أن الله ﷻ وصف عيسى عليه السلام بأنه أوجده بكلمته وقوله كن فكان، وأنه بشر وهو ابن مريم عليها السلام أوجده من غير بعل، وأنه ليس بإله ولا ابن لله كما يفتري النصارى، وأن كل ما قاله الله بشأنه هو الحق، فيجب الالتزام به، وما دونه هو الباطل، فيجب الانتهاء عنه.

١١ ـ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ٣٥].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (**فيكونَ**) بنصب النون.

٢. قرأ الباقون (**فيكونُ**) برفع النون[٨٤٣].

البيان:

قراءة (**فيكونَ**) بنصب النون: على تقدير إضمار (أن) بعد الفاء الواقعة بعد حصر بـ(إنما).

---

(٨٤٢) التفسير الكبير (٢١/٢١٨).

(٨٤٣) انظر: النشر (٢/١٦٦)، المغني (١/١٧٨ ـ ١٧٩).

جاء في المغني في توجيه القراءات: قال الأشموني[٨٤٤]: «قد تُضمر (أن) بعد الفاء الواقعة بعد حصر بإنما اختياراً نحو: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ في قراءة مَن نَصَبَ «لأن (فيكون) ليس بجواب لـ(كن)؛ لأن (كن) ليس بأمر، وإنما معناه الخبر، إذ ليس ثمَّ مأمور يكون (كن) أمراً له.

قال الصبان[٨٤٥]: «إنما لم يُجعل منصوباً في جواب (كن) لأنه ليس هناك قول (كن) حقيقة، بل هو كناية عن تعلق القدرة تنجيزاً بوجود الشيء، ولِمَا سيأتي عن ابن هشام من أنه لا يجوز توافق الجواب والمجاب في الفعل والفاعل، بل لا بدَّ من اختلافهما فيهما، أو في أحدهما، فلا يُقال: (قم تقم)، وبعضهم جعله منصوباً في جوابه نظراً إلى وجود الصيغة في هذه الصورة، ويردّه ما ذكرناه عن ابن هشام» اهـ[٨٤٦].

وقراءة **(فيكونُ)** برفع النون: على الاستئناف، أي: فهو يكون[٨٤٧].

التفسير:

بعدما أثبت سبحانه في الآية السابقة بشرية عيسى عليه السلام، وأنه ليس ابناً لله، جاءت هذه الآية لتؤكد ذلك، ولتبطل الافتراء؛ لأن اتخاذ الولد في حق الله من النقائص التي يتنزه عنها جل جلاله، لأنه سبحانه لا يعجزه شيء، فكيف يعجز عن خلق عيسى من غير أب؟!.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره: لقد كفر الذين قالوا: إن عيسى ابن الله، وأعظموا الفرية عليه، فما ينبغي لله أن يتخذ ولداً، ولا يصلح ذلك له ولا يكون، بل كل شيء دونه فخلقه. و(أن) من قوله ﴿أَن يَتَّخِذَ﴾ في موضع رفع بـ(كان)، وقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ يقول: تنزيهاً لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون: عيسى ابن الله. وقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا

(٨٤٤) انظر: شرح الأشموني على الألفية (٢٢٩/٣).

(٨٤٥) حاشية الصبان على شرح الأشموني (٢٢٩/٣).

(٨٤٦) انظر: المغني (١٧٨/١ ـ ١٧٩) باختصار وتصرف.

(٨٤٧) انظر: حجة القراءات (ص١١١)، معاني القراءات (ص٦١).

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ يقول جل ثناؤه: إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء، وأنشأه إنشاء من غير فحل افتحل أمه، ولكنه قال له كن فيكون لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها، إنما يقول إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه: كن فيكون موجوداً حادثاً، لا يعظم عليه خلقه، لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة، ولا ينشئه بمعالجة وشدة»[٨٤٨].

ويقول ابن عاشور: «وجملة ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ بيان لجملة ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ لإبطال شبهة النصارى إذ جعلوا تكوين الإنسان بأمر التكوين عن غير سبب معتاد على أن المكوَّن ابن الله تعالى، فأشارت الآية إلى أن هذا يقتضي أن تكون أصول الموجودات أبناء لله، وإن كان ما يقتضيه لا يخرج عن الخضوع إلى أمر التكوين»[٨٤٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

تعرض الباحث عبدالله الملاحي لهذه القراءة في بحثه عند تفسير قوله تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ من سورة البقرة، وبيَّن العلاقة التفسيرية بين القراءتين قائلاً: «إن لاختلاف القراءات (فيكونَ) و(فيكونُ) أثر كبير على المعنى من الناحية العقدية؛ من حيث بيان أن الأمر الإلهي لا يحتاج إلى مهلة لتحقيقه، بل يتحقق بمجرد توجه الإرادة الإلهية إليه بحيث يعامل معاملة الخبر. وبيان ذلك أن قراءة (فيكونَ) توحي بأن الأمر في قوله (كن) حقيقي يحتاج إلى جواب. ولكن بالنظر إلى قراءة الجمهور (فيكونُ) يتحقق لدينا أن الأمر ليس حقيقياً، بل هو أمر في صورة الخبر، قال الطاهر ابن عاشور[٨٥٠]: (كان) في الآية تامة لا تطلب خبراً، أي: يقول له ايجد فيوجد، والظاهر أن القول والمقول والمسبب هنا تمثيل لسرعة وجود الكائنات عند تعلق الإرادة والقدرة بهما،

---

(٨٤٨) انظر: تفسير الطبري (١٦/٦٤).

(٨٤٩) التحرير والتنوير (١٦/١٠٣).

(٨٥٠) التحرير والتنوير (١/٦٨٧ ـ ٦٨٨).

بأن شبه فعل الله تعالى بتكوين شيء وحصول المكون عقب ذلك بدون مهلة توجه الآمر للمأمور بكلمة الأمر، وحصول امتثاله عقب ذلك لأن تلك أقرب الحالات المتعارفة التي يمكن التقريب بها في الأمور التي لا تتسع اللغة للتعبير عنها» اهـ[٨٥١].

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم: ٣٦].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس **(وأنَّ)** بفتح الهمزة.
٢. قرأ الباقون **(وإنَّ)** بكسر الهمزة[٨٥٢].

البيان:

قراءة **(إنَّ)** بكسر الهمزة: على الاستئناف، لأنها رأس آية، أو عطف على قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

وقراءة **(أنَّ)** بفتح الهمزة: على وجهين:

الأول: أنها مجرورة بلام محذوفة، والجار والمجرور متعلق بالفعل بعده (فاعبدوه)، والتقدير: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه.

الثاني: أنها عطف على (وأوصاني بالصلاة)، والتقدير: وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم فاعبدوه[٨٥٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن عبودية عيسى عليه السلام لله كغيره من الخلق،

---

(٨٥١) تفسير القرآن بالقراءات (رسالة ماجستير) / عبدالله الملاحي (ص١٠٠).

(٨٥٢) انظر: النشر (٢/٢٣٩).

(٨٥٣) انظر: الكشف (٢/٨٩)، الدر (٤/٥٠٦)، الفريد (٣/٤٠١)، معاني القراءات (ص٢٨٤)، الحجة في القراءات السبع (ص١٤٢)، حجة القراءات (ص٤٤٤)، المغني (٣/١١)، المستنير (٢/١١ ـ ١٢).

ووصيته لقومه بإخلاص العبادة لله لأنه ربه وربهم، وهذا هو الطريق الحق الذي يجب عليهم أن يسلكوه.

يقول السعدي: «أخبر عيسى أنه عبد مربوب كغيره، فقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ الذي خلقنا، وصورنا، ونفذ فينا تدبيره، وصرفنا تقديره ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، واجتهدوا في الإنابة، وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاستدلال بالأول على الثاني، ولهذا قال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: طريق معتدل، موصل إلى الله، لكونه طريق الرسل وأتباعهم، وما عدا هذا فإنه من طرق الغيّ والضلال»[٨٥٤].

ويقول البقاعي: «ولما كان اشتراك الخلائق في عبادة الخالق بعمل القلب والجوارح علماً وعملاً أعدل الأشياء، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ أي الذي أمرتكم به ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لأنا بذلنا الحق لأهله بالاعتقاد الحق والعمل الصالح، ولم يتفضل أحد منا فيه على صاحبه»[٨٥٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (وإنَّ) بكسر الهمزة: أن هذا القول من جملة أقوال عيسى عليه السلام التي خاطب بها قومه وهو رضيع ليؤكد على عبوديته لله.

يقول ابن كثير: «ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده؛ أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربه، وأمرهم بعبادته، فقال ﴿فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم، أي: قويم، من اتبعه رشد وهدي، ومن خالفه ضل وغوى»[٨٥٦].

ويقول البقاعي: «وقراءة الباقين بالكسر على أنه مقول عيسى عليه السلام في الماضي، ويكون اعتراض ما تقدم من كلام الله بينهما للتأكيد والاهتمام»[٨٥٧].

(٨٥٤) تفسير السعدي (ص٤٩٣).
(٨٥٥) نظم الدرر (٥٣٣/٤).
(٨٥٦) تفسير ابن كثير (٢٣٧/٥).
(٨٥٧) نظم الدرر (٥٣٣/٤).

أما قراءة (وأنَّ) بالفتح فأفادت: تعليل أمر عيسى عليه السلام لقومه بعبادة الله وذلك لأنه ربه وربهم، فوجب عليهم عبادته.

يقول البقاعي: «ولما كان لسان الحال ناطقاً عن عيسى عليه السلام بأن يقول: وقد قضاني الله فكنت كما أراد، فأنا عبدالله ورسوله، فاعتقدوا ذلك ولا تعتقدوا سواه من الأباطيل، عطف عليه في قراءة الحرميين(٨٥٨) وأبي عمرو قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: الذي له الأمر كله ﴿رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ أي: أحسن إلى كل منا بالخلق والرزق، لا فرق بيننا في أصل ذلك ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحده لتفرده بالإحسان كما أعبده»(٨٥٩).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن عيسى عليه السلام خاطب قومه وهو في مهده ليعلن عبوديته لله، وأن الله هو ربه وربهم المنعم عليهم المتصرف في خلقه، الذي له الأمر كله، لذلك وجب عليهم عبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠].

القراءات:

١. قرأ يعقوب **(يَرْجِعون)** بفتح الياء وكسر الجيم.

٢. قرأ الباقون **(يُرْجَعون)** بضم الياء وفتح الجيم(٨٦٠).

اللغة والبيان:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، وبذاته كان رجوعه، أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله، ومن الرجوع قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ

---

(٨٥٨) المقصود هما: نافع المدني، وابن كثير المكي.

(٨٥٩) نظم الدرر (٥٣٣/٤).

(٨٦٠) انظر: النشر (١٥٧/٢)، الميسر (ص٣٠٨)، الإتحاف (ص٣٧٨).

﴿تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

والرجع: الإعادة، والرَّجعة. والرَّجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات. مثل قوله تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. لذلك يصح أن يكون قوله: (يرجعون) من الرجع أو الرجوع(٨٦١).

قراءة (يَرجِعون) بالفتح: على البناء للفاعل، وهو فعل مضارع من (رجع) اللازم.

وقراءة (يُرجَعون) بالضم: على البناء للمفعول، وهو فعل مضارع من (رجع) المتعدي. لأن (رجع) يكون لازماً ومتعدياً(٨٦٢).

التفسير:

الآية الكريمة تهوين وتسلية للنبي ﷺ لما أصابه من تكذيب المشركين له وإنكارهم للبعث، وبيان أنه ﷻ الخالق المالك المتصرف، وأن الخلق يهلكون ويبقى هو ﷻ، وأن الذي خلقهم سيبعثهم بعد فناء الأرض، وسيعيدهم وغيرهم من مخلوقاته إليه يوم القيامة ليجازيهم على أعمالهم.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس، بفنائهم منها، وبقائها لا مالك لها غيرنا، ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله، عند مرجعه إلينا، المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته»(٨٦٣).

ويقول البقاعي: «ولما كان الإرث هو حوز الشيء بعد موت أهله، وكان سبحانه قد قضى بموت الخلائق أجمعين، وأنه يبقى وحده، عبّر عن ذلك بالإرث مقرراً به مضمون الكلام السابق، فقال مؤكداً تكذيباً لقولهم:

---

(٨٦١) انظر: مفردات الراغب (ص٢١٢ ـ ٢١٣) مادة: رجع.

(٨٦٢) انظر: المغني (١٣١/١).

(٨٦٣) تفسير الطبري (٦٧/١٦).

إن الدهر لا يزال هكذا، حياة لقوم وموت لآخرين ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ بعظمتنا التي اقتضت ذلك ولا بد، وأفاد الأصبهاني أن تأكيد اسم (إن) أفاد أن الإسناد إليه سبحانه لا إلى أحد من جنده ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ فلا ندع بها عامراً من عاقل ولا غيره. ولما كان العاقل أقوى من غيره، صرَّح به بعد دخوله فقال ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: من العقلاء، بأن نسلبهم جميع ما في أيديهم ﴿وَإِلَيْنَا﴾ لا إلى غيرنا من الدنيا وجبابرتها إلى غير ذلك ﴿يُرْجَعُونَ﴾ معنى في الدنيا وحساً بعد الموت»(٨٦٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (يُرجعون) إلى وجود قوة خارجة عن الإرادة تدفع بالرجوع إلى الله، وأن الأمر ليس بالإرادة الذاتية، أما قراءة (يَرجعون) فأفادت الرغبة والإرادة في الرجوع إلى الله دون التدخل والإجبار في ذلك.

قال أبو حيان: «لا يلزم من رجوع الشخص إلى شيء أن غيره رجعه إليه، إذ قد يرجع بنفسه من غير رادّ»(٨٦٥).

وقد بيَّن الشعراوي مَن المقصود في القراءتين على النحو الآتي:

أن المقصود من قراءة البناء للمفعول هم الكفار لأنهم يتمنون عدم الرجوع إلى الله، لذلك جاء بصيغة الإجبار. أما قراءة البناء للفاعل فهي تنطبق على المؤمنين لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله. لذلك جاء بصيغة الرغبة والإرادة(٨٦٦).

ويقول ابن عاشور: «وقراءة الضم على اعتبار أن الله أرجعهم وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث. والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم

(٨٦٤) نظم الدرر (٥٣٥/٤).

(٨٦٥) البحر المحيط (٢٧٨/١) عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٨٦٦) انظر: تفسير الشعراوي (٢٣١/١) عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة. <u>تنبيه</u>: الآية (٢٨) من سورة البقرة تم تفسيرها من قبل الأستاذ عبدالله الملاحي في رسالته (انظر: تفسير القرآن بالقراءات ص٧٠ (رسالة ماجستير).

بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر»[٨٦٧].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين على هذا التفسير أن الجميع من مؤمن وكافر سيعود إلى الله سواء أحب لقاء الله أم كره ذلك؛ ليحاسبه على عمله يوم القيامة، سواء رجع إلى الله مختاراً راغباً لإيمانه في الله ويقينه في عدل الله، أم رجع مجبراً لكفره بالبعث.

وقد يحتمل لفظ (يرجعون) الرجوع يوم القيامة ويكون رجوعاً حسياً أي: بالبعث بعد الموت. وقد يُقصد به الرجوع في الدنيا، ويكون هذا الرجوع معنوياً، أي: رجوع من الكفر إلى الإيمان.

وقد أشار البقاعي إلى هذا المعنى في كلامه السابق، ولكنه فصّله لاحقاً بقوله: «ولما ذم الضالين في أمر المسيح، وعلق تهديدهم بوصف دخل فيه مشركو العرب، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث، وغيرهم بأنهم لسوء أعمالهم كالمكذبين به، وختم ذلك بأنه الوارث وأن الرجوع إليه، ودخل في ذلك الإرث بغلبة أنبيائه وأتباعهم على أكثر أهل الأرض برجوع أهل الأديان الباطلة إليهم حتى يعم ذلك جميع أهل الأرض في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام»[٨٦٨].

وعلى ذلك يكون المقصود بقراءة المبني للمفعول الرجوع يوم القيامة، والمبني للفاعل الرجوع في الدنيا. والله تعالى أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١﴾ [مريم: ٤١].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان **(إبراهام)** بفتح الهاء وألف بعدها.

---

(٨٦٧) انظر: التحرير والتنوير (٣٧٧/١) عند تفسير الآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٨٦٨) نظم الدرر (٥٣٥/٤).

٢. قرأ الباقون (إبراهيم) بكسر الهاء وياء بعدها، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان[٨٦٩].

١. قرأ نافع (نبيئاً).

٢. قرأ الباقون (نبياً)[٨٧٠].

البيان:

(إبراهام) و **(إبراهيم)**: هما لغتان بمعنى واحد[٨٧١].

قال الأزهري: «القراءة بالياء لتتابع القراءة عليه، ومن قرأ (إبراهام) فهي لغة عبرانية تركت على حالها ولم تعرَّب»[٨٧٢].

(نبيئاً): سبق التعرض لهذه القراءة عند تفسير الآية الخامسة والخمسين من سورة الإسراء[٨٧٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله لنبيه الكريم ﷺ أن يذكر خبر إبراهيم ﷺ مع أبيه وقومه لأولئك المشركين الذين يعلمون أنهم من ذريته، ويدّعون أنهم على ملته، أنه كان نبياً مرسلاً من عند الله، عالي القدر، بليغ الصدق في أقواله وأفعاله، فعليهم أن يقتدوا به، لا أن ينكروا رسالة محمدٍ لأنه نبي مثله.

يقول البقاعي: «واذكر يا محمد في الكتاب الذي أنزل عليك وتبلغه

(٨٦٩) انظر: النشر (١٦٦/٢ ـ ١٦٧)، المغني (١٩١/١).

(٨٧٠) انظر حجة القراءات (٩٩/١)، وانظر إتحاف فضلاء البشر (ص١٨٠) في موضع الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٨٧١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (٢٦٣/١).

(٨٧٢) معاني القراءات (ص٦٣).

(٨٧٣) انظر: ص٦٣ من هذا البحث.

للناس، وتعلمهم أن هذه القصة من القرآن، وأن إبراهيم أعظم آبائكم الذي نهى أباه عن الشرك يا مَن يكفرون تقليداً للآباء! ثم علل تشريفه بذكره له على سبيل التأكيد المعنوي بالاعتراض بين البدل والمبدل منه، واللفظي بـ(إن) بقوله منبهاً على أن مخالفتهم له بالشرك والاستقسام بالأزلام، ونحو ذلك تكذيب بأوصافه الحسنة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ أي: جبلة وطبعاً ﴿صِدِّيقًا﴾ أي: بليغ الصدق في نفسه في أقواله وأفعاله، والتصديق بكل ما يأتيه مما هو أهل لأن يصدق لأنه مجبول على ذلك، ولا يكون كذلك إلا وهو عامل به حق العمل فهو أبلغ من المخلص ﴿نَّبِيًّا﴾ أي: يخبره الله بالأخبار العظيمة جداً التي يرتفع بها في الدارين، وهو أعظم الأنبياء بعد محمد ـ على جميعهم أفضل الصلاة والسلام ـ وإن كانوا مقرين بنبواتهم تنزيلاً لهم منزلة المنكر، لجريهم في إنكارهم نبوة البشر على غير مقتضى علمهم»[٨٧٤].

١٥ ـ قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢].

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وابن عامر **(يا أبتَ)** بفتح التاء في المواضع الأربعة من السورة.

٢. قرأ الباقون **(يا أبتِ)** بكسر التاء في المواضع الأربعة من السورة[٨٧٥].

٣. قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب **(يا أبه)** بالهاء عند الوقف.

٤. قرأ الباقون **(يا أبت)** بالتاء عند الوقف[٨٧٦].

---

(٨٧٤) انظر: نظم الدرر (٥٣٦/٤). ببعض التصرف.

(٨٧٥) انظر: النشر (٢٢٠/٢). عند ذكر القراءات الواردة في سورة يوسف.

(٨٧٦) انظر: النشر (٩٨/٢) باب الوقف على مرسوم الخط.

البيان:

قراءة (يا أبتَ) بفتح التاء: على اعتبار أن الفتحة عوض عن الألف المحذوفة المبدلة من ياء الإضافة؛ فأصل المنادى: (يا أبتا) بعد الإبدال.

أما قراءة (يا أبتِ) بكسر التاء: على اعتبار أن الكسرة عوض عن الياء المحذوفة من المنادى (يا أبتي)(٨٧٧).

ويقول البقاعي: «(يا أبت) تاؤه للتأنيث؛ لأنه يوقف عليها عند بعض القراء بالهاء، وكسرتها عند مَنْ كَسَرَ دالة على ياء الإضافة التي عوض عنها تاء التأنيث، واجتماع الكسرة معها كاجتماعها مع الياء، وفتحها عند من فتح عوض عن الألف القائمة مقام ياء الإضافة»(٨٧٨).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نصيحة إبراهيم ﷺ لأبيه بترك عبادة الأوثان، بلطف وأدب جم، ثم بيان سبب عدم أهليتها للعبادة.

يقول الزمخشري: «حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة، كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف، والرفق واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن»(٨٧٩).

ويقول الألوسي: «لقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق ليس له مِنْ هَاجٍ؛ لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن سبيل الرشاد؛ حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل، ويأبى الركون إليه فضلاً عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحق إلا

---

(٨٧٧) انظر: حجة القراءات (١/٣٥٣ ـ ٣٥٤)، الكشف عن وجوه القراءات (٢/٣).

(٨٧٨) تفسير نظم الدرر للبقاعي (٤/١٠) عند تفسير الآية (٤) من سورة يوسف.

(٨٧٩) تفسير الكشاف (٣/١٠٦ ـ ١٠٧).

لمن له الاستغناء التام، والإنعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب. ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح، والشيء لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً قادراً على النفع والضر لكن كان ممكناً لاستنكف ذو العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع ليس له من أوصاف الأحياء عين ولا أثر»[880].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تنوع القراءات في (يا أبت) يدل على تنوع أسلوب الخطاب الذي انتهجه إبراهيم ﷺ في إسداء النصيحة إلى والده، وفي تنوع الحالة النفسية التي كان عليها في أثناء خطابه لوالده، وبيان ذلك التالي: قراءة (يا أبتِ) بالكسر أفادت شدة استعطاف إبراهيم ﷺ لأبيه في مخاطبته؛ لما تفيده الكسرة من الضعف.

وأفادت قراءة (يا أبتَ) شدة تضايق إبراهيم ﷺ من حالة والده المنحرفة عن الصراط السوي؛ لما تفيده الألف المحذوفة التي عُوِّض عنها بالفتحة من مد في الخطاب.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم: ٥١].

القراءات:

١. قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (**مُخْلَصاً**).

٢. قرأ الباقون (**مُخْلِصاً**) بكسر اللام[881].

اللغة:

الإخلاص: هو القصد في العبادة إلى أن يعبد المعبود بها

(٨٨٠) روح المعاني (١٦/٩٧).

(٨٨١) انظر: النشر (٢/٢٢١).

وحده[٨٨٢]، أي: التبري عن كل ما دون الله تعالى[٨٨٣].

(مُخْلَصاً): أي: أخلصه الله للعبادة والنبوة.

(مُخْلِصاً): أي: أخلص العبادة عن الشرك والرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله[٨٨٤].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن صفات موسى ﷺ التي هيأته لاجتباء الله له وتحمله للرسالة.

يقول الشوكاني: «قفّى سبحانه قصة إبراهيم بقصة موسى لأنه تلوه في الشرف. وقدَّمه على إسماعيل لئلا يفصل بينه وبين ذكر يعقوب، أي: واقرأ عليهم من القرآن قصة موسى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾، قرأ أهل الكوفة بفتح اللام أي: جعلناه مختاراً وأخلصناه، وقرأ الباقون بكسرها أي: أخلص العبادة والتوحيد لله غير مراء للعباد ﴿**إنه كان رسولاً نبيئاً**﴾ أي: أرسله الله إلى عباده فأنبأهم عن الله بشرائعه التي شرعها لهم، فهذا وجه ذكر النبيّ بعد الرسول مع استلزام الرسالة للنبوة، فكأنه أراد بالرسول معناه اللغوي لا الشرعي، والله أعلم»[٨٨٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (مخلِصاً): أن موسى ﷺ أخلص العبادة والتوحيد لله فلم يُشرك ولم يرائي في عباداته. وأسلم وجهه لله.

وأفادت قراءة (مخلَصاً): أن الله ﷻ استخلص موسى ﷺ واصطفاه للعبادة والنبوة.

---

(٨٨٢) التفسير الكبير (٢٣٢/٢١).

(٨٨٣) مفردات الراغب (ص١٧٤) مادة: خلص.

(٨٨٤) البحر المحيط (١٨٧/٦). وانظر: مجمع البيان (٤٠٠/٦)، حجة القراءات (ص٤٤٤ ـ ٤٤٥)، الملخص (ص٢٤٦)، الفريد (٤٠٤/٣).

(٨٨٥) فتح القدير (٤٢٣/٣).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن موسى ﷺ أخلص الطاعة والعبادة لله ﷻ مما جعله مؤهلاً للاختيار والاصطفاء من الله ﷻ ليكون رسولاً نبياً. فالقراءتان تكمّل إحداهما الأخرى.

يقول السعدي: «والمعنيان متلازمان، فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه موجب لاستخلاصه، وأجلّ حالة يوصف بها العبد: الإخلاص منه، والاستخلاص من ربه»(٨٨٦).

١٧ ـ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي **(وبِكِيّاً)** بكسر الباء.

٢. قرأ الباقون **(وبُكِيّاً)** بضم الباء(٨٨٧).

البيان:

بُكياً: جمع (باك)، على وزن (فُعُول) جمع فاعل، وهو يائي لأن فعله بكى يبكي، فأصله: بُكُويٌ، فلما اجتمع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وحُركت عين الكلمة بحركة مناسبة للياء(٨٨٨)، أما بِكِياً: فكُسِرَ الحرف الثاني لمناسبة الياء وكُسِرَ الحرف

---

(٨٨٦) تفسير السعدي (ص٤٩٥).

(٨٨٧) انظر: المغني (١٢/٣ ـ ١٣).

(٨٨٨) انظر: التحرير والتنوير (١٣٣/١٦)، حجة القراءات (ص٤٣٩)، مشكل إعراب القرآن لمكي (٤٥٦/٢ ـ ٤٥٧)، المغني (١٢/٣ ـ ١٣)، الفريد (٤٠٦/٣).

الأول تبعاً لكسر الحرف الثاني ليعمل اللسان فيهما عملاً واحداً[٨٨٩].
و(**بكياً**): منصوب على الحال من الضمير في (خروا)[٨٩٠].

التفسير:

بعد أن أثنى الله على كل رسول من رسله العشرة بما يخصه، جمعهم آخراً بصفة واحدة: هي الإنعام عليهم بالنبوة، والهداية إلى طريق الخير، والاصطفاء من سائر خلقه. قال ابن كثير[٨٩١]: ليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط، بل جنس الأنبياء عليهم السلام، استطرد من ذكر الأشخاص إلى الجنس[٨٩٢].

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: هؤلاء الذين اقتصصت عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذرية آدم، ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفلك، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذرية إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا: يقول: وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جد نوح، وقوله تعالى ذكره: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يقول: إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه، خروا لله سجداً، استكانة وتذللاً

(٨٨٩) انظر: حجة القراءات (ص٤٣٩)، مشكل إعراب القرآن لمكي (٤٥٧/٢)، المغني (١٢/٣ ـ ١٣)، الملخص (ص٢٤٨).
(٨٩٠) الفريد (٤٠٦/٣). وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣٣٥/٣)، الملخص (ص٢٤٨).
(٨٩١) تفسير ابن كثير (٢٤٩/٥).
(٨٩٢) التفسير المنير (١٢٧/١٦).

وخضوعاً لأمره وانقياداً، ﴿وَبُكِيًّا﴾ يقول: خروا سجداً وهم باكون، والبكيّ جمع باك، كما العتيّ جمع عات»[٨٩٣].

ويقول البقاعي: «ولما ذكر ما حباهم به، ذكر ما تسبب عن ذلك فقال مستأنفاً ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ العام النعمة، فكيف بهم إذا أعلاهم جلال أو خصتهم رحمة من جلائل النعم، من فيض الجود والكرم، فسمعوا خصوص هذا القرآن ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ للمنعم عليهم تقرباً إليه، لما لهم من البصائر المنيرة في ذكر نعمه عليهم وإحسانه إليهم ﴿وَبُكِيًّا﴾ خوفاً منه وشوقاً إليه، فوصفهم بسرعة الخشوع من ذكر الله الناشيء عن دوام الخضوع والناشيء عنه الإسراع في السجود في حالة البكاء، وجعلهما حالتين بالعطف بالواو لعراقة المتحلي بهما في كل منهما على انفراده، وعبَّر بالاسم في كل من السجود والبكاء، إشارة إلى أن خوفهم دائم كما أن خضوعهم دائم لعظمة الكبير الجليل، لأن تلك الحضرة لا تغيب عنهم أصلاً»[٨٩٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (بُكياً): شدة بكائهم وخوفهم الدائم من الله لما تفيده الضمة من القوة والمبالغة. وأفادت قراءة (بِكياً): سهولة بكائهم وخضوعهم لله مع تذللهم وانكسارهم أمام جلاله سبحانه. وذلك لما تفيده الكسرة من الضعف وسهولة الخروج.

الجمع بين القراءتين:

كل قراءة من القراءتين بيّنت جانباً من حال أولئك الأنبياء والصالحين، وبالجمع بينهما تكون الصورة قد اكتملت في بيان تلك الحال؛ فهم إذا تليت عليهم آيات الله أسرعوا بالسجود لله شكراً على نعمائه، وعيونهم تفيض من الدمع تذللاً وخضوعاً له وخشية منه سبحانه وانكساراً أمامه، دائمي البكاء والتذلل له جل في علاه.

---

(٨٩٣) تفسير الطبري (١٦/٧٣).

(٨٩٤) نظم الدرر (٤/٥٤٤ ـ ٥٤٥).

١٨ ـ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٦٠].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر ويعقوب **(يُدْخَلون)** بضم الياء وفتح الخاء على البناء للمفعول.

٢. قرأ الباقون **(يَدْخُلون)** بفتح الياء وضم الخاء على البناء للفاعل[٨٩٥].

البيان:

(يَدْخُلون): أُضيف الفعل إلى الداخلين لأنهم هم الداخلون بأمر الله لهم.

(يُدْخَلون): أُضيف الفعل إلى الغير؛ لأنهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله إياها[٨٩٦].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بشرى الله للعائدين إليه المخلصين في توبتهم وإنابتهم إليه؛ حيث بشرهم بالجنة الدائمة، وتكفير لذنوبهم، وعدل وتمام في ثوابهم وجزاء أعمالهم.

يقول ابن كثير: «أي: إلا من رجع عن ترك الصلاة واتباع الشهوات، فإن الله يتقبل توبته، ويحسن عاقبته، ويجعله من وَرَثة جنة النعيم. ولهذا قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ وذلك لأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها وفي الحديث الآخر: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)[٨٩٧] ولهذا لا

---

(٨٩٥) انظر: النشر (١٨٩/٢).

(٨٩٦) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (٣٩٧/١) في موضع الآية (٦٩) من سورة النساء.

(٨٩٧) أخرجه ابن ماجة (١٤١٩/٢ ـ ١٤٢٠) كتاب: الزهد. باب: ذكر التوبة. حديث رقم (٤٢٥٠) من طريق معمر عن عبدالكريم عن أبي عبيدة بن عبدالله عن أبيه. . .به. والبيهقي في سننه (١٥٤/١٠). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٠/١٠) عن=

يُنقَص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئاً، ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فيُنقَصَ لهم مما عملوه بعدها؛ لأن ذلك ذهب هدراً وتُرك نسياً، وذهب مجاناً من كرم الكريم وحلم الحليم، وهذا الاستثناء هاهنا كقوله في سورة الفرقان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠][٨٩٨].

ويقول ابن عاشور: «وذِكْر (شيئاً) في سياق النفي يفيد نفي كل فرد من أفراد النقص والإجحاف والإبطاء، فيعلم انتفاء النقص القوي بالفحوى دفعاً لما عسى أن يخالج نفوسهم من الانكسار بعد الإيمان بظن أنّ سبق الكفر يحط من حسن مصيرهم»[٨٩٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

القراءتان متداخلتان، لأنهم إذا أمروا بالدخول دخلوا، ولأنهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله إياها، فهم داخلون مُدخَلون[٩٠٠].

١٩ ـ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

القراءات:

١. قرأ رويس (نُوَرِّثُ) بفتح الواو وتشديد الراء، مضارع (ورَّث) مضعف العين.

= عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ. وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

(٨٩٨) تفسير ابن كثير (٢٥٣/٥).

(٨٩٩) التحرير والتنوير (١٣٦/١٦).

(٩٠٠) الكشف (٣٩٨/١).

٢. قرأ الباقون (**نُوْرِثُ**) بالإسكان والتخفيف، مضارع (أورث) معدّاً بالهمزة[٩٠١].

البيان:

ورث: قال ابن فارس[٩٠٢]: الواو والراء والثاء كلمة واحدة هي: الوِرث... وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب[٩٠٣].

تقول الدكتورة نجاة الكوفي: «والفعل الثلاثي (ورث) يتعدى بنفسه إلى المورَّث والموروث، نحو: ورث سليمان داود، ورث مالاً. ويأتي الفعل مزيداً بالتضعيف، يقال: ورَّثه بمعنى أدخله في ماله على وَرَثَتَهُ، أي أن الفعل المضعف يتعدى إلى من يرث من غير الورثة الشرعيين. وتُزاد الهمزة فيتعدى الفعل إلى الوارث والموروث، نحو: أورثه مالاً أو علماً، ونحو ذلك»[٩٠٤].

وتفرِّق بين صيغتي (أفعل) و (فعَّل) فتقول: والمعروف أن التكثير هو أشهر معاني (فعَّل)، كما أن التعدية هي أشهر معاني (أفعل) ولو كان اشتراكهما في هذا المعنى بلا مفاضلة لوقع الاختيار على (أفعل) لأن دلالتها على التعدية قياس مطرد، وظني أن الصيغتين بينهما فروق يقوم عليها الاختيار، فصيغة (فعَّل) تفيد التعدية مع ملحظ الدلالة على التكثير الذي هو أصل فيها»[٩٠٥].

---

(٩٠١) انظر: النشر (٢/٢٣٩)، المغني (٣/١٣).

(٩٠٢) هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، أبو الحسين، كان إماماً في علوم شتى خصوصاً في اللغة، من كتبه: المجمل في اللغة، معجم مقاييس اللغة. توفي بالري سنة ٣٩٠هـ. (انظر: شذرات الذهب (٢/١٣١)).

(٩٠٣) انظر: معجم المقاييس (ص١٠٨٩) باب الواو والراء وما يثلثهما.

(٩٠٤) أبنية الأفعال (ص١٤٢).

(٩٠٥) المرجع السابق (ص ٥١).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن استحقاق أهل التقوى للجنة التي وصف أحوالها في الآيات السابقة ودوامها لهم كالميراث.

يقول الألوسي: «﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ استئناف جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها، فاسم الإشارة مبتدأ و(الجنة) خبر له، والموصول صفة لها، والجملة بعده صلته، والعائد محذوف، أي: نورثها»(٩٠٦).

ويقول البيضاوي: «نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقي على الوارث مال مورّثه، والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل بردّ وإسقاط، وقيل: يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة في كرامتهم»(٩٠٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**نُوَرِّثُ**): التكثير والزيادة في ميراث المتقين؛ بحيث يثيبهم الله بالجنة التي هي مستحقهم، بالإضافة إلى الجنة التي كانت ستكون مستحقة لأهل النار إن آمنوا في الدنيا، وذلك زيادة في كرامة المتقين.

يقول الشنقيطي: «وقال بعض أهل العلم: معنى إيراثهم الجنة أن الله تعالى خلق لكل نفس منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، فإذا دخل أهل الجنة الجنة أراهم منازلهم في النار لو كفروا وعصوا الله ليزداد سرورهم وغبطتهم، وعند ذلك يقولون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وكذلك يرى أهل النار منازلهم في الجنة لو

---

(٩٠٦) روح المعاني (١٦/١١٢).

(٩٠٧) تفسير البيضاوي (٤/٢٤).

آمنوا واتقوا الله لتزداد ندامتهم وحسرتهم، وعند ذلك يقول الواحد منهم ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]. ثم إنه تعالى يجعل منازل أهل الجنة في النار لأهل النار، ومنازل أهل النار في الجنة لأهل الجنة فيرثون منازل أهل النار في الجنة... قد جاء حديث يدل لما ذُكر من أن لكل أحد منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، إلا أن حمل الآية عليه غير صواب، لأن أهل الجنة يرثون من الجنة منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم، كما قد قال تعالى ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] ونحوها من الآيات. ولو فرضنا أنهم يرثون منازل أهل النار فحمل الآية على ذلك يوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلا ما أورثوا من منازل أهل النار والواقع بخلاف ذلك كما ترى. والحديث المذكور هو ما رواه الإمام أحمد في المسند[٩٠٨]، والحاكم في المستدرك[٩٠٩] من حديث أبي هريرة (كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هداني فيكون له شكر. وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لولا أن الله هداني فيكون عليه حسرة)»[٩١٠].

والباحثة تخالف ما ذهب إليه الشنقيطي في هذا الاستنتاج، نعم أهل الجنة يرثون منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم، وهذا لا يمنع أن يزيدهم الله من فضله بوراثة منازل الكفار التي أعدت في الجنة لهم لو آمنوا ولكن حرموا منها بسبب كفرهم، وأضيفت إلى ميراث المتقين لاستحقاقهم إياها زيادة في تكريمهم. وهذا من باب التعدية والتكثير كما أشارت إليه هذه القراءة.

(٩٠٨) انظر: مسند أحمد (٥١٢/٢) حديث رقم (١٠٦٦٠).

(٩٠٩) انظر: مستدرك الحاكم (٤٧٣/٢) كتاب التفسير، تفسير سورة الزمر، حديث رقم (٣٦٢٩) وقال الحاكم فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح. (انظر: مجمع الزوائد (٣٩٩/١٠)).

(٩١٠) أضواء البيان (٥١٣/٢).

أما قراءة (نُوْرِثُ) فقد أفادت استحقاق المتقين للجنة كاستحقاق الوارث لميراثه.

يقول أبو حيان: «والتوريث استعارة أي: نبقي عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث، والأتقياء يلقون ربهم قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة، فقد أورثهم من تقواهم، كما يورث الوارث المال من المتوفي»(٩١١).

الجمع بين القراءتين:

بيّنت كل من القراءتين ثواب المتقين باستحقاقهم للجنة، ولكن قراءة التشديد أضافت زيادة كرامة المتقين بحيث أنهم لا يستحقون الجنة ثواباً لأعمالهم فحسب بل يزيدهم الله من فضله بأن يمتعهم بمنازل الكفار في الجنة لو أنهم آمنوا، وهذه زيادة بينتها هذه القراءة.

وعليه فقد فصلت قراءة التشديد الثواب الذي أجملته القراءة الأخرى.

٢٠ - قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ [مريم: ٦٦].

القراءات:

١. قرأ ابن ذكوان بخلف عنه (إذا) بهمزة واحدة على الخبر.
٢. قرأ الباقون (أئذا) بهمزتين على الاستفهام، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان(٩١٢).

١. قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي وخلف (مِتُّ) بكسر الميم.
٢. قرأ الباقون (مُتُّ) بضم الميم(٩١٣).

(٩١١) البحر المحيط (١٩١/٦).
(٩١٢) انظر: النشر (٢٨٩/١).
(٩١٣) تم التعرض لهذا الموضع عند تفسير الآية (٢٣) من السورة صفحة (٢٧٦) فانظره. لذلك سيتم تناول الموضع الأول فقط عند تفسير هذه الآية.

البيان:

قراءة (إذا ما مت) على الخبر الذي يفيد التهكم والاستهزاء.

وقراءة (أئذا ما مت) على الاستفهام الذي يفيد الإنكار(٩١٤).

سبب نزول الآية:

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في أُبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية يفتها بيده ويقول: زعم لكم محمد أنا نبعث بعد ما نموت(٩١٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عمن أنكر البعث وتبيّن مقالته التي قالها في ذلك.

يقول ابن عاشور: «لما تضمن قوله ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥] إبطال عقيدة الإشراك به ناسب الانتقال إلى إبطال أثر من آثار الشرك، وهو نفي المشركين وقوع البعث بعد الموت حتى يتم انتقاض أصلي الكفر. فالواو عاطفة قصة على قصة، والإتيان بفعل (يقول) مضارعاً لاستحضار حالة هذا القول للتعجيب من قائله تعجيب إنكار. والمراد بالإنسان جَمع من الناس، بقرينة قوله بعده ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ﴾ فيراد من كانت هاته مقالته وهم معظم المخاطبين بالقرآن من أول نزوله... وقيل تعريف (الإنسان) للعهد لإنسان معين. فقيل قائل هذا أُبي بن خلف، وقيل: الوليد بن المغيرة(٩١٦).

ويقول السعدي: «المراد بالإنسان ها هنا كل منكر للبعث، مستبعداً لوقوعه، فيقول مستفهماً على وجه النفي والعناد والكفر ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ أي: كيف يعيدني الله حياً بعد الموت، وبعد ما كنت رميماً؟!! هذا لا يكون ولا يتصور، وهذا بحسب عقله الفاسد ومقصده السيء،

(٩١٤) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (٢/٩٠)، معاني القراءات (ص٢٨٥).

(٩١٥) أسباب النزول للواحدي (ص٢٣١).

(٩١٦) انظر: التحرير والتنوير (١٦/١٤٤).

وعناده لرسل الله وكتبه، فلو نظر أدنى نظر، وتأمل أدنى تأمل لرأى استبعاده للبعث في غاية السخافة»[917].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (أئذا ما مت) إنكار الكافر لتحقيق البعث والجحد به عن طريق الاستفهام.

وأفادت قراءة (إذا ما مت) الإخبار من الكافر على سبيل السخرية والاستهزاء بمن يقول بالبعث.

يقول أبو حيان: «هذا من الكافر استفهام فيه معنى الجحد والإنكار، ومن قرأ (إذا ما) أن تكون حذفت الهمزة لدلالة المعنى عليه، وإما أن يكون إخباراً على سبيل الهزء والسخرية بمن يقول ذلك، إذ لم يرد به مطابقة اللفظ للمعنى»[918].

الجمع بين القراءتين:

القراءتان سواء بالاستفهام أو الإخبار كلاهما تفيد المعنى نفسه وهو: الاستهزاء والسخرية الشديدة من قبل الكافر المنكر للبعث من قضية البعث وممن يقول بها.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٧].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر وعاصم (**يَذْكُرُ**) بتخفيف الذال والكاف مع ضم الكاف.

٢. قرأ الباقون (**يَذَّكَّرُ**) بتشديدهما وفتح الكاف[919].

---

(٩١٧) تفسير السعدي (ص٤٩٨).

(٩١٨) البحر المحيط (١٩٥/٦).

(٩١٩) انظر: النشر (٢٣٩/٢).

البيان:

قراءة (**يَذْكُرُ**) بالتخفيف هي من الذكر الذي يكون عقب النسيان والغفلة[٩٢٠]. وقيل هي من ذكر يذكر، أي: أولا يعلم، أولا يتنبه، والحجة في ذلك قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ [المدثر: ٥٤ ـ ٥٥][٩٢١]. وحيث إن السياق سياق محاجة وأدلة على البعث، يترجح أن يكون معنى (يذكر) الانتباه، أي: أولا يعلم، أولا يتنبه من غفلته.

أما قراءة (**يَذَّكَّرُ**) بالتشديد فهي من التذكر الذي هو بمعنى التدبر والتفكر، فأصله (يتذكَّر) ثم أدغمت التاء في الذال. كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩][٩٢٢].

التفسير:

هذه الآية رد على من أنكر قضية البعث، وقدرة الله على الإعادة، وفيها أقام الله الدليل على صحة البعث.

يقول الشنقيطي: «أيقول الإنسان مقالته هذه في إنكار البعث، ولا يذكر أنا أوجدناه الإيجاد الأول ولم يكن شيئاً، بل كان عدماً فأوجدناه، وإيجادنا له المرة الأولى دليل قاطع على قدرتنا على إيجاده بالبعث مرة أخرى»[٩٢٣].

ويقول أبو السعود: «﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ من الذكر الذي يراد به التفكر، والإظهار في موقع الإضمار[٩٢٤] لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شئون التكوين المنحية بالقلع

(٩٢٠) انظر: الكشف (٢/٩٠).

(٩٢١) انظر: حجة القراءات (ص٤٤٥).

(٩٢٢) انظر: الكشف (٢/٩٠)، حجة القراءات (ص٤٤٥ ـ ٤٤٦).

(٩٢٣) أضواء البيان (٢/٥١٤).

(٩٢٤) يقصد بذلك إظهار لفظ (الإنسان) فلم يقل: أولا يذكر أنا خلقناه؛ وذلك للسبب الذي بيّنه المفسر.

عن القول المذكور، وهو السر في إسناده إلى الجنس، أو إلى الفرد، وبذلك العنوان، والهمزة للإنكار التوبيخي، والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه (يقول)، أي: يقول ذلك ولا يذكر ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل الحالة التي هو فيها، وهي حالة بقائه ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ أي: والحال أنه لم يكن حينئذ شيئاً أصلاً، فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الوقوع، فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة، وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض أولى وأظهر، فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير»[٩٢٥].

ويقول البقاعي: «ولما كان المقام لتحقيره بكونه عدماً، أعدم من التعبير عن ذلك ما أمكن إعدامه، وهو النون، لتناسب العبارة المعتبر فقال: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ أصلاً، وإنا بمقتضى ذلك قادرون على إعادته فلا ينكر ذلك»[٩٢٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (يذكر) بالتخفيف نعي الله على الكافر المنكر للبعث عدم انتباهه وعلمه من حال نفسه أنه لم يكن شيئاً في الدنيا، ثم صار إنساناً حياً موجوداً.

يقول الفخر الرازي: «أما إذا قرىء (أولا يذكر) بالتخفيف فالمراد: أولا يعلم ذلك من حال نفسه لأن كل أحد يعلم أنه لم يكن حياً في الدنيا، ثم صار حياً»[٩٢٧].

أما قراءة (يذَّكَّر) بالتشديد فأفادت: نعي الله على الكافر عدم تفكره وتدبره في أول خلقه فيستدل بذلك على البعث.

يقول الشوكاني: «والمراد بالذكر هنا إعمال الفكر أي: ألا يتفكر هذا

(٩٢٥) تفسير أبي السعود (٣/٢٨٨).

(٩٢٦) نظم الدرر (٤/٥٥١).

(٩٢٧) التفسير الكبير (٢١/٢٤٢).

الجاحد في أول خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة، والابتداء أعجب وأغرب من الإعادة، لأن النشأة الأولى هي إخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداعاً واختراعاً، لم يتقدّم عليه ما يكون كالمثال له، وأما النشأة الآخرة فقد تقدَّم عليها النشأة الأولى فكانت كالمثال لها»(٩٢٨).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن أدنى انتباه وعلم من الكافر لابتداء خلقه يرشده إلى الحق، ولكن الكافر لاستغراقه في الغفلة يحتاج إلى تأمل وتدبر شديد لعله يعي ذلك.

يقول البقاعي: «ألا يذكر ما لنا من تمام القدرة بخلق ما هو أكبر من ذلك من جميع الأكوان: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ بإسكان الذال على قراءة نافع وابن عامر وعاصم إشارة إلى أنه أدنى ذكر من هذا يرشده إلى الحق، وقراءة الباقين بفتح الذال والكاف وتشديدهما يشير إلى أنه لاستغراقه في الغفلة يحتاج إلى تأمل شديد»(٩٢٩).

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ [مريم: ٦٨ ـ ٧٠].

القراءات:

١. قرأ حفص وحمزة والكسائي (جِثِيّاً) و (عِتِيّاً) و (صِلِيّاً) بكسر أوائل الثلاثة.

٢. قرأ الباقون (جُثِيّاً) و (عُتِيّاً) و (صُلِيّاً) بضم أوائلهن(٩٣٠).

---

(٩٢٨) فتح القدير (٤٣٠/٣).

(٩٢٩) نظم الدرر (٥٥١/٤).

(٩٣٠) انظر: النشر (٢٣٨/٢).

اللغة والبيان:

جِثِيّاً: باركين على ركبهم من شدة الهول[٩٣١]. أو جماعات[٩٣٢] وجثياً: جمع جاث[٩٣٣]. وهو منصوب على الحال[٩٣٤].

عِتِيّاً: العتو: النبو عن الطاعة[٩٣٥]. أي: عصياناً، أو جراءة[٩٣٦] أو كفراً[٩٣٧]. وهو مصدر عتا يعتو. وهو منصوب على التمييز[٩٣٨].

صِلِيّاً: دخولاً، أو مقاساة لحرِّها[٩٣٩] وهو مصدر صلى يصلى[٩٤٠]. وهو منصوب على التمييز[٩٤١]. وقيل منصوب على الحال، أي: ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد على الرحمن عتياً فهم أولى بها صلياً[٩٤٢].

والكسر والضم لغتان فيهن ولكن القراءة بالضم تفيد المبالغة لِمَا في الضم من الثقل.

التفسير:

تتحدث الآيات الكريمة عن تهديد الله للكافرين الذين أنكروا البعث وسخروا منه، وبيَّنت شدة غضبه عليهم، فأقسم سبحانه على حشرهم تأكيداً

---

(٩٣١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣٣٨/٣)، معاني القرآن للنحاس (٧٣٣/٢).
(٩٣٢) انظر: معاني القرآن للأخفش (٦٢٦/٢).
(٩٣٣) غريب القرآن وتفسيره للزيدي (ص٢٤٠)، مجاز القرآن (٩/٢).
(٩٣٤) الفريد (٤١٠/٣)، مشكل إعراب القرآن لمكي (٤٥٧/٢)، الملخص (ص٢٥٠).
(٩٣٥) مفردات الراغب (ص٣٦٠).
(٩٣٦) النكت والعيون (٣٨٣/٣).
(٩٣٧) معاني القرآن للنحاس (٧٣٤/٢).
(٩٣٨) الفريد (٤١١/٣).
(٩٣٩) كلمات القرآن (ص١٨٨). وانظر: النكت والعيون (٣٨٤/٣).
(٩٤٠) غريب القرآن وتفسيره للزيدي (ص٢٤١).
(٩٤١) الفريد (٤١١/٣)، وانظر: تفسير النسفي (٣٣/٣).
(٩٤٢) معاني القرآن للزجاج (٣٤٠/٣).

على صحة البعث، معرضاً عنهم مخاطباً لنبيه ﷺ تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره، متوعداً إياهم بالعذاب الشديد مبيّناً كيفيته وحجمه ليكون أكثر إيلاماً وإرهاباً لهم، لعلهم يتعظون فيعودون إلى خالقهم.

يقول الزحيلي: «﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ أقسم الرب تبارك وتعالى بذاته الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله، بأن يخرجهم من قبورهم أحياء، ويجمعهم إلى المحشر مع شياطينهم الذين أغووهم وأضلوهم، ثم ليحضرنهم حول جهنم بعد طول الوقوف، جاثين قاعدين على ركبهم، لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨]. وهذا الإحضار يكون قبل إدخالهم جهنم، ويكون على أذل صورة لقوله: ﴿جِثِيًّا﴾. ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ أي: لننتزعن ونأخذن من كل فرقة دينية أو طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم وأعتاهم وأكثرهم تكبراً وتجاوزاً لحدود الله، وهم قادتهم ورؤساؤهم في الشر. فهذه وجوه التهديد: **أولها**: الحشر مع الشياطين. **وثانيها**: الإحضار قعوداً حول جهنم في صورة الذليل العاجز. **وثالثها**: تمييز البعض من البعض، فمن كان أشدهم تمرداً في كفره خُصَّ بعذاب أعظم، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]. وقال: ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ أي: أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى نار جهنم، ويخلد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]»[٩٤٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان بالكسر والضم في الكلمات الثلاث صورت حال أولئك

(٩٤٣) التفسير المنير (١٦/١٤٤ ـ ١٤٥).

الكافرين المعاندين لله وشدة المعاناة التي توعدهم الله بها يوم القيامة، ولكن القراءة بالضم في (جُثِيّاً) و(عُتِيّاً) و(صُلِيّاً) بينت شدة غضب الله على أولئك الكافرين المعاندين، ومدى المعاناة التي توعدهم الله بها يوم القيامة وازدياد هذا الغضب بزيادة كفرهم وتمردهم؛ لما في الضم من الشدة والمبالغة.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢].

القراءات:

١. قرأ الكسائي ويعقوب (**نُنْجِي**) بالتخفيف.

٢. قرأ الباقون (**نُنَجِّي**) بالتشديد[٩٤٤].

اللغة والبيان:

أصل النجاء: الانفصال من الشيء، ومنه: نجا فلان من فلان وأنجيته ونجيته[٩٤٥].

قراءة (**نُنْجِي**) بالتخفيف من (أنجى يُنْجي). وقراءة (**نُنَجِّي**) بالتشديد من (نَجَّى يُنَجِّي)[٩٤٦].

قال مكي بن أبي طالب: وفي التشديد معنى التكرير والتكثير، كأنه نجاة بعد نجاة[٩٤٧].

وقال السامرائي: الملاحظ أن القرآن الكريم كثيراً ما يستعمل (نَجَّى) للتلبث والتمهل في التنجية، ويستعمل (أَنْجى) للإسراع فيها. فإن (أنجى) أسرع من (نجَّى) في التخليص من الشدة والكرب، وإن البناء اللغوي لكل

(٩٤٤) انظر: النشر (٢/١٩٤)، المغني (٢/٥٢ ـ ٥٣).
(٩٤٥) مفردات الراغب (ص٥٣٨).
(٩٤٦) انظر: حجة القراءات (ص٤٤٦)، الكشف عن وجوه القراءات (٢/٩١)، الحجة في القراءات (ص١٤٢)، الدر (٤/٥١٩).
(٩٤٧) الكشف عن وجوه القراءات (٢/٩١).

منهما يدل على ذلك كما ذكرنا[948].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن صفة من ينجو من النار بعد ورودها، ومن يذره الله فيها.

قال ابن كثير: «أي إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحَسَبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجَوَازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار، إلا دارات وجوههم - وهي مواضع السجود - وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، حتى يخرجوا من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر: (لا إله إلا الله)، وإن لم يعمل خيراً قط، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾»[949].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (ننجي) بالتخفيف: سرعة إنجاء الله للمتقين، مع شمول هذا الإنجاء لكل الموحدين. وأفادت قراءة (ننجِّي) التدرج في التنجية والتكرير لها مع كثرتها، فتكون على مراحل، نجاة بعد نجاة، كل بحسب عمله ودرجة إيمانه، حتى لا يذر فيها من قال يوماً من الدهر: (لا إله إلا الله)، وإن لم يعمل خيراً قط، ويكون آخرهم خروجاً منها.

(٩٤٨) بلاغة الكلمة (ص٧٠).

(٩٤٩) تفسير ابن كثير (٥/٢٦٥).

يقول البقاعي: «ولما كان الخلاص منها[950] بعد ذلك مستبعداً، قال مشيراً إليه بأداة البعد ﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾ أي: تنجية عظيمة على قراءة الجماعة، ومطلق إنجاء على قراءة الكسائي، وكأن ذلك باختلاف أحوال الناس مع أن المطلق لا ينافي المقيد»[951].

الجمع بين القراءتين:

قراءة (ننجي) بالتخفيف جاءت مطلقة؛ فقد بيّنت أن الإنجاء من النار يشمل جميع الذين اتقوا وبسرعة، ولكن جاءت قراءة (ننجّي) لتبيّن أن هذا الإنجاء ليس بسرعة واحدة لكل الذين اتقوا وليس على دفعة واحدة وإنما على دفعات ودرجات في السرعة ومراتب كل بحسب عمله وتقواه. وبذلك قيدت قراءة التشديد قراءة التخفيف وزادت في إيضاح المعنى وبيّنت دقة اللفظ القرآني في التعبير. وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني.

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم: ٧٣].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير **(مُقاماً)** بضم الميم.

٢. قرأ الباقون **(مَقاماً)** بفتح الميم[952].

اللغة والبيان:

مقاماً: منزلاً وسكناً[953].

(مُقاماً): فهو مصدر أو اسم مكان من: أقام يقيم إقامةً.

---

(٩٥٠) يقصد هنا الخلاص من النار التي وردها كل من المؤمن والكافر لقوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

(٩٥١) نظم الدرر (٥٥٢/٤).

(٩٥٢) انظر: النشر (٢٣٩/٢).

(٩٥٣) البحر المحيط (١٩٨/٦).

(مَقاماً): وهو أيضاً مصدر أو اسم مكان من: قام يقوم مَقاماً. فالقراءتان بمعنى[٩٥٤].

ولكن ابن عاشور فرّق بين القراءتين وبين معناهما قائلاً: (مَقاماً) اسم مكان من قام، أطلق مجازاً على الحظ والرفعة، كما في قوله تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] فهو مأخوذ من القيام المستعمل مجازاً في الظهور والمقدرة، (مُقاماً): من أقام بالمكان، وهو مستعمل في الكون في الدنيا. والمعنى: خيرٌ حياةً[٩٥٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن شبهة أخرى احتج بها منكرو البعث على كونهم على الحق في إنكارهم للبعث وفي كرامتهم على الله؛ وذلك لأنهم خير منزلاً ومسكناً ومكانة من المؤمنين بحسب اعتقادهم.

يقول القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: على الكفار الذين سبق ذكرهم في قوله تعالى ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦] وقال فيهم: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ أي: هؤلاء إذا قرئ عليهم القرآن تعزَّزوا بالدنيا، وقالوا: فما بالُنا - إن كنا على باطل - أكثر أموالاً وأعز نفراً، وغرضهم إدخال الشبهة على المستضعفين، وإيهامهم أن من كثر ماله دل ذلك على أنه المحق في دينه، وكأنهم لم يروا فيهم فقيراً ولا في المسلمين غنياً، ولم يعلموا أن الله تعالى نحّى أولياءه عن الاغترار بالدنيا، وفرط الميل إليها. و﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ معناه: مرَتَّلات الألفاظ، ملخصة المعاني، مبيّنات المقاصد، إما محكمات، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات، أو تبيين الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً، أو ظاهرات الإعجاز تُحدّى بها فلم يقدر على معارضتها، أو حججاً وبراهين، والوجه أن تكون

(٩٥٤) انظر: الكشف (٢/٩١).

(٩٥٥) انظر: التحرير والتنوير (١٦/١٥٤). وقد ألمح ابن زنجلة إلى هذا المعنى فانظره في كتابه: حجة القراءات (ص٤٤٦).

حالاً مؤكدة، كقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، لأن آيات الله تعالى لا تكون إلا واضحة وحججاً. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يريد مشركي قريش النضر بن الحارث وأصحابه. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ، وكانت فيهم قشافة، وفي عيشهم خشونة، وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم، ويدهنون رؤوسهم، ويلبسون خير ثيابهم، فقالوا للمؤمنين ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ ...أي: أيُّ الفريقين أكثر جاهاً وأنصاراً .﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي: مجلساً[(٩٥٦)] عن ابن عباس، وعنه أيضاً المنظر وهو المجلس في اللغة وهو النادي، ومنه دار الندوة لأن المشركين كانوا يتشاورون فيها في أمورهم...، والندي على فعيل؛ مجلس القوم ومتحدَّثهم»[(٩٥٧)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(مُقاماً)**: أن منكري البعث احتجوا على المسلمين في كونهم محقين في دينهم بكونهم خيراً منهم معيشة في المسكن ورغد العيش، مما يدل على كرامتهم على الله.

وأفادت قراءة **(مَقاماً)**: زعم المشركين أنهم خير مكاناً ومنزلة وحظاً ومقدرة من المؤمنين.

الجمع بين القراءتين:

بيّنت قراءة الضم الظاهر الذي ادعاه المشركون في معيشتهم سواء في الشكل أو في المسكن وما فيه من رغد العيش. أما قراءة الفتح فقد بيّنت ما ادعاه المشركون من المنزلة والمكانة التي حظوا بها في الحياة من حظ ورفعة وقدرة. وبذلك فقد بيّنت كل قراءة جانباً من الجوانب التي ادعاها المشركون، وتفاخروا فيها أمام المؤمنين ليدللوا على كونهم على الحق في كفرهم وإنكارهم للبعث في زعمهم.

---

(٩٥٦) الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري (٨٧/١٦)، وابن كثير (٢٦٥/٥).

(٩٥٧) انظر: تفسير القرطبي (١٢٩/٦ ـ ١٣٠).

٢٥ ـ قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ۝٧٤﴾ [مريم: ٧٤].

القراءات:

١. قرأ قالون وابن ذكوان وأبو جعفر **(وريّاً)** بإبدال الهمز ياء وإدغامها في الياء التي بعدها.

٢. قرأ الباقون **(وَرِئْياً)** بتركها على أصلها[٩٥٨].

اللغة والبيان:

(رئياً): منظراً، من رأيت[٩٥٩] أي: ما ترى في صورة الإنسان، ولباسه[٩٦٠].

(ريّاً): من الرَّي وهو ضد العطش، والمراد به: أن منظرهم مرتو من النعمة، كأن النعيم بيِّن فيهم[٩٦١]؛ لأن الرّي يتبعه الطراوة كما أن العطش يتبعه الذبول[٩٦٢]. أي: أحسن نعمة وترفهاً[٩٦٣].

التفسير:

الآية الكريمة رد على اعتقاد المشركين الفاسد بأن رغد العيش ورفعة المقام دليل على رضا الله عنهم وعن معتقداتهم. وتهديد لهم بأن نهايتهم ستكون مماثلة لنهاية الأمم البائدة التي كانت أفضل حالاً منهم ولكن ماثلتهم بالكفر والضلال؛ ألا وهي: الهلاك.

(٩٥٨) انظر: النشر (٣٠٣/١).

(٩٥٩) معاني القرآن للزجاج (٣٤٢/٣)، معاني القرآن للنحاس (٧٣٦/٢). وانظر: معاني القرآن للفراء (١٧١/٢)، غريب القرآن وتفسيره للزيدي (ص٢٤١).

(٩٦٠) معاني القرآن للنحاس (٧٣٦/٢). وانظر: تفسير غريب القرآن (ص٢٧٥)، مجاز القرآن (١٠/٢).

(٩٦١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣٤٢/٣)، حجة القراءات (ص٤٤٧).

(٩٦٢) مفاتيح الأغاني (ص٢٧١).

(٩٦٣) انظر: الكشاف (١٢٢/٣)، التفسير الكبير (٢٤٧/٢١)، تفسير أبي السعود (٢٩٠/٣).

يقول الزحيلي: «هذا هو الجواب الأول عن شبهتهم، أي: وكثيراً ما أهلكنا قبلهم من الأمم السابقة المكذبين رسلهم بكفرهم، وكانوا أحسن من هؤلاء متاعاً ومنظراً. والأثاث: المال أجمع، من الإبل والغنم والبقر والمتاع، أو متاع البيت خاصة من الفرش واللباس والستائر والبسط والأرائك والسرر (الأسرَّة). والرئي: المنظر في تقدير الناس من جهة حسن اللباس أو حسن الأبدان وتنعمها. والمعنى: أن مظاهر الثراء والنفوذ والكرامة لا تدل على حسن الحال عند الله، فقد أهلك الله المترفين، ونجّى الفقراء الصالحين. وهذا تهديد ووعيد لكل من يتوهم من العوام وجهلة الأغنياء من المسلمين أن حسن حالهم في الدنيا دليل على رضا الله عنهم وحسن حالهم في الآخرة»(٩٦٤).

ويقول الفخر الرازي: «وتقرير هذا الجواب أن يُقال إن من كان أعظم نعمة منكم في الدنيا قد أهلكهم الله تعالى وأبادهم، فلو دل حصول نعم الدنيا للإنسان على كونه حبيباً لله تعالى لوجب في حبيب الله أن لا يوصل إليه غماً في الدنيا، ووجب عليه أن لا يهلك أحداً من المنعمين في دار الدنيا، وحيث أهلكهم دل إما على فساد المقدمة الأولى؛ وهي: أن من وجد الدنيا كان حبيباً لله تعالى. أو على فساد المقدمة الثانية؛ وهي: أن حبيب الله لا يوصل الله إليه غماً، وعلى كلا التقديرين فيفسد ما ذكرتموه من الشبه»(٩٦٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(رئياً)** أن الله قد أهلك من القرون الأولى من هم أحسن هيئة ومنظراً ولباساً من أولئك المشركين المنكرين للبعث.

يقول الشنقيطي: «وقوله ﴿وَرِءْيًا﴾ على قراءة الجمهور مهموزاً، أي: أحسن منظراً وهيئة، وهو فعل بمعنى مفعول من رأى البصرية. والمراد به

---

(٩٦٤) التفسير المنير (١٥١/١٦ ـ ١٥٢).

(٩٦٥) التفسير الكبير (٢٤٧/٢١).

الذي تراه العين من هيأتهم الحسنة ومتاعهم الحسن»[٩٦٦].

وأفادت قراءة **(ريّاً)**: أن الله أهلك من هم أكثر من المشركين ترفهاً ونعمة بادية عليهم من الأمم البائدة.

يقول ابن عاشور: «(ريّاً) بتشديد الياء بلا همز؛ إما على أنه من قلب الهمزة ياء وإدغامها في الياء الأخرى. وإما على أنه من الرِّي الذي هو النعمة والترفه، من قولهم: ريّان من النعيم، وأصله من الري ضد العطش، لأن الريّ يستعار للتنعّم كما يستعار التلهف للتألّم»[٩٦٧].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن من أهلكه الله من الأمم البائدة كانوا أكثر أموالاً بصنوفها المختلفة، كما كانوا على قدر كبير من النعيم ورفاهية العيش بحيث ظهر ذلك على معاشهم وهيئاتهم من حسن اللباس بالإضافة إلى تمتعهم بحسن منظرهم وأبدانهم.

ومن هذا البيان تبيّن أن كلاً من القراءتين وصفت حالاً من أحوالهم سواء الجسدية أو أحوالهم المادية والمعيشية. وهذا بالطبع إنما يدل على بلاغة القرآن في ألفاظه الدالة على إعجازه.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي **(وُلْداً)** بضم الواو وإسكان اللام.
٢. قرأ الباقون **(وَلَداً)** بفتح الواو واللام[٩٦٨].

---

(٩٦٦) أضواء البيان (٢/٥٢٢).
(٩٦٧) التحرير والتنوير (١٦/١٥٥).
(٩٦٨) انظر: النشر (٢/٢٣٩).

اللغة والبيان:

الولد: المولود. يقال للواحد والجمع والصغير والكبير[٩٦٩].

(وَلَداً): اسم مفرد قائم مقام الجمع. أي: يكون المعنى على الجنس لا ملحوظاً فيه الإفراد وإن كان مفرد اللفظ. **(وُلْداً):** جمع ولد، كقولهم: أَسَد و أُسْد[٩٧٠].

سبب نزول الآية:

أخرج البخاري عن خباب بن الأرت قال: «كنت قيناً[٩٧١] في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتى مالاً وولداً فأقضيك. فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾»[٩٧٢].

التفسير:

يقول الفخر الرازي: «اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل أولاً على صحة البعث، ثم أورد شبهة المنكرين، وأجاب عنها أورد عنهم الآن ما ذكروه على سبيل الاستهزاء طعناً في القول بالحشر فقال ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾»[٩٧٣].

يقول الزحيلي: «ألا أخبرك بقصة هذا الكافر الذي تجرأ على الله

---

(٩٦٩) مفردات الراغب (ص٦٠٥).

(٩٧٠) انظر: البحر المحيط (٦/٢٠٠ ـ ٢٠١)، الدر (٤/٥٢٢ ـ ٥٢٣)، التحرير والتنوير (١٦/١٥٩).

(٩٧١) أي: حداداً. (مختار الصحاح (ص٥٨٦)).

(٩٧٢) أخرجه البخاري (٢/٧٣٦) في كتاب البيوع، باب ذكر القين والحداد، حديث رقم (١٩٨٥).

(٩٧٣) التفسير الكبير (٢١/٢٥٠).

وقال: لأُعطينَّ في الآخرة مالاً وولداً. وإيراد هذه القصة على سبيل التعجب للبشر»[٩٧٤].

ويقول الألوسي: «الهمزة للتعجيب من حال ذلك الكافر، والايذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من وقف عليها، ﴿وَقَالَ﴾ مستهزئاً بها مصدراً كلامه باليمين الفاجرة والله ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ في الآخرة ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ والمراد انظر إليه وتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة»[٩٧٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قد تأتي قراءة لتفيد عدة معان، فتجيء قراءة أخرى لتحدد معنى بعينه مقصوداً من هذه المعاني. وهذا الذي ينطبق على هاتين القراءتين، حيث إن قراءة **(وَلَداً)** تفيد الجنس لأنها تصلح للمفرد والجمع. أما قراءة **(وُلْداً)** فهي تفيد الجمع، وبذلك جاءت لتبيّن أن المقصود من (ولداً) هو الجمع وليس المفرد.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم: ٩٠].

القراءات:

١. قرأ نافع والكسائي **(يكاد)** بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون **(تكاد)** بالتاء على التأنيث.

٣. قرأ نافع وابن كثير وحفص والكسائي وأبو جعفر **(يَتَفَطَّرن)** بالتاء وفتح الطاء مشددة.

---

(٩٧٤) التفسير المنير (١٥٦/١٦).

(٩٧٥) انظر: تفسير الألوسي (١٢٩/١٦ ـ ١٣٠).

٤. قرأ الباقون (**يَنفَطِرن**) بالنون وكسر الطاء مخففة[٩٧٦].

اللغة والبيان:

الفطر: الشق طولاً[٩٧٧].

ينفطرن: مضارع انفطر. أي: ينشققن.

يتفطَّرن: مضارع تفطَّر. أي: يتشققن. وهو على وزن يتفعل، ويفيد التكثير وتكرير الفعل[٩٧٨].

وقراءة (**تكاد**) بالتذكير والتأنيث لأن الفاعل (السموات) مؤنث غير حقيقي[٩٧٩]. وهو جمع قلة، والعرب تذكِّر فعل المؤنث إذا كان قليلاً كقوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥][٩٨٠].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن الأثر المترتب على غير العاقل من مخلوقات الله لادعاء اليهود والنصارى باتخاذ الله للولد، أو بما قاله مشركو العرب بأن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى استعظاماً لقباحة هذا الادعاء، وبياناً لعظم كفر قائله.

يقول الزحيلي: «تقارب السموات أن تتشقق منه، وأن تتصدع وتخسف الأرض، وتسقط بصوت شديد، وتنهدم الجبال هدماً شديداً تتضعضع منه، لشدة نكرانه، إعظاماً للرب وإجلالاً، لأنهن مخلوقات على توحيده، وأنه لا شريك له ولا نظير ولا ولد ولا صاحبة. قال ابن عباس وكعب: فزعت السموات والأرض والجبال، وجميع المخلوقات إلا الثقلين (الإنس والجن)،

(٩٧٦) انظر: النشر (٢/٢٣٩).
(٩٧٧) مفردات الراغب (ص ٤٢٨).
(٩٧٨) انظر: حجة القراءات (ص٤٤٨ ـ ٤٤٩)، الكشف (٢/٩٣)، الفريد (٣/٤١٩)، الملخص (ص٢٥٥).
(٩٧٩) انظر: الدر (٤/٥٢٨).
(٩٨٠) انظر: حجة القراءات (ص٤٤٨).

وكادت أن تزول، وغضبت الملائكة فاستعرت جهنم، وشاك الشجر، واكفهرت الأرض وجدبت حين قالوا: اتخذ الله ولداً. وقال محمد بن كعب: لقد كاد أعداء الله أن يقيموا علينا الساعة؛ لقوله تعالى ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ وهذا تهويل عظيم، وأنه موجب غضب الله وسخطه، ولكن لولا حكمة الله وحلمه وأنه لا يبالي بكفر الكافر لقامت القيامة، واستؤصل الكفار»(٩٨١).

ويقول الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال؟ ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات؟ قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن الله ﷻ يقول: كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوّه بها لولا حلمي ووقاري(٩٨٢)، وأني لا أعجل بالعقوبة؛ كما قال ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

والثاني: أن يكون استعظاماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين، وهدمها لأركانه وقواعده، وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر»(٩٨٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (يكاد السموات) هي إشارة إلى مجموع السموات وإن كان قليلاً مقابل كلمة الكفر التي قالها الكافرون في حق الله استخفافاً بها وهم لا يدرون عظمها.

---

(٩٨١) التفسير المنير (١٦٦/١٦ ـ ١٦٧).

(٩٨٢) هذه اللفظه مما لا يليق، وكان ينبغي على الكاتب أن يستخدم لفظة مما ساغ في وصفه ﷻ مما يتصل بأسمائه الحسنى.

(٩٨٣) الكشاف (١٢٨/٣).

أما قراءة (تكاد السموات) فهي إشارة إلى عظم هذه السموات مقابل عظم قول المشركين على الله ﷻ.

وقراءة (ينفطرن) أفادت أن السموات تريد أن تنشقق غيظاً من شدة قول الكافرين، ولكن قراءة (يَتَفَطَّرن) دلت على أن هذا التشقق وهذا الغيظ هو يدوم منهن ويكثر إعظاماً لقول المشركين.

يقول ابن زنجلة: «فقوله (يتفطَّرن) أشد مبالغة في تغيظهن على من نسب إلى الله ولداً كقوله في قصة النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] ولم يقل: (تنماز)»[(٩٨٤)].

التشديد يدل على التكثير وتكرير الفعل، والتخفيف يحتمل التكثير وغيره، والتشديد هنا أجود لما فيه من معنى المبالغة في الإخبار عن عظم كفرهم[(٩٨٥)].

الجمع بين القراءات:

هذه القراءات مجتمعة تصور شدة كفر المشركين وعظم ما يطلقونه من كلمات يظنونها هينة وهي عند الله عظيمة، وعظمها يشعر به كل ما في الكون حتى غير العاقل من مخلوقات الله فينتفض انتفاضة قوية تتشقق من هولها السموات مرة تلو الأخرى.

يصور سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذا المشهد قائلاً: «إن جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو: جو الغضب والغيرة والانتفاض! وإن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض، وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية، والمساس بقداسة الذات العلية، كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عندما يغضب الإنسان للمساس بكرامته أو كرامة من يحبه ويوقره.

---

(٩٨٤) حجة القراءات (ص٤٤٩).

(٩٨٥) الفريد (٣/٤١٩).

هذه الانتفاضة الكونية للكلمة النابية تشترك فيها السماوات والأرض والجبال، والألفاظ بإيقاعها ترسم حركة الزلزلة والارتجاف.

وما تكاد الكلمة النابية تنطلق: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ حتى تنطلق كلمة التفظيع والتبشيع ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ ثم يهتز كل ساكن من حولهم ويرتج كل مستقر، ويغضب الكون كله لبارئه. وهو يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه وفطرته; وتجافي ما وقر في ضميره وما استقر في كيانه; وتهز القاعدة التي قام عليها واطمأن إليها: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾(٩٨٦).

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧].

القراءات:

١. قرأ حمزة (لِتَبْشُرَ) بفتح التاء وإسكان الباء الموحدة وضم الشين مع تخفيفها.

٢. قرأ الباقون (لِتُبَشِّرَ) بضم التاء وفتح الباء وكسر السين مع تشديدها(٩٨٧).

سبق التعرض لهذه القراءة عند تفسير الآية التاسعة من سورة الإسراء(٩٨٨).

---

(٩٨٦) الظلال (٤/٢٣٢٠ ـ ٢٣٢١).

(٩٨٧) انظر: النشر (٢/١٨٠).

(٩٨٨) انظر: ص٢٧ من هذا البحث.

فهرست المصادر والمراجع

يشتمل على:

أولاً: فهرس المصادر والمراجع[989].

ثانياً: فهرس للكتب والمواقع الإلكترونية في شبكة المعلومات الدولية.

ثالثاً: المكتبات الإلكترونية التي سهَّلت عملية البحث (CD - RW).

(٩٨٩) سرت في ذكر المصادر والمراجع، على الطريقة التالية:

١. لم أعتبر في الترتيب (ال) التعريف.

٢. شمل هذا الفهرس الكتب التي أحيل إليها في الهامش.

٣. الفهرس مرتب على حروف المعجم: (أ، ب، ت ... إلخ)، وبدأت بأجل الكتب: القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، وأرقام الآيات فيه على عد الكوفيين.

فهرست المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإبانة عن معاني القراءات / مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق: د. محيي الدين رمضان: دار المأمون للتراث ـ دمشق، بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٧٩م.

٣. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم / صديق بن حسن القنوجي ـ تحقيق: عبدالجبار زكار: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٧٨م.

٤. أبنية الأفعال (دراسة لغوية قرآنية) / د. نجاة عبدالعظيم الكوفي: دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٨٩م.

٥. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر / شهاب الدين الدمياطي الشهير بالبناء ـ وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ٢٠٠١م.

٦. الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي ـ تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا: دار ابن كثير ـ دمشق، بيروت ـ ط٥ ـ ٢٠٠٢م.

٧. الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها / حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٨. الأساس في التفسير / سعيد حوى: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط٣ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٩. أسباب النزول / أبو الحسن الواحدي ـ تحقيق: أيمن صالح شعبان: دار الحديث ـ القاهرة ـ ٢٠٠٣م.

١٠. أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين الشنقيطي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١١. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي ـ تحقيق: عبدالله المنشاوي: مكتبة الإيمان ـ المنصورة ـ ط الأولى ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢. إعراب القرآن الكريم وبيانه / محيي الدين الدرويش: دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق، بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٩٤م.

١٣. إنباه الرواة على أنباه النحاة / جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار الفكر العربي ـ القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٤. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم / عبدالله محمود شحاتة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط٢ ـ ١٩٨١م.

١٥. الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني: دار إحياء العلوم ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٩٨م.

١٦. البداية والنهاية / أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير: مكتبة المعارف ـ بيروت.

١٧. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / محمد بن علي الشوكاني: دار المعرفة ـ بيروت.

١٨. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدري / عبدالفتاح القاضي: مكتبة أنس بن مالك ـ مكة المكرمة ـ ط الأولى ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٩. البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ـ خرَّج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبدالقادر عطا: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ٢٠٠١م.

٢٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / الفيروز آبادي ـ تحقيق: محمد علي النجار: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ ط٢ ـ ١٩٨٦م.

٢١. بغية الطلب في تاريخ حلب / كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ـ تحقيق: سهيل زكار: دار الفكر ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٨٨م.

٢٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية ـ بيروت.

٢٣. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / فاضل السامرائي: دار عمار ـ عمّان ـ ط الأولى ـ ١٩٩٩م.

٢٤. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة / محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ـ تحقيق: محمد المصري: جمعية إحياء التراث الإسلامي ـ الكويت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٧هـ.

٢٥. تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي: منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٣٠٦هـ.

٢٦. تاريخ بغداد / أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٧. تأويل مشكل القرآن / عبدالله بن مسلم بن قتيبة ـ شرحه ونشره: السيد أحمد صقر: دار التراث ـ القاهرة ـ ط الثانية ـ ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

٢٨. التحرير والتنوير / محمد الطاهر ابن عاشور: دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٩٧م.

٢٩. التعبير القرآني / فاضل السامرائي: دار عمّار ـ عمّان ـ ط الأولى ـ ١٩٩٨م.

٣٠. تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) / أبو السعود محمد بن محمد العمادي: المطبعة المصرية ـ ط الأولى ـ ١٣٤٧هـ، ١٩٢٨م.

٣١. تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ـ دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون: منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ٢٠٠١م.

٣٢. تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) / الإمام البيضاوي ـ تحقيق: عبدالقادر عرفات العشا حسونة: دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٩٦م.

٣٣. تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) / عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٣٤. تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) / علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن: مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ ط٢ ـ ١٩٥٥م.

٣٥. تفسير الشعراوي / محمد متولي الشعراوي: أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة.

٣٦. تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي: دار الفكر ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٨١م.

٣٧. تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) / محمد جمال الدين القاسمي ـ تعليق وتخريج الآيات والأحاديث: محمد فؤاد عبدالباقي: دار إحياء الكتب العربية ـ ١٩٧٠م.

٣٨. تفسير القرآن العظيم / الحافظ ابن كثير ـ تحقيق: د. السيد محمد السيد وآخرون: دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٣٩. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاتحة، البقرة، آل عمران) رسالة ماجستير / إعداد الباحث: عبدالله الملاحي، إشراف: د. مروان أبو راس - ٢٠٠٢م.

٤٠. التفسير الكامل / شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وتحقيق: أبو سعيد عمر بن غلامة العمري: دار الفكر - بيروت - ط الأولى - ٢٠٠٢م.

٤١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / د. وهبة الزحيلي: دار الفكر - دمشق - ط٢ - ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٤٢. تفسير النسفي / أبو البركات النسفي: مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - مصر.

٤٣. تفسير غريب القرآن / أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق: السيد أحمد صقر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٤٤. تفسير مجاهد / مجاهد بن جبر المخزومي التابعي - تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي: المنشورات العلمية - بيروت.

٤٥. تقريب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: محمد عوامة: دار الرشيد - سوريا - ط الأولى - ١٩٨٦م.

٤٦. تناسق الدرر في تناسب السور / جلال الدين السيوطي - دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا: دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٧. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس / أبو طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي: دار الفكر.

٤٨. تهذيب الأسماء / أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي: دار الفكر - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٦م.

٤٩. تهذيب اللغة / أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري - تحقيق: عبدالسلام هارون ومحمد علي النجار: الدار المصرية والمؤسسة المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٦٤م.

٥٠. تهذيب تاريخ دمشق الكبير / أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر - تحقيق: عبدالقادر بدران: دار المسيرة - بيروت - ط٢ - ١٩٧٩م.

٥١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبدالرحمن بن ناصر السعدي: تحقيق عبدالرحمن بن معلاّ اللُّويحق: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الأولى - ٢٠٠٠م.

٥٢. الثقات / محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي - تحقيق: السيد شرف الدين أحمد: دار الفكر - ط الأولى - ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٥٣. جامع البيان في تفسير القرآن / ابن جرير الطبري: دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٧٨م.

٥٤. الجامع لأحكام القرآن / أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ راجعه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه: د. محمود حامد عثمان: دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٥٥. حاشية الجمل على الجلالين المسماة (الفتوحات الإلهية) / سليمان الجمل: المكتبة الإسلامية.

٥٦. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي / القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ـ ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ عبدالرازق المهدي: منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٥٧. حاشية محمد علي الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية ابن مالك، وبهامشها: شرح العلامة الأشموني مع بعض تقريرات للشيخ أحمد الرفاعي: مطبعة مصطفى محمد ـ مصر. (بدون).

٥٨. حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي / محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي ـ خرج آياته: محمد عبدالقادر شاهين: منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٥٩. حجة القراءات / أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٦٠. الحجة في القراءات السبع / أبو عبدالله ابن خالويه ـ تحقيق: أحمد فريد المزيدي: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٩م.

٦١. الحجة للقراء السبعة / أبو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي ـ تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني: دار مأمون للتراث ـ دمشق، بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٦٢. حروف المعاني / أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي ـ تحقيق: علي توفيق الحمد: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٨٤م.

٦٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق: علي محمد معوض وآخرون: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٦٤. الدر المنثور / جلال الدين السيوطي: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣م.

٦٥. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / شيخ الإسلام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني - دار الجيل - بيروت.

٦٦. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب / إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون: دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٧. الرسالة المستطرفة / محمد بن جعفر الكتاني - تحقيق: محمد المنتصر الزمزمي الكتاني: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط٤ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / شهاب الدين محمود الألوسي: إدارة الطباعة المنيرية - مصر - ط٢.

٦٩. زاد المسير في علم التفسير / عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي - تحقيق: زهير الشاويش: المكتب الإسلامي - بيروت - ط٣ - ١٤٠٤هـ.

٧٠. سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن / عودة الله منيع القيسي: مؤسسة الرسالة، دار البشير - بيروت، عمان - ط الأولى - ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٧١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة **وأثرها السيء على الأمة** / محمد ناصر الدين الألباني: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - ط٢ - ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٧٢. سنن ابن ماجة / أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي: دار الفكر - بيروت.

٧٣. سنن أبي داود / سليمان بن أشعث السجستاني - تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد: دار الفكر.

٧٤. سنن البيهقي الكبرى / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي - تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٧٥. سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧٦. سنن الدارمي /عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي - تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي: دار الكتاب العربي - بيروت - ط الأولى - بيروت - ١٤٠٧هـ.

٧٧. سنن النسائي (المجتبى) / أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي - تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ط٢ - ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧٨. سير أعلام النبلاء / أبو عبدالله الذهبي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٩ ـ ١٤١٣هـ.

٧٩. السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) / عبدالملك بن هشام ـ تحقيق: طه عبدالرءوف سعد: دار الجيل ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١١هـ.

٨٠. الشامل في القراءات المتواترة / محمد حبش: دار الكلم الطيب ـ دمشق ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٨١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب / الأديب أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٨٢. شرح التصريح على التوضيح (وبهامشه حاشية الحمصي): / خالد بن عبدالله الأزهري: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٨٣. شرح الشافية / رضي الدين الإستراباذي ـ تحقيق: محمد محيي الدين وجماعة: مطبعة حجازي ـ القاهرة.

٨٤. شرح المفصل / ابن يعيش: عالم الكتب ـ بيروت، مكتبة المتنبي ـ القاهرة.

٨٥. صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري ـ تحقيق: مصطفى ديب البغا: دار ابن كثير ـ اليمامة ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٨٦. الصحيح المسند من أسباب النزول / أبو عبدالرحمن الوادعي: دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٩٤م.

٨٧. صحيح مسلم / الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ـ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨٨. صحيح مسلم بشرح النووي / أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٢هـ.

٨٩. صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ٢٠٠٤م.

٩٠. طبقات الحفاظ / جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٣هـ.

٩١. طبقات الحنابلة / محمد بن أبي يعلى أبو الحسين ـ تحقيق: محمد حامد الفقي: دار المعرفة ـ بيروت.

٩٢. طبقات الشافعية / أبو بكر ابن قاضي شهبة ـ تحقيق: الحافظ عبدالعليم خان: عالم الكتب ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٧هـ.

٩٣. طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين السبكي - تحقيق: عبدالفتاح الحلو، محمود الطناحي: هجر للطباعة والنشر - الجيزة - ط٢ - ١٩٩٢م.
٩٤. طبقات المفسرين / الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي - تحقيق: علي محمد عمر: مكتبة وهبة - القاهرة - ط٢ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٩٥. طبقات المفسرين / عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق: علي محمد عمر: مكتبة وهبة - القاهرة - ط الأولى - ١٣٩٦هـ.
٩٦. غاية النهاية في طبقات القراء / شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري: عني بنشره ج برجستراسر - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٣ - ١٩٨٢م.
٩٧. الفائق في غريب الحديث / محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: دار المعرفة - بيروت - ط٢.
٩٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز. ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي: دار الفكر.
٩٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / محمد بن علي بن محمد الشوكاني - اعتنى به: يوسف الغوش: دار المعرفة - بيروت - ط٣ - ١٩٩٧م.
١٠٠. الفريد في إعراب القرآن المجيد / حسين بن أبي العز الهمذاني - تحقيق: فهمي حسن النمر وفؤاد علي مخيمر: دار الثقافة - الدوحة.
١٠١. **الفهرست** / محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم - دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
١٠٢. في رحاب التفسير / عبدالحميد كشك: المكتب المصري الحديث.
١٠٣. في ظلال القرآن / سيد قطب: دار الشروق - بيروت، القاهرة - ط الأولى - ١٩٨٩م.
١٠٤. القراءات أحكامها ومصدرها / شعبان محمد إسماعيل: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي - جدة - السنة الثانية - ١٤٠٢هـ - العدد ١٩.
١٠٥. القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) / عبدالهادي الفضلي: دار القلم - بيروت - ط٣ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
١٠٦. القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية / فضل عباس: مجلة دراسات - المجلد الرابع عشر - العدد السابع - ١٩٨٧م.

١٠٧. القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها / راضي نواصرة: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع - اربد - الأردن - ٢٠٠٣م.

١٠٨. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (رسالة دكتوراة) / محمد بن عمر بن سالم بازمول - إشراف: د. عبدالستار فتح الله سعيد: دار الهجرة - الرياض - ط الأولى - ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٠٩. القراءات وأثرها في علوم العربية / محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٨م.

١١٠. كتاب الأغاني / أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني - تحقيق: سمير جابر: دار الفكر - بيروت - ط٢.

١١١. كتاب السبعة في القراءات / ابن مجاهد - تحقيق: شوقي ضيف: دار المعارف - ط٣.

١١٢. كتاب سيبويه / أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون: عالم الكتب - بيروت - ١٩٧٥م.

١١٣. كتاب عمل اليوم والليلة / أحمد بن شعيب بن علي النسائي - تحقيق: فاروق حمادة: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢ - ١٤٠٦هـ.

١١٤. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير / أحمد بن عبدالحليم بن تيمية - تحقيق: عبدالرحمن محمد قاسم النجدي: مكتبة ابن تيمية.

١١٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - شرحه وضبطه وراجعه: يوسف الحمادي: مكتبة مصر - الفجالة.

١١٦. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس/ إسماعيل بن محمد العجلوني - تحقيق: أحمد القلاش: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٤ - ١٤٠٥هـ.

١١٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١١٨. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها / مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق: محيي الدين رمضان: مؤسسة الرسالة - ط٥ - ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١١٩. كلمات القرآن تفسير وبيان / حسنين محمد مخلوف: ط٢ - ١٩٥٦م.

١٢٠. لباب النقول في أسباب النزول / جلال الدين السيوطي - خرج أحاديثه: محمود بن الجميل: مكتبة الصفا - القاهرة - ط الأولى - ٢٠٠٢م.

١٢١. اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل الدمشقي الحنبلي - تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٨م.

١٢٢. لسان العرب / ابن منظور - تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون: دار المعارف - القاهرة.

١٢٣. لطائف الإشارات لفنون القراءات / شهاب الدين القسطلاني - تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيد عثمان، د. عبدالصبور شاهين: لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة - ١٩٧٢م.

١٢٤. لمعة الاعتقاد / أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي - تحقيق: بدر بن عبدالله البدر: دار السلفية - الكويت - ط الأولى - ١٤٠٦هـ.

١٢٥. المؤتلف والمختلف / محمد بن طاهر بن علي القيسراني - تحقيق: كمال يوسف الحوت: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٤١١هـ.

١٢٦. مباحث في التفسير الموضوعي / مصطفى مسلم: دار القلم - دمشق - ط الأولى - ١٩٨٩م.

١٢٧. مباحث في علوم القرآن / مناع القطان: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٩ - ١٩٨٠م.

١٢٨. مجاز القرآن / أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي - تحقيق: محمد فؤاد سزكين: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٢٩. مجمع البيان في تفسير القرآن / أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٤م.

١٣٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / علي بن أبي بكر الهيثمي: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي - القاهرة، بيروت - ١٤٠٧هـ.

١٣١. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / أبو الفتح عثمان بن جنِّي - تحقيق: علي النجدي ناصف، عبدالفتاح إسماعيل شلبي: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٣٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / القاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي - تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٣م.

١٣٣. مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي - عُني بترتيبه: محمود أفندي خاطر، وضبطه وراجعه: الشيخ حمزة فتح الله: طباعة نظارة المعارف العمومية - المطبعة الأميرية بمصر - ط٢ - ١٩١٠م.

١٣٤. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز / شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل ابن إبراهيم (المعروف أبو شامة المقدسي) ـ تحقيق: طيار آلتي قولاج: دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

١٣٥. المستدرك على الصحيحين / أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ـ تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٠م ١٤١١هـ.

١٣٦. المستنير في تخريج القراءات المتواترة / د. محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت.

١٣٧. مسند أحمد / الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: مؤسسة قرطبة ـ مصر.

١٣٨. مسند الفردوس بمأثور الخطاب / أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي ـ تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٨٦م.

١٣٩. مشكل إعراب القرآن / مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق: حاتم صالح الضامن: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٨٨م.

١٤٠. معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي / أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ـ تحقيق: خالد العك، مروان سوار: دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٧م.

١٤١. معاني الأبنية في العربية / فاضل السامرائي: ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ ط الأولى ـ ١٩٨١م.

١٤٢. معاني القراءات / أبو منصور الأزهري ـ تحقيق: أحمد فريد المزيدي: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٩م.

١٤٣. معاني القرآن / أبو جعفر النحاس ـ تحقيق: يحيي مراد: دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٤٤. معاني القرآن / أبو زكريا الفراء: عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٨٣م.

١٤٥. معاني القرآن / الأخفش ـ دراسة وتحقيق: عبدالأمير محمد أمير الورد: عالم الكتب ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٨٥م.

١٤٦. معاني القرآن وإعرابه / أبو اسحاق إبراهيم بن السَّري الزجاج ـ تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي: عالم الكتب ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٤٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن / الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق علي محمد البجاوي: دار الفكر العربي.

١٤٨. معجم الأدباء (من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م) / كامل سلمان الجبوري: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٤٩. معجم البلدان / أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي - تحقيق: عبدالعزيز الجندي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٥٠. معجم المقاييس في اللغة (مجلد واحد) / أبو الحسن ابن فارس - تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو: دار الفكر - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٤م.

١٥١. معجم مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني - خرج آياته وشواهده: إبراهيم شمس الدين: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٧م.

١٥٢. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (مجلد واحد) / الإمام أبي عبدالله محمد ابن أحمد الذهبي - تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٥٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري - تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله: دار الفكر - بيروت - ط٦ - ١٩٨٥م.

١٥٤. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة / محمد سالم محيسن: دار الجيل بيروت - ط٢ - ١٩٨٨م.

١٥٥. المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم / د. عبدالرحمن الجمل: ط٢ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٥٦. مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني / أبو العلاء الكرماني - دراسة وتحقيق: د. عبدالكريم مصطفى مدلج: دار ابن حزم - بيروت - ط الأولى - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٥٧. المقتطف من عيون التفاسير / مصطفى الخيري المنصوري - حققه وخرج أحاديثه: محمد علي الصابوني: دار السلام - القاهرة - ط الأولى - ١٩٩٦م.

١٥٨. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل / أحمد بن الزبير الغرناطي - تحقيق: د. محمود كامل أحمد: دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨٥م.

١٥٩. الملخص في إعراب القرآن / الخطيب التبريزي - تحقيق: يحيي مراد: دار الحديث - القاهرة - ٢٠٠٤م.

١٦٠. مناهل العرفان في علوم القرآن / الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ـ تحقيق: أحمد بن علي: دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٦١. منجد المقرئين ومرشد الطالبين / ابن الجزري: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

١٦٢. المنجد في الأعلام / مجموعة من المؤلفين: دار المشرق ـ بيروت ـ ط١٧ ـ ١٩٩١م.

١٦٣. منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل (هامش شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) / محمد محيي الدين عبدالحميد: دار الخير ـ بيروت، دمشق ـ ط الأولى ـ ١٩٩٠م.

١٦٤. منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (رسالة ماجستير) / إعداد: د.عبدالرحمن الجمل: إشراف: د. فضل عباس ـ ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٦٥. الموسوعة العربية العلمية / مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ـ ط٢ ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٦٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال / شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ـ تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٥م.

١٦٧. الميسر في القراءات الأربع عشرة وبذيله أصول الميسر في القراءات الأربع عشرة وتراجم القراء الأربع عشر/ محمد فهد خاروف: دار الكلم الطيب ـ دمشق، بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٦٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي: المؤسسة المصرية العامة للتأليف ـ مصر.

١٦٩. النشر في القراءات العشر / الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ـ خرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٧٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / برهان الدين البقاعي ـ خرج آياته وأحاديثه: عبدالرازق المهدي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٧١. النكت والعيون (تفسير الماوردي) / أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ـ راجعه وعلق عليه: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٧٢. النهاية في غريب الحديث والأثر (في جزء واحد)/ مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير - أشرف عليه وقدَّم له: علي ابن عبدالحميد الحلبي الأثري: دار ابن الجوزي - السعودية - ط ٢ - ١٤٢٣هـ.

١٧٣. الهادي (شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها) / محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٧م.

١٧٤. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية / جلال الدين السيوطي: دار المعرفة - بيروت.

١٧٥. وفيات الأعيان وأنباء الزمان / أبو العباس ابن خلّكان - تحقيق: إحسان عباس: دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٨م.

كتب ومواقع إلكترونية:

١. الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني / إياد السامرائي: (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir.net).

٢. أهم الإشارات الطبية والعلمية لقصة أصحاب الكهف / دكتور محمد الحبال. (شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) - جوجل - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن / أبو اسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir.net).

٤. المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات / د.أحمد سعد الخطيب (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir.net).

٥. موقع لمسات: شبكة المعلومات الدولية - جوجل http://www.lamasaat.8m.com/).

مكتبات إلكترونية مُساعِدة:

١. مكتبة التفسير وعلوم القرآن.
٢. المكتبة الألفية للسنة النبوية.
٣. مكتبة اللغة العربية وعلومها.
٤. مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية.



فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة

